مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة التاسعة والعشرون : العدد مئة وثلاثة عشر ـ رجب ١٤٤٢ هـ / مارس (آذار) ٢٠٢١ م

العنوان: كتاب البحرية – أو – أشكال جزائر البحر الأبيض

المؤلف: بيري رئيس : أحمد بن محمد القرماني، محيي الدين ٩٦٢ هـ

تاريخ النسخ: أواسط محرم ١٠٥٥ هـ

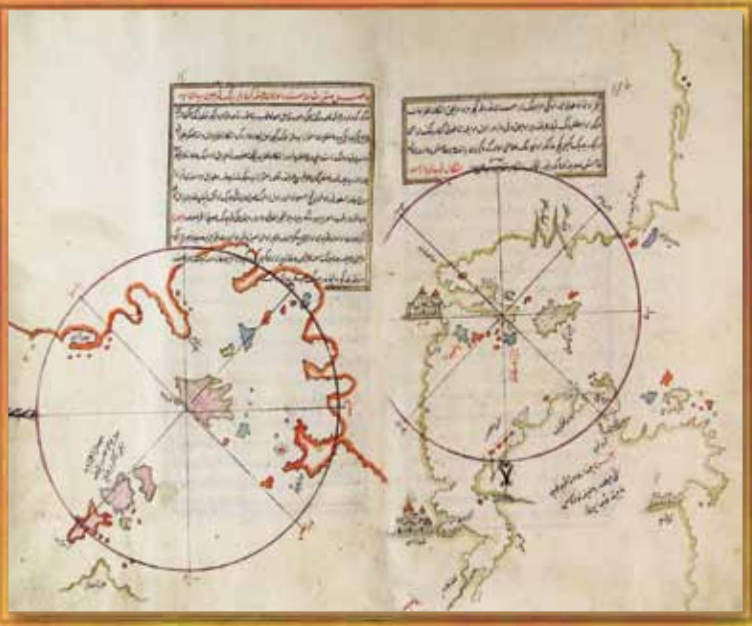

Title: kitab Al-Bahariya - or - 'ashkal jazayir albahr al'abyad
The author: Berry Rais: Ahmed bin Muhammad Al-Qurmani, Muhyiddin 962 AH
Copy Date: Mid-Muharram 1055 AH

شروط النشر في المجلة

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

– قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.

– قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون البحث جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحو كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوص شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون البحث سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيبًا هجائيًا تبعًا للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة مبيّنًا، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون البحث تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطّية المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

١ – ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

٢ – لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

٤ – تستبعد المجلة أيّ بحث مخالف للشروط المذكورة.

٥ – تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.

٦ – يعطى الباحث نسختين من المجلة.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون الكتاب جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوص شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون الكتاب سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ كتاب مرتبة ترتيبًا هجائيًا تبعًا للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون الكتاب مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة، مبيّنًا اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون الكتاب تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.

١١ – تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمّة ورفعًا لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديل أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

١ – ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبّر عن فكر أصحابها، ولا يمثّل رأي الناشر أو اتجاهه.

٢ – لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءٌ نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلاّ لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.

٤ – يُستبعد أيّ كتاب مخالف للشروط المذكورة.

٥ – يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

إشعار بالتسلم

Acknowledgement of Receipt

Name : ..... الاسم الكامل :

Institution ..... المؤسسة :

Address ..... العنوان :

P.O. Box : ..... صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ : Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك Exchange ☐ تبادل Gift ☐ إهداء

Signature : ..... التوقيع : Date : ..... التاريخ :

مركـــز جمعـــة المـــاجـــد للثقـــــافة والتـــــــراث
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد ،

فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (١١٣) من مجلة آفاق الثقافة و التراث.

راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.

مع خالص شكرنا و تقديرنا لحسن تعاونكم معنا

و تفضلوا فائق الاحترام و التقدير

Dear Sir ;

Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No (113). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required infomation.

Thank you for your kind cooperation

We remain

Gift ☐ إهداء

Exchange ☐ تبـادل

Subscription ☐ اشتراك

قسيمة اشتراك

Subscription Order Form

☐ سنة One Year ☐ أكثر من سنة More Than One Year ☐ عدد السنوات of Years

للأعداد : ..... Issues ..... عدد النسخ : ..... of Copies:

ابتداء من تاريخ : ..... Subscription Date : .....

☐ شيك Check ☐ حوالة مصرفية Bank Draft ☐ حوالة بريدية Postal Draft

التاريخ : ..... Date : ..... التوقيع : ..... Signature : .....

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصـــدر عن قسم الدراســـــات والنشر والشؤون الخارجية
بمركـــز جمعـــة الماجـــد للثقـــافة والتـــراث
دبـــي ـ ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتـــف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكـــس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولـــة الإمـــارات العربيـــة المتحـــدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة التاسعة والعشرون : العدد مئة وثلاثة عشر ـ رجب ١٤٤٢ هـ / مارس (آذار) ٢٠٢١ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ ـ ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليـــل
أولريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيـــئة التحـــرير

مديـر التحرير
د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير
د. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير
د. أبوبـــكـــر الصديـــق
د. محـمـد أحـمـد الـقـرشـي
د. فكـري عبـد المنعـم النجار
د. محـمـد فـاضـل الـحـطـاب

الاشتراك السنوي	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها
ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الافتتاحية

أصول مقاصد الشريعة

بين رسوخ الاعتبار ويأس سعي الإنكار

مدير التحرير ٤

المقالات

النقـود المصريـة الفرعونيـة: دراسـة تاريخيـة وصفية

محمود محمد عبد العليم عبد الصمد ٦

القصد والإنجاز في حواريات أبي حيّان التوحيدي

أ. د. سمر الديوب ٢٤

أبو جَلَنْك الحَلَبيّ وما تبقى من شعره

أ. م. د. علي كاظم علي المدني ٥٠

ابـنُ سَعْدِ الـخَيـرِ الـبَلَـنْسِي حياتُهُ وماتَبَقَّى من شعره "جمع وتوثيق ودراسة"

د. محمد محجوب محمد عبد المجيد ٧٠

تَحقيقُ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ في المصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ كِتَابُ المطالعِ البَدْرِيَّةِ فِي المَنَازِلِ الرُّومِيَّةِ أُنموذَجًا

أ. د. عَبد الرَّازق حويزي ٩٠

تاريخ اسـتعمال المواد الثمينـة في تزيين المباني الدينية -الكعبة المشرفة أنموذجاً-

أ. م. د. مها الشعار ١١٢

تحقيق المخطوطات

أحمد البوني ونظمه لعقيدة أبي مدين الغوث

دراسة وتحقيق وتعليق

أ. د. مرزوق العمري ١٣٧

القـول الصائب في طلب الجماعة بعد الراتب لشـيخ الإسلام أبي زيد الحاج عبد الرحمن بن محمد النتيفي (ت: ١٣٨٥هـ)

تقديم وتحقيق

د. رشيد الجاري ١٦٣

الملخصات ١٩٨

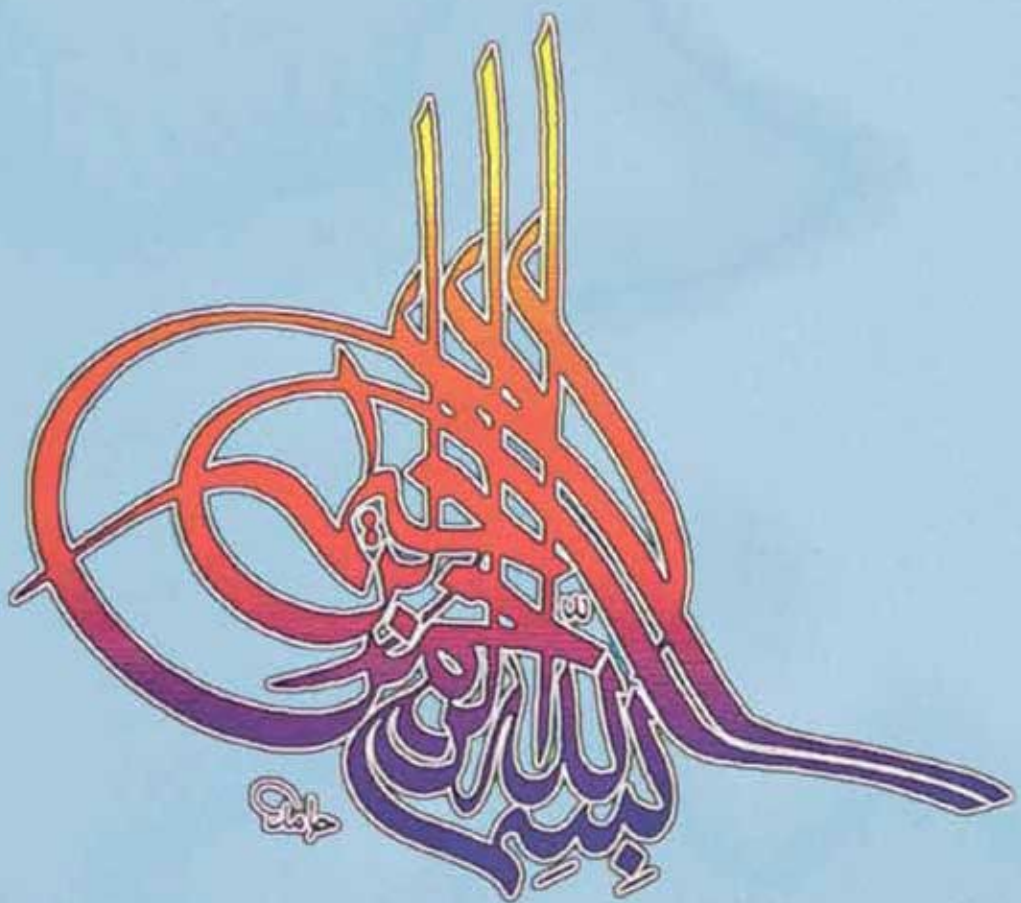
بسم الله الرحمن الرحيم

أصول مقاصد الشريعة
بين رسوخ الاعتبار ويأس سعي الإنكار

لاحظ علماء الشريعة من خلال تتبعهم لأحكامها، واستقراء تصرفاتها في تلك الأحكام أنها دائرة حول أصول ثلاثة: هي: "الضروريات" و"الحاجيات" و"التحسينيات"، وهي لا تتخلف عن تحقيق جزئي منها ما وجدت المسلك إلى تحصيله، اللهم إلا إذا عارض ذلك معارض، من جلب منفعة عظمى، أو دفع مفسدة كبرى.

ويرى الإمام الشاطبي أن سبب حفظ الشريعة في أصولها وفروعها هو رجوعها إلى حفظ هذه الأصول، في جميع ما تضمنته من كليات، وجزئيات؛ حيث قال في كتابه "الموافقات": "ولذلك كانت محفوظة في أصولها وفروعها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ **[الحجر: ٩]**؛ لأنها ترجع إلى حفظ المقاصد التي بها يكون صلاح الدارين، وهي الضروريات والحاجيات، والتحسينيات وما هو مكمل لها ومتمم لأطرافها، وهي أصول الشريعة، وقد قام البرهان القطعي على اعتبارها وسائر الفروع مستندة إليها، فلا إشكال في أنها عِلْمٌ أصيلٌ راسخ الأساس ثابت الأركان".

وبنى الإمام الشاطبي كلامه هذا على أن القرآن والسنة لم يخرجا عن إقامة هذه الأصول وتعزيزها وتقويتها، فالقرآن أتى بها أصولًا يرجع إليها، والسنة أتت بها تفريعًا على ما في الكتاب وبيانًا لما فيه.

والذي تجدر الإشارة إليه أن ضبط هذه الأصول ليس توقيفيًا، وإنما هو اجتهادي، وأول من رسم هذه الأصول إمام الحرمين. ولكنه حينما تعرض لهذا التقسيم واجتهد في وضعه جعل "أصول المقاصد" على خمسة أقسام:

الأول: ما يعقل معناه، هو أصل، ويؤول المعنى المعقول منه إلى أمر ضروري لا بد منه، مع تقرير غاية الإيالة الكلية والسياسة العامة".

الثاني: "الضرب الثاني: ما يتعلق بالحاجة العامة، ولا ينتهي إلى حد الضرورة".

الثالث: "الضرب الثالث: ما لا يتعلق بضرورة حاقة، ولا حاجة عامة، ولكنه يلوح فيه غرض في جلب مكرمة، أو في نفي نقيض لها".

الرابع: "الضرب الرابع: مالا يستند إلى حاجة وضرورة، وتحصيل المقصود فيه مندوب إليه تصريحًا ابتداء، وفي المسلك الثالث، في تحصيله خروج عن قياس كلي، وبهذه المرتبة يتميز هذا الضرب من الضرب الثالث".

الخامس: "الضرب الخامس: من الأصول ما لا يلوح فيه للمستنبط معنى أصلًا، ولا مقتضى من ضرورة أو حاجة، أو استحثاث على مكرمة، وهذا يندر تصويره جدًا، فإنه إن امتنع استنباط معنى جزئي، فلا يمتنع تخليه كليًا".

ولقد تم تحرير هذه الأصول الخمسة وتنقيحها وجعلها على الصورة المعروفة اليوم، على يد تلميذه الغزالي، الذي جعلها أصولا ثلاثة – ضرورية وحاجية وتحسينية –، وسارت الأمة بعده على هذا التقسيم على اختلاف مذاهبها ومواردها العلمية، وعلق مصطفى شلبي قائلًا: "فانظر

كيف بدأ هذا التقسيم وتتبع خطواته، يظهر لك مبلغ التنقيح الذي دخله، حتى وصل إلينا بصورته التي نراها في كتاب الموافقات مثلا، ونعلم أن هذه أمور اجتهادية، جاءت وليدة البحث والتنقيب.

ويرى الإمام الشاطبي أن كل من ينتمي إلى هذه الشريعة من الأفراد المؤهلين للاجتهاد لا يتطرق الشك إلى نفوسهم في ثبوت هذه الأصول، وأنها مقصودة للشارع، من حيث الاعتبار، والدليل على ذلك عنده، استقراء الشريعة، والنظر في أدلتها الكلية والجزئية، وما انطوت عليه من هذه الأمور العامة على حد الاستقراء المعنوي، الذي لا يثبت بدليل خاص، بل بأدلة منضاف بعضها إلى بعض، مختلفة الأغراض، بحيث ينتظم من مجموعها أمر واحد تجتمع عليه تلك الأدلة، على حد ما ثبت عند العامة جود حاتم، وشجاعة علي ﷺ، وما أشبه ذلك، فلم يعتمد الناس في إثبات قصد الشارع في هذه القواعد، على دليل مخصوص على وجه مخصوص، بل حصل لهم ذلك من الظواهر والعمومات والمطلقات والمقيدات، والجزئيات الخاصة في أعيان مختلفة، ووقائع مختلفة في كل باب من أبواب الفقه، وكل نوع من أنواعه، حتى ألفوا أدلة الشريعة كلها دائرة على الحفظ على تلك القواعد، هذا مع ما ينضاف إلى ذلك من قرائن منقولة وغير منقولة.

إلا أن الطوفي يرى أن هذا التقسيم لأصول المقاصد تعسف وتكلف من الفقهاء، قد ذكر في كتابه "الروضة القدامية"؛ حيث قال: "اعلم أن هؤلاء الذين قسموا المصلحة إلى معتبرة وملغاة، ومرسلة ضرورية وغير ضرورية، تعسفوا وتكلفوا، إذ الطريق إلى معرفة حكم المصالح أعم من هذا وأقرب، وذلك بأن نقول: قد ثبت مراعاة الشارع للمصلحة والمفسدة إجماعًا".

وهذا الادعاء من الطوفي باطل من وجوه:

الأول: لقد دل الاستقراء المعنوي للأدلة المختلفة، من أصول الشريعة وفروعها على أن هذه الأصول الثلاثة معتبرة قطعًا، لا مجال لتطرق الاحتمال إلى عدم ثبوتها، كما أن التواتر العملي للأمة في مصالحها جار وفق هذه الأصول، ولم يعرف لذلك، إلا ما نقل عن الطوفي، فلا عبرة لخلافة في هذا الموضوع.

الثاني: إن اعتبار أصل المصلحة ثابت نصًا وإجماعًا، وهذا لم يخالف فيه أحد حتى الطوفي، ولكن هذا لا ينتهض مسلكًا، يمكن من خلاله الخروج من التعارض عند تضارب أوجه المصالح، وفي هذه الحالة تكون الأصول الثلاثة هي المسلك؛ لأنه بواسطتها يمكن تحديد أي المصلحتين أقوى وأولى وآكد من الأخرى، فهي وسائل ترجيح من هذه الجهة.

الثالث: إن الأصول الثلاثة تعد بمنزلة المعيار الذي يقاس به مدى قوة أثر الفعل جلبًا ودفعًا، وكذا شدة طلبه فعلا وتركا، فالفعل الذى يجلب مصلحة ضرورية يكون أقوى أثرًا من حيث النفع الذي يحصله من الفعل الذي يجلب مصلحة حاجية أو تكميلية، وكذلك الفعل الذي يخل بأمر ضروري، يكون أقوى أثرًا من حيث الضرر الذي يلحقه من الفعل الذي يخل بأمر حاجي أو تحسيني، كما أن الفعل الذي يتجه لحفظ أمر حاجي يكون آكد في الطلب من الذي يتجه لحفظ أمر تحسيني والفعل الذي يتجه لإبطال أمر ضروري يكون آكد في النهي من الفعل الذي يتجه لإبطال أمر تحسيني.

وبهذا اتضح أن معارضة الطوفي للعلماء في هذا التقسيم ليس لها وجه تقوم عليه معارضًا لما قرروه، وتواترت الأمة بعد ذلك على السير عليه والعمل به.

والله ولي التوفيق والسداد

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

النقود المصرية الفرعونية: دراسة تاريخية وصفية

محمود محمد عبد العليم عبد الصمد
مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث – دبي

تسعى الدراسة إلى تطويع مناهج البحث التاريخية، ومعايير وصف مصادر المعلومات في البيئات المعلوماتية المختلفة للتعرف وكشف اللثام عن أنظمة التعامل التجاري والنقدي في مصر القديمة، والتطور التاريخي لأنظمة النقد والتعامل التجاري عبر التاريخ المصري القديم من خلال تتبع تاريخ الأسرات المصرية الفرعونية التي حكمت مصر الحضارة المصرية القديمة، من أجل التعرف على ماهية العملات الفرعونية التاريخية المُستخدمة في مصر القديمة، وفهم طبيعة هذه العملات والسياق التاريخي الذي نشأت فيه والأنظمة النقدية المستخدمة في ذلك الوقت؛ لتكوين رؤية علمية ثابتة ومتكاملة حول طبيعتها التكوينية، مع محاولة تطبيق المعايير الأرشيفية والوصفية الحديثة في علوم المعلومات لتقديم بطاقة وصفية متكاملة تستند على أبرز المعايير الحديثة والمتخصصة في وصف العملات والنقود RDA لعينة من العملات المستخدمة في مصر القديمة "عملة نوب نفر الفرعونية"، مع محاولة تطويع العناصر المستخدمة ومقابلتها بالمعايير الوصفية في البيئات المعلوماتية الأخرى DACS, ISAD –G, CCO لتتناسب معها.

- أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من أهمية موضوعها وإضافتها إلى المعرفة البشرية بشكلٍ عام، والمعرفة التاريخية بشكلٍ خاص، بما تتناوله من خلال الدراسة العلمية المُتأنية للسياقات التاريخية لنشأة أنظمة النقد والتعامل التجاري في مصر القديمة عبر تتبع تاريخ الأسرات الحاكمة، مع تطبيق معايير وصف مصادر المعلومات في مجال علوم المعلومات بشكلٍ عام على أحد أندر العملات الفرعونية عملة نوب نفر في تاريخ الحضارة المصرية القديمة، والتي تعود إلى سنة ٣٥٠ قبل الميلاد، والتي لم تُنشر أو تُدرس باستخدام معايير الوصف المستخدمة في مجالات علوم المعلومات، من أجل دراستها

دراسة علمية باستخدام أساليب البحث التاريخي والوصفي بالتطويع المنهجي السليم لتوثيق وجودها والتعريف بها طبقًا لأفضل الممارسات في مجال الحفاظ على التراث المصري، مما يمثل للعاملين في حقل المعلومات والأرشيف مرجعًا أو أداة تطبيقية يمكن الاسترشاد بها؛ للقيام بدراسات أخرى مثيلة.

- أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التعرف على أنظمة التعامل التجاري والنقدي في مصر القديمة والتطور التاريخي للوحدات النقدية المُستخدمة، مع تطبيق المعايير الوصفية المتخصصة في مجال علوم المعلومات في وصف أحد أقدم العملات المستخدمة في الحضارة المصرية القديمة عملة نوب نفر، والتي لم تُنشر أو تُدرس من قبل باستخدام معايير الوصف المستخدمة في مجالات علوم المعلومات، من أجل دراستها دراسة علمية باستخدام أساليب البحث التاريخي بالتطويع المنهجي السليم لتوثيق وجودها والتعريف بها طبقًا لأفضل الممارسات الدولية إحياءً للتراث المصري والحضارة المصرية، وفي إطار هذا الهدف الرئيس تتفرعُ الأهداف الآتية، وهي:

١- تقديم رؤية تاريخية للأسرات الحاكمة بفترة العصور المتأخرة من تاريخ الحضارة المصرية.

٢- التعرف على نظم وقواعد البيع والشراء المستخدمة في مصر القديمة.

٣- التعرف على السياقات التاريخية لبدايات ونشأة الوحدات النقدية والعملات الفرعونية المصرية القديمة.

٤- التطبيق العملي المعايير الوصفية الدولية بكافة البيئات المعلوماتية لتقديم بطاقات وصفية مُتكاملة لعينة من عملة النوب نفر المصرية.

- مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

يُمكن الاستدلال على مشكلة الدراسة من خلال ملاحظة الباحث ندرة الدراسات التي تعرضت للعملات المصرية القديمة باستخدام أساليب ومنهجيات علوم المعلومات بنظرياته ومعاييره وتطبيقاته في البيئات المعلوماتية المختلفة – بيئة المكتبات – بيئة الأرشيفات – بيئة المتاحف - وكان لابد من تطويع أساليب ومنهجيات العلم وأدواته لتلبية متطلبات هذه المواد، ومن هنا ينبع التساؤل الرئيس، وهو: هل يُمكن تطويع منهجيات وأساليب علوم المعلومات بنظرياته ومعاييره وتطبيقاته في البيئات المعلوماتية المختلفة – بيئة المكتبات – بيئة الأرشيفات – بيئة المتاحف لدراسة ووصف العملات المصرية القديمة، وما هو الناتج الفكري أو الثقافي التذي يُمكن أين ينتجه مثل هذا النهج بالتطبيق على أحد العملات المصرية القديمة، ويتفرعُ من هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية:

١- ما الظروف السياسية والاقتصادية لفترة حكم الأسرات الحاكمة بفترة العصور المتأخرة من تاريخ الحضارة المصرية؟

٢- ما المراحل التطورية التاريخية التي مرت بها أنظمة النقد والتعامل التجاري بالوحدات النقدية المصرية القديمة ونطاقات استخدامها وتداولها؟

٣- إلي أي مدى يُمكن تطبيق المعايير الوصفية الدولية بكافة البيئات المعلوماتية لتقديم بطاقات

وصفية مُتكاملة لعملة النوب نفر المصرية الفرعونية؟

- حدود الدراسة ومجالها:

١- **الحدود الزمنية:** تغطي الدراسة الفترة الزمنية من تاريخ الحضارة المصرية الممتدة من عام ٦٦٤ قبل الميلاد حتى العام ٣٣٢ قبل الميلاد، وهي فترة حُكم الأسرات المصرية الفرعونية بفترة العصور المتأخرة من تاريخ الحضارة المصرية، وهي فترة انتقالية في تاريخ الحضارة المصرية، فبعدها ينتهي عهد الفراعنة من ذات الأصول المصرية.

٢- **الحدود المكانية: تحددت الحدود المكانية للدراسة بطبيعة** موضوعها في مصر.

٣- **الحدود الموضوعية**: تعرضت الدراسة للعملات المصرية القديمة مع التعرف على سياقاتها التاريخية والمراحل التاريخية التي مرت بها، مع تطبيق أساليب ومنهجيات علوم المعلومات بنظرياته ومعاييره وتطبيقاته في البيئات المعلوماتية المختلفة – بيئة المكتبات – بيئة الأرشيفات – بيئة المتاحف - لتلبية متطلبات وصف هذه المواد، مع تقديم بطاقة وصفية متكاملة تستند على أبرز المعايير الحديثة والمتخصصة في وصف العملات والنقود RDA لعينة من العملات المستخدمة في مصر القديمة "عملة نوب نفر الفرعونية"، مع محاولة تطويع العناصر المستخدمة ومقابلتها بالمعايير الوصفية في البيئات المعلوماتية الأخرى DACS, ISAD –G, CCO لتتناسب معها.

- منهج الدراسة وأدواته:

- **منهج البحث التاريخي الوصفي:** وذلك بدراسة المصادر التاريخية المختلفة التي تتناول النقطة البحثية وتجميع المعلومات، والعمل على تجميع المعلومات وتبويبها تحت عناصر رؤوس الموضوعات البحثية، وترتيبها في نسق علمي متسلسل، مع تحديد عينة تطبيقية لتقديم بطاقة وصفية مُتكاملة استنادًا إلى المعايير الوصفية المتعارف عليها دوليًا بين أهل المهنة والتخصص

- **أدوات البحث وجمع المادة العلمية:** تمثلت في المصادر التي تعني بالحضارة المصرية، المواقع الإلكترونية المتخصصة في سرد وعرض والتعريف بالتراث المصري والعملات المصرية.

- الدراسات السابقة:

قام الباحث بعملية بحث عن دراسات سابقة لموضوع الدراسة وكانت نتائج البحث وعلى حد علم الباحث كالآتي:

تناولت دراسة (قابيل، ٢٠١٩)[١] عدد سبعة عشر قطعة من العملة الرومانية والبيزنطية، منها عدد ٨ عملات رومانية، وعدد ٩ عملات بيزنطية، لم تُنشر من قبل ومحفوظة الآن في مخزن أثار رشيد، وقدم البحث دراسة وصفية لهذه العملات تشمل [رقم العملة في سجل المخزن – مادة العملة – فئتها – قطرها – وزنها – شرح مفصل للموضوعات المصورة على وجه وظهر العملة] كما قدمت الدراسة قراءة للنقوش المُسجلة على هذه العملات، وما يمثله ذلك من أهمية في دراسة هذه المجموعة سواء من حيث الموضوع أو التاريخ، كما هدف البحث إلى دراسة تحليلية متأنية تشمل المادة المصنوع منها العملة، وفئاتها، ودور السك التي

سكت فيها، وهل هي محلية أم خارجية، وكذلك تحليل للموضوعات، ومدى انتشارها في مصر وخارجها، وتأتى الدراسة البيانية والإحصائية كوسيلة لقراءة هذه اللقية، واستندت الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي.

وقدمت دراسة (جمعة؛ بدوي، ٢٠١٨)[٢] نشرًا لمجموعة من القطع النقدية التي تم إصدارها أثناء الفترة البيزنطية، وتم اختيار هذه القطع من المجموعات المحفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة، ويرجع تاريخ هذه القطع لكل من الإمبراطور قسطنطينوس الأول ٣٢٣ – ٣٣٧ قبل الميلاد، وأنستاتيوس الأول ٤٩١ -٥١٨ قبل الميلاد، والإمبراطور جستين الثاني ٥٦٥-٥٧٨ قبل الميلاد، والإمبراطور موريس ٥٨٢ – ٦٠٢ قبل الميلاد، وهي من المجموعات التي لم يتم نشرها ودراستها دراسة علمية، إضافة إلى الحالة السيئة لبعض القطع النقدية لسوء عمليات الحفظ وسوء الأحوال الاقتصادية في ذلك الوقت، وقد اجتهد الباحثان في قراءتهم وتصنيفهم لتلك المجموعات، وسوف يقوم الباحثان بنشر هذه القطع النقدية في كتالوج للبحث، بحيث يتم ترتيب هذه القطع النقدية طبقًا للترتيب الزمني الخاص بكل قطعة، وفي سبيل ذلك اعتمد الباحثان في دراستهما على المنهج الوصفي التحليلي المقارن لكل ما جاء على النقود من رسوم فنية وكتابات، مع التعليق على كل قطعة تعليقًا شاملًا لعدة جوانب منها الأحداث التاريخية، والسياسية، والدينية، والاقتصادية.

تناولت مقالة أجنبية لـــ

(G. K. Jenkins, ١٩٩٤)[٣] بعنوان "An Egyptian Gold Coin" أشارت المقالة إلى ماهية العملة الذهبية المصرية ذات الصناعة الإغريقية في عهد الفرعون المصري تاخوس، وهي عملة "لنوب نفر" وتاريخ نشأتها، وأشارت إلى المواد التي صنعت منها العملة، وأنها كانت تُصنع من الذهب الخالص، وأحيانا من الفضة ومكان حفظها بالمتحف البريطاني British Museum.

- الخلاصة:

جاءت الدراسات العربية في معظمها تتناول موضوع العملات المصرية المستخدمة في الفترة الرومانية والبيزنطية نشرًا وتحليلًا، أما الدراسات الأجنبية فلم يتم العثور إلا على دراسة واحدة عام ١٩٩٥ بعنوان An Egyptian Gold Coin والتي تناولت ماهية العملة الذهبية المصرية ذات الصناعة الإغريقية في عهد الفرعون المصري تاخوس، وهي عملة "نوب نفر"، وبذلك تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في أنها تستعرض في سياق تاريخي أنظمة النقد والتعامل التجاري وأدواته المستخدمة في مصر القديمة، بداية من أنظمة المُقايضة والمُبادلة حتى استخدام العملات اليونانية ذات الطابع الفرعوني، مرورًا بالوحدات النقدية والحسابية المصرية، مع اختيار عينة تطبيقية لتطبيق معايير الوصف المستخدمة في مجال علوم المعلومات بكافة بيئاته المعلوماتية، مع تطويع منهج الدراسة الدبلوماتية وتطبيقه على العينة المُنتقاة كمنهج لبيان خصائص المادة الداخلية والخارجية لبيان صحتها وضبط مقاييس الحكم على مصداقية نسبتها إلى العصر الذي نُسبت إليه.

- السياق التاريخي لنشأة واستخدام النقود المصرية الفرعونية بالحضارة المصرية القديمة:

تُعرف الحضارة بأنها نظام اجتماعي

يُعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخُلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق؛ لأنه إذا ما أَمِن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها، وباختصار تُعرف الحضارة بالرقي والازدهار في جميع الميادين والمجالات[٤]، وعليه يعد التاريخ المصري أقدم تاريخ وأطول تاريخ لحضارة مستمرة لما تزيد عن ٧٠٠٠ عام، لما تميزت به مصر بوجود نهر النيل الذي يسير على طول أراضيها مما جعله عاملًا أساسيًا لقيام الحضارة المصرية العريقة.

واستقر علماء التاريخ على تقسيم التاريخ المصري إلى عدة تقسيمات أساسية ابتداءً من عام ٤٤٠٠ قبل الميلاد وهو عصر ما قبل الأسرات، ثم عصر الأسرات المصرية الفرعونية التي حكمت مصر القديمة في عصورها التاريخية، وتم تقسيم عصر الأسرات على حسب الأسرة الفرعونية الحاكمة، والتسلسل الزمني لها ليضم داخله عدد ثلاثين أسرة فرعونية مصرية حكمت مصر ابتداءً من عام ٣١٠٠ قبل الميلاد حتى عام ٣٤٢ قبل الميلاد، وهو عصر الأسرة الثلاثين والذي يعد آخر العصور التي كانت مصر فيها تحت الحكم الفرعوني لأسرة ملكية ذات أصول مصرية، لتخرج مصر بعد ذلك من دائرة الحكم المستقل وتتعرض لغزوات خارجية واستعمارات أجنبية، ويعد أول استعمار أجنبي لمصر عام ٣٤٣ قبل الميلاد عندما استغل الفرس فترة الضعف والتشتت التي مرت بلاد مصر في تلك الفترة لتقوم بغزو البلاد المصرية طمعًا في خيراتها ورقي علومها، ويستولي عليها الحاكم الفارسي ليرسل إليها واليًا، لتكون مصر بعد ذلك ولأول مرة في تاريخها ولاية أو إقليمًا لا يهتم به أحد[٥].

ظلت الحضارة المصرية القديمة ولوقت طويل تعتمد في معاملاتها التجارية على نظام المقايضة والمبادلة، وكل حضارة تقايض بما يميزها أو ما تملك من ثروات؛ حيث كانت الحضارة المصرية تستخدم القمح والماشية، ومع التطور الحضاري تكونت لديهم فكرة المقايضة باستخدام المعادن، وذلك عند معرفتهم القيم المتفاوتة للمعادن من نحاس وفضة وذهب وقصدير وحديد، فأصبحوا يتبادلون بتلك المعادن بدلًا من القمح، ولكن تختلف قيم سلعة عن الأخرى؛ لذلك جرى تحديد قيمة السلعة ومقاضاتها بوزن العملات المعدنية؛ حيث تختلف أوزان العملات عن بعضها البعض، فأصبحت العملة المعدنية توزن مسبقًا وتختم بعلامة تدل على قيمتها، وعليه فقد تطورت وتنوعت أنظمة تبادل السلع من المقايضة والمبادلة إلى الوحدات النقدية كنظام تبادل نقدي، وكذلك الوحدات الحسابية التي توازي النظام النقدي حتى ظهور واستخدام النقود والعملات المعدنية الحديثة، ويُبين الجدول الآتي الوحدات النقدية والحسابية والنقود المستخدمة بمصر القديمة في فترة حكم الأسر الفرعونية المصرية:

الرقم المسلسل	الوحدة	نوع الوحدة	مادة الصنع	نطاق الاستخدام	تاريخ الاستخدام	
					من	إلى
١	الشعت	وحدة نقدية	الذهب، الفضة، النحاس	طبقات المجتمع العليا	الأسرة الرابعة	الأسرة التاسعة عشر
		وحدة حسابية	لا توجد	عامة الشعب	الأسرة الرابعة	الأسرة التاسعة عشر
٢	الدبن	وحدة نقدية	الذهب، الفضة، النحاس	طبقات المجتمع العليا	الأسرة التاسعة عشر	الأسرة الثلاثون
		وحدة حسابية	لا توجد	عامة الشعب	الأسرة التاسعة عشر	الأسرة الثلاثون
٣	الكيت	وحدة نقدية	الذهب، النحاس	طبقات المجتمع العليا	الأسرة التاسعة عشر	الأسرة الثلاثون
		وحدة حسابية	لا توجد	عامة الشعب	الأسرة التاسعة عشر	الأسرة الثلاثون
٤	نفر نب	وحدة نقدية	الفضة	الجنود المرتزقة الإغريق	الأسرة الثلاثون	
٥	نوب نفر	وحدة نقدية	الذهب، الفضة	الجنود المرتزقة الإغريق	الأسرة الثلاثون	
٦	نوب نفر	وحدة نقدية	الذهب، الفضة	الجنود المرتزقة الإغريق	الأسرة الثلاثون	
٧	نفر نوب	وحدة نقدية	الذهب، الفضة	الجنود المرتزقة الإغريق	الأسرة الثلاثون	

- التعريف بوحدة الشعت وسياقها التاريخي [الأسرة الرابعة - الأسرة التاسعة عشر]

اختلف علماء المصريات في ماهية الشعت في التعاملات التجارية وكونه وحدة نقدية من المعدن، كما استدل على ذلك الرأي ما أشارت إليه وثيقة ترجع لعصر الأسرة الرابعة[٦]، وتحديدًا عصر الملك خوفو ثاني ملوك الأسرة الرابعة وموضوع الوثيقة عملية بيع بين شخص يدعي تنتي وكاهن اسمه كابو؛ حيث يقول المشتري في الوثيقة (لقد اشتريت هذا البيت في مقابل ١٠ شعت وهي كما يأتي قطعة أثاث قيمتها ٣ شعت وسرير من خشب الأرز قيمته ٤ شعت وقطعة أثاث من خشب الجميز قيمتها ٣ شعت) ومما سبق يتضح أنه لو كان الأمر مجرد تبادل ومقايضة ما كان هناك داع لذكر كلمة شعت واكتفى البائع والمشتري بذكر الآثاث مقابل البيت فقط، وكذلك عثر على نقش بأحد المقابر يوضح منظر لسوق وبعض الأشخاص يحملون صندوق به حلقات صغيرة، وكتب على أحد مناظر النقش عبارة يقولها مشتري لبائع خضروات (هاك لأجلك شعت واحد وهو ما تستحقه)، ومما سبق يتضح أن المشتري قد قام بدفع شعت للبائع؛ أي لا توجد أي إشارة للمقايضة، ومن هنا يتضح أن كلمة شعت لم تكن وحدة نقود بالمفهوم الحديث بل كانت وحدة تعامل حسابية أو معيار يقاس به قيمة الأشياء على أن يدفع ما يعادله من المعادن ذهبًا أو فضة، وربما كانت الحلقات الموجودة في الصندوق معادن ثمينة يعادل كل منها مقدار معين من الشعت، وعلى ذلك اختلفت الآراء بين العلماء،[٧]، أما قيمة الشعت فلم تكن معروفة حتى عُثر على وثيقة ترجع إلى نهاية الدولة الوسطى توضح أن (الدبن) من الذهب يساوي ١٢ شعت وقد عرف بعد ذلك (في العصر الروماني) أن الدبن يساوي ٩١ جرام، وبالتالي الشعت يعادل ٧,٥ جرام ذهب[٨].

وفي دراسة نُشرت للسيد رضا محمد سيد أحمد بعنوان "أعمال متنوعة غير منشورة من تل تمى الأمديد" أشارت فيها أن مصر عرفت نظامًا شبيهًا بالعملة منذ عصر الدولة القديمة؛ حيث كانت المعابد تصدر قطعًا معدنية من معادن مختلفة وتضع رموزًا لصور الآلهة ضمانًا لقيمتها، وأطلق على هذه القطع اسم "الشعت"، وقد استمرت البلاد تستعمله مع بعض التغييرات في الاسم حتى نهاية العصر الفرعوني، إذ قد استعملت "الدبن "و" الكدت" أو "الكيت" طوال عصر الدولة الحديثة حتى نهاية الأسرة الثلاثين، غير أن استعمالها بمثابة عمله كان محصورًا في الطبقات العليا بين السكان وفى أضيق الحدود؛ لأن المعاملة بالمبادلة كانت هي النظام السائدة والأكثر شيوعًا بين عامة المصريين منذ أقدم العصور، وذلك استنادًا لما توصل إليه الباحث الأجنبي بيير موتتيه، في كتابه الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة[٩].

ويُمكن أن نستنتج من ذلك أن الشعت استعمل كوحدة نقدية معدنية لدى الطبقات العليا أو الخاصة من الشعب، كقطع معدنية يتم تصنيعها بشكلٍ خاص وفقًا لمقياس وزني متفق عليه ٧,٥ جرام ذهب؛ لتكون بحوزة خاصة الشعب وطبقاته العليا لقضاء المعاملات التجارية، واستنادًا إلى هذا المبدأ استخدم الشعب اسم الشعت كوحدة جرى العرف على استخدامها في تحديد قيمة الأشياء المختلفة؛ لتحديد قيمة الغلال والسلع المصنوعة، بذلك لم يكن الشعت لدى

عامة الشعب وحدة نقدية فعلية وإنما كان مجرد وحدة تقييم نظرية.

- التعريف بوحدة الدبن وسياقها التاريخي [الأسرة التاسعة عشر – الأسرة الثلاثون]:

بدأت التعاملات التجارية باستخدام وحدة الشعت في التراجع والاختفاء مع بدايات حُكم الأسرة التاسعة عشرة، وشاع استخدام وحدة أخرى، وهي من وحدات الوزن تسمى الدبن وزنته حوالي ٩١ جرام ذهب والكين أو الكيت وزنته ٩ جرام ذهب، وكان "الدبن" (نمط من العملات) يبدو في هيئة سلك معدني ملفوف يتم قطع جزء منه وفقًا للوزن المطلوب، وكان من المعتاد أيضًا تقديم الأجور والأثمان في صورة حلقات معدنية، وقيمتها تعادل ١٢/ ١ من "الدبن[١٠]"

ويوضح الشكل الآتي قطعة تزن ٤ دبن، وبجانب هذا الشكل شكلُ آخر يُبين كتابة شققة فرعونية مكتوبُ عليها باللغة الهيروغليفية ما يُفيد بتفاصيل صفقة بيع، باع فيها مواطن مصري يدعى أمنواع بعض ممتلكاته، وكانت السلعة تُقيم حسب ما يُعادلها من أوزان نحاسية كان يطلق عليها "دبن" فالعنزة مثلًا كانت تُقيم بدبن واحد، والسرير كان يُقيم بـ ٢٥ دبن[١١]:

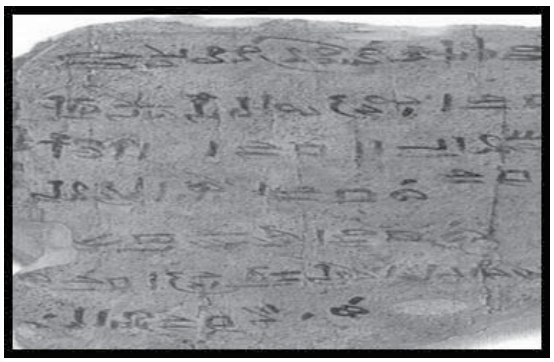

- التعريف بوحدة الكيت وسياقها التاريخي [الأسرة التاسعة عشر – الأسرة الثلاثون]:

ثم أدخل المصريون بعد الدولة الوسطى معيار للوزن جديد يسمى بالكيت، وكان يعادل ٩ جرام ذهب وهو ما يساوي ١ / ١٠ من الدبن، وبقدر ما وصلت إليه معلوماتنا على أن مصر كان لها نظامًا نقديًا وإن لم يكن مسكوكًا، تتعامل به منذ الأسرة الرابعة وهو "الشعت" وقد استمرت البلاد تستعمله مع بعض تغيير في الاسم حتى نهاية العهد الفرعوني؛ إذ قد استعملت "الدبن" و"الكدت" طوال الدولة الحديثة حتى نهاية الأسرة الثلاثين، وحتى في عهد البطالمة استمر السكان المصريون يستعملونه أول ظهور النقد المسكوك في مصر القديمة، ولم تكن فكرة النقود بمعناها الحديث متداولة بين الشعب، وإنما فئة خاصة من الشعب المصري، وكان نظام التبادل والمقايضة المبني على أساس توسيط وحدة حسابية تعتمد على قيمة (الشعت أو الكدت) كافيًا ولا يسبب أي مشاكل في تعاملاتهم التجارية ونظامهم الاقتصادي[١٢]، وتوضح الأشكال الآتية فئات من قطع نقدية من نوع "الكيت" والمستعملة عند المصريين القدماء[١٣]:

- العصور المتأخرة في تاريخ الحضارة المصرية واستخدام العملات الإغريقية:

ابتداءً من فترة حكم الأسرة السادسة والعشرين حتى فترة حكم الأسرة الثلاثون تم تصنيفها لدى علماء التاريخ والمصريات بالفترة المتأخرة ففيها بدأت الأطماع الخارجية خاصة من بلاد فارس في تلك الفترة، تتجه نحو مصر لما بها من خيرات ورقي علمي وفني، وبدأت الحملات العسكرية تتجه نحو غزو واستعمار مصر، وفي تلك الفترة بدأ الحكم الفرعوني يُنتزع من المصريين بعد أن قدم المصريون عددًا من المحاولات الدفاعية النبيلة؛ لتكون مصر ولأول مرة في تاريخها تحت الاستعمار الأجنبي والذي كانت بداياته الحكم الفارسي ثم الحكم البطلمي وما تلاه، فقد مثلت تلك الفترة للفراعنة المصريين فترة عصيبة لكل حاكم على مدار الثلاثة أسر التي حكمت مصر في عهد الأسرة الثلاثين.

ومن أبرز ما يميز تلك الفترة العلاقات الأثينية التي كانت تربط بين الحكام المصريين وحكام أثينا باليونان، وبخاصة فيما يخص الاتفاقيات العسكرية والمالية المتبادلة بين الطرفين، مما كان له انعكاساته على الممارسات الاقتصادية والتصنيعية للحكومة المصرية والنظام الاقتصادي المصري، ونتجت عن تلك العلاقات مع اليونانيين سك النقود لسداد رواتب المرتزقة اليونانيين الذين كانوا يحاربون لصالح الجيش المصري، ولم يعثر على نقش أو وثيقة تثبت استخدام عامة الشعب لتلك النقود، ولذا فإن هذه النقود غاية في الندرة لقلة المسكوك منها.

وترجع بدايات استخدام هذه العملة اعتبارًا من الأسرة ٢٦ (٦٦٣ ق.م - ٥٢٦ ق.م) حينما بدأت الإمبراطورية المصرية التي كانت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت في الضعف في هذه الفترة، وبداية الانهيار الاقتصادي المصري، فزادت الحركة التجارية بين الإمبراطورية المصرية والدويلات اليونانية فتعامل المصريون بنقود بلاد اليونان الفضية والذهبية، ففي فترة الأسرة ٢٩ المصرية قام نفرتريس الأول دعم اسبرطة في حربها ضد الفرس؛ غزا الاسبرطيون قبرص ورودس في محاولة لتوسيع منطقة نفوذهم في الشرق، مد نفريتس الاسبرطيين بأكثر من ٥٠٠,٠٠٠ وعاء من الحبوب و١٠٠ لوح طباعة[١٤].

وفي فترة الأسرة ٢٩ قام ثالث ملوك هذه الأسرة "هكار" بإنشاء فرقة عسكرية في الجيش الإمبراطوري المصري من المُرتزقة الإغريق، وكان لابد أن يدفع لهم رواتبهم بعملات فضية أو ذهبية، فقام "هكار" بالاتفاق مع أثينا على قيام أثينا بسك نقود من فئة الأربع دراخمات

بنفس وزن وعيار وشكل النقود الأثينية لصالح الإمبراطورية المصرية، واستمر الأمر على ذلك حتى الأسرة الثلاثين؛ حيث عُثر على أربعة أنواع من النقود التي يمكن أن ننسبها إلى فترة الأُسرات المصرية الفرعونية لمصر القديمة، وتحديدًا فترة حكم الأسرة الثلاثين[١٥].

- التعريف بالعملات الإغريقية ذات الطابع الفرعوني [الأسرة الثلاثون]:

تُعد فترة حكم الأسرة المصرية الفرعونية الثلاثون آخر الأسرات الفرعونية ذات الأصول المصرية التي حكمت مصر في الفترة من ٣٨٠ قبل الميلاد إلى ٣٤٢ قبل الميلاد، تمثل حكم الأسرة الثلاثين من تاريخ مصر بحكم ثلاثة ملوك كما في الجدول الآتي:

الرقم	اسم المولود	الاسم الملكي	تاريخ الحكم	
			من	إلى
١	خبر كا رع	نخت أنبو الأول	٣٨٠ قبل الميلاد	٣٦٢ قبل الميلاد
٢	إرما أتن رع	دجحور – تاخوس	٣٦٢ قبل الميلاد	٣٦٠ قبل الميلاد
٣	سندجم إب رع – ست ابن أنهور	نخت أنبو الثاني	٣٦٠ قبل الميلاد	٣٤٣ قبل الميلاد

واعتلت الأسرة الثلاثون عرش مصر إثر إطاحة نخت أنبو الأول بـ"نفارود الثاني" ابن هاكور من الأسرة التاسعة والعشرين، وقد سيطر نخت أنبو على مصر في نوفمبر ٣٨٠ ق.م، وقضى معظم فترة حكمه مدافعًا عن مملكته من محاولات الفرس لإعادة غزو مصر، وكان ذلك بدعم في بعض الأوقات من سبرطة أو أثينا في ذلك الوقت، وفي عام ٣٦٥ ق.م.، نصب نخت أنبو ابنه تاخوس شريكًا في الملك ووريثًا، وحتى وفاته في ٣٦٣ حكم الأب والابن معًا، ولكن بعد وفاة الوالد، قام تيوس بغزو بلاد الشام التي كانت ترزح تحت الاحتلال الفارسي، وخلال تلك الحملة فقد تيوس عرشه في انقلاب دبره ابنه تجاهبيمو وأتى بحفيد تيوس نخت أنبو الثاني إلى العرش[١٦].

وفي فترة حُكم الفرعون المصري نخت أنبو الثاني كثُرت محاولات الفرس لغزو واحتلال مصر، والتي اعتبروها محمية متمردة، واستطاع الفرعون المصري نخت أنبو الثاني لأول عشر سنوات تفادى الغزو الفارسي؛ لأن أرتاخرخس الثالث كان مشغولًا بتوطيد حكمه في بلاد فارس، بعد ذلك قام أرتاخرخس الثالث بمحاولة فاشلة لغزو مصر في شتاء ٣٥١ / ٣٥٠ ق.م، تلاها قلاقل في قبرص وقليقيا، وعلى الرغم من قيام نخت أنبو الثاني بمساندة تلك الثورات إلا أن أرتاخرخس تمكن من إخمادها، وأصبح مرة أخرى مستعدًا لغزو مصر، وتكللت محاولة الغزو الثانية بالنجاح، وأجبر نخت أنبو على التقهقر بدفاعاته من الدلتا إلى ممفيس حيث رأى استحالة النصر، ولذلك هرب إلى النوبة؛ حيث يعتقد أنه لجأ إلى ناستسن ملك نباتا، على الرغم من قيام ثائر يدعى خباباش بتنصيب نفسه ملكًا (٣٣٨ - ٣٣٦ ق.م.)، فإن نخت أنبو الثاني اعتبر آخر فرعون لمصر، وهروبه مثّل نهاية مصر

ككيان مستقل، ليتمكن الفرس من غزو مصر مرة أخرى طمعًا في خيراتها ورقي علومها وفنونها، وذلك في الفترة من ٣٤٣ قبل الميلاد إلى ٣٣٢ قبل الميلاد، لمدة دامت ٩ سنوات؛ ليكون ذلك أول استعمار أجنبي لمصر[١٧]، إلى أن جاء الإسكندر الأكبر في ٣٣٢ قبل الميلاد والذي جاء لطردهم من مصر في سلسلة حروبه مع الفرس للقضاء على إمبراطورتيهم لتدخل مصر بعد ذلك مرحلة جديدة وهي فترة الحكم البطلمي لمصر[١٨].

وعُثر على أربعة أنواع من النقود التي يمكن أن ننسبها إلى فترة الأُسرات المصرية الفرعونية لمصر القديمة، وتحديدًا فترة حكم الأسرة الثلاثين[١٩]، وهي:

١. **النوع الأول العُملة "نفر نب":** يرجع لعصر الملك نخت نب اف الاول (٣٧٨ ق.م - ٣٦١ ق.م) عُملة "نفر بـن"، وهي عملة يونانية حيث يظهر علي وجه العملة وجه الإلهة أثينا، وعلى الظهر بومتان تواجه كل منهما الأخرى، وبينهما علامتان باللغة الهيروغليفية (نفر نب)؛ أي الكل طيب أو جيد وربما المقصود أن النقود من الفضة الخالصة.

٢. **النوع الثاني العُملة "نوب نفر"** من الذهب ينسب للملك تـاخـوس أو تيوس – ٣٦١ ق.م - ٣٥٩ ق.م وقـد نقش على الوجه الإلــه المصري انـوبـيـس، وعلى الظهر البومة وبجوارها خرطوش بداخله العلامة الهيروغليفية (ماعت)؛ وتعني الصدق والحق وقد يعني ذلك أن النقد من الذهب الجيد.

٣. **النوع الثالث العُملة "نوب نفر" فئة الأربعة دراخمات"** تُنسب للملك تاخوس أو تيوس، وهي من فئة الأربعة دراخمات، وعلى الوجه نقش وجه الإلهة أثينا وعلى الظهر بومة واقفة وعلى يسارها نقش بالخط الديموطيقي باسم الفرعون تيوس أو تاخوس.

٤. **النوع الرابع العُملة "نفر نـوب":** وهي من الذهب الخالص وتُنسب إلى الملك نخت نب اف الثاني (٣٥٩ ق.م – ٣٤١ ق.م) وقد نقش علي الوجه حصان يعدو برشاقة، وعلى الظهر علامتان باللغة الهيروغليفية (نفر نوب) وهي تعني ذهب جيد[٢٠]، وهي تعد من العملات النادرة جدًا؛ حيث يوجد منها حوالي عشرين قطعة فقط على مستوى العالم حتى الآن.

- الدراســة الوصفية لعملة " نفر نوب" [الأسرة الثلاثون]:

نعني بالدراسة الوصفية تلك الدراسة التي تعنى بوصف الملامح الرئيسة للمادة موضوع الوصف باستخدام عدد من الحقول والعناصر الدلالية المتفق عليها رسميًا والمفهومة دوليًا، باستخدام قوالب معيارية تعبئ فيها المعلومات لوصف الشيء وبيان ملامحه وسماته بطريقة متكاملة، ولما كانت العملات هي وحدات مادية، عبارة عن قطع معدنية قد تكون مختومة من الحكومة أو تم إصدارها من جهات رسمية مُختصة بالدولة؛ بهدف الاستخدام بوصفها وحدة مالية، تتمثل أهميتها في أنه عن طريقها يمكن حسم الكثير من النقاط التاريخية التي يختلف فيها المؤرخون، وعليه يُمكن اعتبارها وثائق تاريخية صحيحة لا يُمكن الطعن في مصداقية ما تقدمه من معلومات إذا ثبتت صحتها، وتُعد وسيلة يمكن الاعتماد عليها كسجل للألقاب والنعوت التي استخدمت خلال حقبة تاريخية مُعينة، ولها

أهمية كبيرة في مجال الفنون والخطوط والتعرف على الأحوال الاجتماعية والأعياد والاحتفالات لكل عصر من العصور، فهي مصدر مهم للتعرف على الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الفترة التي سُكت فيه[٢١]، وقد اهتمت المعايير الوصفية في علوم المعلومات والمكتبات والأرشيفات بوصف العملات والنقود كمصادر معلومات ذات قيمة بحثية وتاريخية، ومن أبرز المعايير التي اهتمت بالعملات وصفًا علميًا متكاملًا يتلاءم مع كافة المتطلبات البحثية والتقنية للعرض والإتاحة والبحث العلمي المعايير الآتية:

١. معيار وصف المصادر وإتاحتها RDA حيث أدرج معيار RDA في أداته rdatoolkit العملات ضمن أنواع الكيانات ثلاثية الأبعاد (التعليمات ٣,٤,١,٣)، والتي تضم أحد عشر نوعًا مُختلفًا ومن ضمنها العملة COIN، والتي تندرج تحت مصطلح الحقيقيات Realia، ويُستخدم المختصر "r" في حقل حالة التعريف الخاص بنوع الكيان المفهرس ضمن حقول معيار وصف المصادر وإتاحتها[٢٢].

٢. معيار فهرسة الكيانات الثقافية CCO وهو أحد أبرز المعايير المستخدمة في وصف الكيانات المتحفية، ويركز في عناصره على كافة الجوانب الوصفية لوصف الكيانات المتحفية ومنها العملات[٢٣].

وتقدم الدراسة بطاقة وصفية لعملة: نفر نوب" استنادًا إلى الحقول المعيارية المُتفق عليها بمعيار وصف المصادر وإتاحتها RDA، ثم مقابلة حقول الوصف مع عدد من المعايير الوصفية الأخرى في البيئات المعلوماتية الأخرى DACS, ISAD –G, CCO، تمهيدًا لقابلية استخدام البطاقة الوصفية في كافة البيئات المعلوماتية الأخرى كون المادة الوصفية تُصنف ضم المواد البينية التي يُمكن تواجدها في البيئة المكتبية بمعاييرها ونُظمها، وكذلك يمكن تواجدها في البيئة الأرشيفية بمعاييرها ونُظمها، وأيضًا البيئة المتحفية بمعاييرها ونُظمها، وقد بدأت الدراسة ببطاقة وصفية تعتمد على الحقول الأساسية بمعيار وصف المصادر واتاحتها RDA، مع ترميزها باستخدام معيار الاتصال الترميزي الدولي MARC 21، ثم مقابلة الحقول الوصفية مع باقي المعايير الوصفية الأخرى كما سبق ذكرها، وذلك كما تبينه البطاقة الآتية:

البطاقة الوصفية "عملة نوب نفر[٢٤]"

RDA CORE			MARC 21 CODE	
			INDICATOR	TAG
r||||r|||| 0| r n			الفاتح / 06	
			نوع التسجيلة	
2.13.1.1	**الرمز**	**نمط الإصدار**	الفاتح / 07	
- وحدة مفردة			المستوى الببليوجرافي	
2.3	**الرمز**	**العنوان نفسه**	a$	245
- عملة نوب نفر				
2.3	**الرمز**	**العنوان نفسه الموازي**	$a	
- Nub Nefer				
2.4	**الرمز**	**بيان المسؤولية المُرتبط بالعنوان**	$c	
- الملك نخت نب اف الثاني (359 ق.م – 341 ق.م)				
2.8	**الرمز**	**مكان الناشر / الصانع**	$a	264
- الحكومة المصرية				
2.8	**الرمز**	**اسم الناشر / الصانع**	$b	
- الملك نخت نب اف الثاني				
2.8	**الرمز**	**تاريخ النشر / التصنيع**	$c	
- 350 ق.م				
3.4	**الرمز**	**الأبعاد – المدى**	$a	300
- عدد 1 قطعة نقدية - الشكل: عملة - مادة الصنع: الذهب				
3.4	**الرمز**	**الأبعاد – التفصيلات المادية الأخرى**	$b	
- تزن القطعة حوالي 8.42 جرام - الشكل الخارجي: مستديرة				
3.5	**الرمز**	**الأبعاد – القياسات**	$c	
- قطر الدائرة من 14 إلى 17 مم				

MARC 21 CODE		RDA CORE		
336	$a	**نوع المحتوى**	**الرمز**	**6.9**
		- شكل ثلاثي الأبعاد		
337	$a	**نوع الوسيط**	**الرمز**	**3.2**
		- بدون وسيط		
338	$a	**نوع الناقل**	**الرمز**	**3.3**
		- كيان		
500	$a	**تبصرة عامة**	**الرمز**	**2.17**
		- المحتوى: تم صك العملة باسم الملك أو الفرعون المصري "تاخوس" وتحديدا عام ٣٥٠ ق.م، وكانت تسمى هذه العملة بـ"النوب نفر" وتعنى الذهب الجيد أو الخالص، وهى تعد من العملات النادرة جدا حيث يوجد منها حوالى عشرين قطعة فقط على مستوى العالم، وهى العملات الوحيدة التي تم اكتشافها حتى الآن وتحمل كتابات مصرية قديمة، وذلك لدفع رواتب المرتزقة اليونانيين الذين كانوا في خدمته، وكانت تُصنع العملات بأوزان ذهب ثابتة مع نفس وزن عملة دريك الفارسية (حوالي ٨,٤٢ جرام) ، وكان الشكل على غرار النموذج الأثيني ، وبردي على اليمين. - واصل الملك نخت أنبو الثاني خليفة تاخوس الحفاظ على هذه الممارسة، على الرغم من أنه صاغ عملته الذهبية الشخصية، مع الوزن الذهبي الثابت نفس وزن عملة دريك الفارسية (حوالي ٨,٤٢ جرام). - **وجه العملة:** نقش بالهيروغليفية المصرية تعني nefer nub أي الذهب الجيد . - **ظهر العملة:** حصان يقفز على اليمين .		

جدول المُقابلة DACS, ISAD –G, CCO

CCO		RDA		ISAD – G		DACS	
الرمز	العنصر	الرمز	العنصر	الرمز	العنصر	الرمز	العنصر
1.1	نوع العمل	---	نوع التسجيلة	3.1	المحتوى والبنية	3.1	النطاق والمحتوى
7.1	الفئة	2.13.1.1	نمط الإصدار	1.4	مستوى الوصف	1	مستوى الوصف
1.1	العنوان	2.3	العنوان	1.2	العنوان	2.3	العنوان
		2.3	العنوان الموازي				
2.1	المنشئ	2.4	بيان المسؤولية	2.1	اسم المنشئ	2.6	اسم المنشئ
		2.8	مكان النشر / التصنيع			11.3	الأماكن
2.2	دور المنشئ	2.8	اسم الناشر / الصانع			10.1	الاسم المُعتمد
4.3	التاريخ	2.8	التاريخ	1.3	التاريخ	2.4	التاريخ
3.4	ملاحظات مادية	3.4	الأبعاد – المدى	1.5	المدى	2.5	المدى
		3.4	الأبعاد – ملاحظات				
3.1	القياسات	3.5	الأبعاد – القياسات				
6.1	الموضوع	6.9	نوع المحتوى	4.4	الخصائص المادية		
3.2	المتطلبات المادية والفنية	3.2	نوع الوسيط				
		3.3	نوع الناقل				
8.1	الوصف	2.17	تبصرة عامة	3.1	المحتوى والبنية	3.1	النطاق والمحتوى

النتائج والمقترحات:

• نتائج الدراسة التاريخية:

تطورت وتنوعت أنظمة تبادل السلع من المقايضة والمبادلة إلى الوحدات النقدية مثل نظام تبادل نقدي، وكذلك الوحدات الحسابية التي تـوازي النظام النقدي حتى ظهور واستخدام النقود والعملات المعدنية الإغريقية ذات الطابع الفرعوني، ومنها يُمكن بيان النتائج التي توصلت إليها الدراسة كالآتي:

١- ظلت الحضارة المصرية القديمة ولوقت طويل تعتمد في معاملاتها التجارية على نظام المقايضة والمبادلة، وكل حضارة تقايض بما يميزها أو ما تملك من ثروات؛ حيث كانت الحضارة المصرية تستخدم القمح والماشية.

٢- مع التطور الحضاري تكونت لديهم فكرة المقايضة باستخدام المعادن، وذلـك عند معرفتهم القيم المتفاوتة للمعادن من نحاس وفضة وذهب وقصدير وحديد، فأصبحوا يتبادلون بتلك المعادن بدلًا من القمح، ولكن تختلف قيم سلعة عن الأخرى؛ لذلك جرى تحديد قيمة السلعة ومقاضاتها بوزن العملات المعدنية؛ حيث تختلف أوزان العملات عن بعضها البعض، فأصبحت العملة المعدنية توزن مسبقًا وتختم بعلامة تدل على قيمتها.

٣- اعتمدت أنظمة النقد والتعامل التجاري وأدواتـه المستخدمة في مصر القديمة على وحدات نقدية ثابتة ومُتفق عليها، وبخاصة لدى الطبقات العليا من الشعب المصري تسمى "الشعت، والدبن، والكيت"، وظل استخدامها بين الطبقات العليا من الشعب، حتى استخدام العملات اليونانية ذات الطابع الفرعوني، في عهد الأسرة الثلاثين وهي آخر أسرة فرعونية تحكم مصر من أصل مصري.

• نتائج الدراسة الوصفية:

اهتمت المعايير الوصفية في علوم المعلومات والمكتبات والأرشيفات بوصف العملات والنقود مصادر معلومات ذات قيمة بحثية وتاريخية، ومن أبرز المعايير التي اهتمت بالعملات وصفًا علميًا متكاملًا يتلاءم مع كافة المتطلبات البحثية والتقنية للعرض والإتاحة والبحث العلمي المعايير الآتية:

١. معيار وصـف المصادر وإتاحتها RDA حيث أدرج معيار RDA في أداته rdatoolkit العملات ضمن أنواع الكيانات ثلاثية الأبعاد (التعليمات ٣,٤,١,٣)، والتي تضم أحد عشر نوعًا مُختلفًا ومن ضمنها العملة COIN، والتي تندرج تحت مصطلح الحقيقيات Realia، ويُستخدم المختصر " r " في حقل حالة التعريف الخاص بنوع الكيان المفهرس ضمن حقول معيار وصف المصادر وإتاحتها.

٢. معيار فهرسة الكيانات الثقافية CCO وهو أحد أبرز المعايير المستخدمة في وصف الكيانات المتحفية، ويركز في عناصره على كافة الجوانب الوصفية لوصف الكيانات المتحفية ومنها العملات.

٣. بينما نجد أن كلٌ من RDA Standard, CCO Standard من المعايير الأكثر تفصيلًا وشمولًا وتخصيصًا بما تشتمله من عناصر وحقول قياسية ركزت على كافة متطلبات وصف العملات والنقود، كانت معايير ISAD – G

Standard, DACS Standard من المعايير الأكثر عمومية وسطحية في هذا المجال لاتساع نطاق تغطيتها وتركيزها على المواد الأرشيفية ذات الطابع الإداري والوظيفي، وعليه يُمكن الاستفادة من العناصر القياسية المحددة بكل من RDA Standard, CCO Standard، وتطويعها بكلٍ من معايير ISAD G Standard, DACS Standard –.

• مقترحات الدراسة:

انطلاقًا من النتائج التي توصلت إليها الدراسة نقترح الآتي: القيام بمزيد من البحوث الاستكشافية والتطبيقية التي تسعى إلى حصر وتجميع كافة الوحدات النقدية المصرية القديمة، ودراستها ونشرها للباحثين؛ للقيام بمزيد من البحوث التي تتناول الجوانب التاريخية لتطور العملات والنقود في مصر القديمة.

الحواشي

١. قابيل، عزة عبد الحميد (٢٠١٩). دراسة لمجموعة عملات رومانية وبيزنطية من لقية أثرية من حفائر رشيد "١٩٩٢ – ١٩٩٥"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع ١٨.

٢. جمعة، مصطفى الروبي؛ بدوي، مروة فروق (٢٠١٨). نشر مجموعة من النقود البيزنطية (محفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة)، المجلة العلمية لكلية السياحة والفنادق، ع ١٥، الإصدار الأول ٢٠١٨، الرقم الدولي التسلسلي: ٧٠٢٤ – ٢٣١٤.

3. Jenkins, G. (1955). An Egyptian Gold Coin. The British Museum Quarterly, 20 (1), 10 - 11. doi:10.2307 / 4422503

٤. مؤنس، حسين (١٩٧٧) الحضارة). الحضارة. سلسلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت.

. قطبي، محمد ناصر (٢٠١٨). تاريخ مصر عبر العصور (موجز مصور). دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ص ١٦.

6. J. E. A. Vol. 43. P. 71; Preaux, L'Economic Royale Des Lagides. P. 267; Rostovtzeff Social and Economic Hist. P. 89, 263, 264.

٧. حسن، سليم (٢٠٠٠). موسوعة مصر القديمة: الجزء الثاني، ص ١٨٠-١٨٥.

٨. عيد، هشام (٢٠٠٨). النقود عند القدماء المصريين، منتدى العملات والطوابع العربي. متاح على الرابط: http://www.coins4arab.com / تم الاسترجاع بتاريخ: ٢٣-٤-٢٠٢٠.

٩. أحمد، رضا محمد سيد. أعمال متنوعة غير منشورة من تل تمى الأمديد. دراسات في آثار الوطن العربي. ص ٢٢٣.

١٠. راشيه، جي (٢٠٠٦) الموسوعة الشاملة للحضارة المصرية. ترجمة فاطمة عبد الله محمود، مراجعة وتقديم محمود ماهر طه، المكتب الإعلامي الثقافي، القاهرة. ص. ٤٩٨.

١١. معجم الحضارة المصرية القديمة - الطبعة الثانية - مكتبة الأسرة ١٩٩٦ – مصر، ص: ٤٠.

١٢. راشيه، جي (٢٠٠٦) المرجع السابق. ص. ٤٩٨.

١٣. معجم الحضارة المصرية القديمة، المرجع السابق. ص: ٤٠.

14. Sweeney, Emmet John (2008). The Ramessides, Medes, and Persians. P. 147.

١٥. عيد، هشام (٢٠٠٨). المرجع السابق.

١٦. المرجع السابق.

١٧. المرجع السابق.

١٨. المرجع السابق.

١٩. عيد، هشام (٢٠٠٨). المرجع السابق.

٢٠. عيد، هشام (٢٠٠٨). المرجع السابق.

قائمة المصـادر والمراجع

• **المصادر العربية:**

١. قابيل، عزة عبد الحميد (٢٠١٩). دراسة لمجموعة عملات رومانية وبيزنطية من لقية أثرية من حفائر رشيد "١٩٩٢ – ١٩٩٥"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع ١٨.

٢. جمعة، مصطفى الروبي؛ بدوي، مروة فروق (٢٠١٨). نشر مجموعة من النقود البيزنطية (محفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة)، المجلة العلمية لكلية السياحة والفنادق، ع ١٥، الإصدار الأول ٢٠١٨، الرقم الدولي التسلسلي: ٧٠٢٤ – ٢٣١٤.

٣. مؤنس، حسين (١٩٧٧) الحضارة). الحضارة. سلسلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت.

٤. قطبي، محمد ناصر (٢٠١٨). تاريخ مصر عبر العصور (موجز مصور). دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان.

٥. حسن، سليم (٢٠٠٠). موسوعة مصر القديمة: الجزء الثاني.

٦. عيد، هشام (٢٠٠٨). النقود عند القدماء المصريين، منتدى العملات والطوابع العربي. متاح على الرابط: http://www.coins4arab.com/ تم الاسترجاع بتاريخ: ٢٣-٤-٢٠٢٠.

٧. أحمد، رضا محمد سيد. أعمال متنوعة غير منشورة من تل تمى الأمديد. دراسات في آثار الوطن العربي.

٨. راشيه، جي (٢٠٠٦) الموسوعة الشامل للحضارة المصرية. ترجمة فاطمة عبد الله محمود، مراجعة وتقديم محمود ماهر طه، المكتب الإعلامي الثقافي، القاهرة.

٩. معجم الحضارة المصرية القديمة ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الأسرة ١٩٩٦ – مصر.

١٠. عبد الله، داليا موسى (٢٠٠٩). مجموعات المسكوكات العربية في المكتبات المصرية: دراسة للضبط الببليوغرافي والتنظيم والإتاحة. أطروحة دكتوراه غير منشورة. قسم المكتبات. كلية الآداب، جامعة القاهرة.

١١. المنسي، إسراء عبد الله (٢٠١٩). وصف وإتاحة المقتنيات المتحفية وفق معيار (RDA): دراسة تطبيقية. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان.

• **قائمة المصادر الأجنبية:**

12. Murtha Baca, PhD, Patricia Harpring، Elisa Lanzi، Linda (2006). Cataloging Cultural Objects: A Guide to Describing Cultural Works and Their Images. American Library Association.

13. Jenkins, G. (1955). An Egyptian Gold Coin. The British Museum Quarterly, 20 (1), 10 - 11. doi:10.2307 / 4422503

14. Sweeney, Emmet John (2008). The Ramessides, Medes, and Persians.

15. J. E. A. Vol. 43. P. 71; Preaux, L'Economic Royale Des Lagides.

16. Rostovtzeff Social and Economic Hist.

١٧. عبد الله، داليا موسى (٢٠٠٩). مجموعات المسكوكات العربية في المكتبات المصرية: دراسة للضبط الببليوغرافي والتنظيم والإتاحة. أطروحة دكتوراه غير منشورة. قسم المكتبات. كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص. ٤.

١٨. المنسي، إسراء عبد الله (٢٠١٩). وصف وإتاحة المقتنيات المتحفية وفق معيار (RDA): دراسة تطبيقية. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان، ص. ٨٦.

23. Murtha Baca, PhD, Patricia Harpring، Elisa Lanzi، Linda (2006). Cataloging Cultural Objects: A Guide to Describing Cultural Works and Their Images. American Library Association. P. 11-12.

24. Image courtesy of Bibliothèque nationale de France

القصد والإنجاز في حواريات أبي حيّان التوحيدي

أ. د. سمر الديوب*

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة البعث

حمص - سوريا

١- هدف البحث وأسئلته ومنهجه

قدّم أبو حيان التوحيدي[1] في مؤلفاته نصًا حواريًا قائمًا على السؤال والجواب، ويمثّل هذان الطرفان ثنائية الإنشاء والخبر، وهي مركز الثقل في نظرية الأفعال الكلامية التداولية التي اهتمت بثنائية القصد والإنجاز التي عُرفت في تراثنا النقدي العربي بالإنشاء والخبر. وننطلق في هذا البحث من فرضية مفادها أن الحوارات التي قدّمها التوحيدي مع أستاذيه ابن مسكويه وأبي سليمان السجستاني، والوزير ابن سعدان حوارات افتراضية لأهداف سنسعى إلى تبيانها؛ ذلك لأننا نرى أن النصّ الأدبي لا يقدّم صورة حرفية للواقع، بل يسعى إلى إعادة تشكيله على وفق ثنائية الرؤية والرؤيا، فلم يكتب التوحيدي الإمتاع والمؤانسة لهذا الهدف؛ لأنه تجاوز الإمتاع إلى الوظيفة النقدية، والمؤانسة؛ لأنه صاغ حوارات افتراضية، ونسبها إلى شخصيات مختلفة.

ولم يوجّه الأسئلة إلى الفيلسوف ابن مسكويه في الهوامل والشوامل، وإلى أستاذه السجستاني في المقابسات بهدف تحصيل المعرفة والعلم، وسيتولى البحث الاهتمام بثنائية السؤال والجواب، والقصد والإنجاز لدراسة حواريات التوحيدي، وتندرج في أدب المجالس، والأدب الفلسفي، فليس المهم السؤال والجواب، وليس المهم ما أنشأه أبو حيّان من محاورات، فالأدب يقول شيئًا، لكن المهم ما لم يقله.

ويثير البحث جملة أسئلة من قبيل: كيف استطاع التوحيدي أن يقدّم شيئًا وهو يقصد شيئًا آخر، وكيف يمكن الانتقال من المعنى المصرّح به إلى المعنى المستلزَم خطابيًا؛ أي المعنى الملمَّح إليه؟ وكيف تمكّن من أن يحمّل سؤاله قصده، وأن ينجز فعلًا كلاميًا محددًا في صيغة الاستفهام في السؤال، والطابع الخبري في الجواب؟ وكيف تمكّن من أن يقدّم نوعًا أدبيًا جديدًا قائمًا على الحواريات؟ وكيف جعل خطابه

رسالة تواصلية ناجحة؟

ويستضيء البحث بمعطيات التداولية، وقد اخترنا النص الحواريّ أنموذجًا للدراسة التداولية؛ ذلك لأنها تنظر إلى اللغة بوصفها نشاطًا يتجلى في الحوار، وثمة حواريات واضحة في مؤلفاته، وهي حواريات من صميم الواقع الذي عاش أشجانه وآلامه.

وقد اخترنا الإمتاع والمؤانسة[٢]، والهوامل والشوامل[٣]، والمقابسات[٤]؛ لأننا وجدنا أن الخطاب فيها قد شكّل منظومة تجسدت فيها الأفعال الكلامية التي تُظهر معارف للآخرين، لكنها تخفي أشياء أرادها التوحيدي.

يمثّل الهوامل والشوامل حوارًا في اتجاه واحد من التوحيدي "سؤال" إلى ابن مسكويه[٥] "جواب"، ويمثّل المقابسات حوارًا بين التوحيدي والسجستاني[٦]، أما الإمتاع والمؤانسة فهو أدب مجلس، دار فيه حوار بينه وبين الوزير ابن سعدان[٧].

وتهتم التداولية[٨] باللغة في استعمالها من جهة نفسية المتكلّم، وردّ فعل المستمع، والطابع الاجتماعي للخطاب، وهي تدرس العوامل التي تؤثر في اختيار المتكلم لغتَه، وانتقال تأثير هذا الاختيار إلى الآخرين.

وتقوم كتابات التوحيدي على التواصل الحواري مع الآخرين، والتفاعل معهم، وتهتم التداولية[٩] بالبنية اللغوية، واستعمالها؛ أي تهتم بالمتكلم، والمستمع، وسياق اللفظ، وملابسات الخطاب، وتهتم بأسئلة: مَن يتكلّم؟ إلى من يوجّه كلامه؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلّم؟ كيف نقول شيئًا ونحن نريد شيئًا آخر؟

وسنتخذ من التداولية جانبًا واحدًا هو نظرية الأفعال الكلامية التي ترى أن وظيفة اللغة تتعدّى إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، إنها مؤسسة تُحوّل الأقوال التي تصدر في معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية، فكل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويتوسّل أفعالًا قولية؛ ليحقق غرضًا إنجازيًا، وغاية تأثيرية تخصّ ردّ فعل المتلقي[١٠].

فما ركائز نظرية الأفعال الكلامية؟ وما علاقتها بحواريات التوحيدي؟

٢- القصد والإنجاز: كلام في المصطلح

٢-١- نظريـة الأفعـال الكلاميـة وثنائية القصد والإنجاز

يُقصد بالكلام تبادل المعلومات، والقيام بفعل خاضع لقواعد مضبوطة، ويفسّر هذا الفعل وضعية المتلقي، ونظام معتقداته، ومواقفه السلوكية[١١].

واللغة لدى أوستن وصفية، والأقوال تقريرية "خبرية" وإنشائية، وهي تقدّم نشاطًا اجتماعيًا أكثر من كونها أقوالًا يعتورها الصدق والكذب، وقد تكون الجمل خبرية لكنها تستخدم لتنجز وعدًا، أو تصريحًا، ولا توصف المنطوقات بالصدق والكذب، بل تشير إلى إنجاز عمل أو فعل، فالقول هو الفعل، أو جزء منه[١٢].

لم تعد الجمل الخبرية لدى أوستن مجرد صيغة خبرية تقبل الصدق أو الكذب، بل يجب أن تكون جملة وصفية، أما الجمل الخبرية التي لا يراد بها الوصف، بل يراد بها الفعل فتكوِّن الجمل الإنشائية، أو الأدائية الإنجازية[١٣].

إن الفعل الإنجازي هو المقصود من النظرية

كلها، فحين يتكلم التوحيدي ينجز فعلًا قصديًا سمّاه أوستن "قوة الفعل"[١٤] ويُحدث الفعل الإنجازي فعلًا تأثيريًا في المتلقي، والأفعال -لديه- لفظية ينطقها المتكلّم بصورتها التركيبية ومعناها المعجمي، وإنجازية -أي ما يقصده المتكلم- وتأثيرية -أي ما يخلّفه القول من تأثير- وقد زاد عليها سيرل الأفعال القَضَوية Acte Propositionnel التي تحمل قضية مكونة من خبر ومرجع، فالفعل الإنجازي هو القول في النهاية، قد يكون وصفيًا، أو إنشائيًا، وهو فعل أدائي في صورته الخبرية، أو الطلبية، وأفعال غرضية أو إنجازية تحمل غير ما يعنيه منطوق الفعل المتلفَّظ به[١٥].

ويرى سيرل أن الأفعال الإنجازية المباشرة هي التي تطابق فيها الأفعالُ الإنجازية مرادَ المتكلّم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقًا مطابقة تامة وحرفية ما يريد أن يقوله، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي تخالف فيها الأفعال الإنجازية مراد المتكلم، فيؤدَّى الفعل الإنجازي على نحو غير مباشر من فعل إنجازي آخر[١٦].

وثمة مستويات مختلفة من القوة الإنجازية لدى أوستن، فتكون الأفعال في أوج قوتها حين تعبّر عن الالتزام باستخدام فعل إنجازي قوي كالسؤال، وتتراخى بإظهار وعد، أو نية بعمل فعل ما[١٧] وقد استبعد أوستن الكثير من صور الإخباريات؛ لأنها مجرد أخبار أو تقارير أو وصف، ويعني ذلك -حسب سيرل- أن الإخبار والوصف غرضان إنجازيان شأنهما شأن أي غرض آخر كالرفض والقبول، فالجمل كلها إنجازية.

يتعين على الكلام السابق أن القصد ركيزة مهمة في الفعل الكلامي، فالفعل الصادر عن شخص يرفض في قرارة نفسه دلالته يعدّ فعلًا غير متحقق، وقد يسأل التوحيدي، وهو لا يقصد الحصول على الجواب، وما يصدر عن السؤال والجواب يمثل قوة إنجازية، والفعل الكلامي هو فعل القول المُتَضَمِّن جملة مفيدة، والفعل المتضمَّن في القول، والفعل الناجم عن القول، ويعني ذلك أن للفعل الكلامي ثلاث خصائص: هو فعل دالّ، إنجازي، تأثيري.

ولحديث أوستن وسيرل عن القصد والإنجاز علاقة بثنائية الإنشاء والخبر في تراثنا النقدي العربي.

٢-٢- القصد والإنجاز وقراءة التراث

أعطى أوستن أهمية للجملة الإنشائية بعد أن كانت الجملة الخبرية هي المعيار، ورأى أن الأقوال اللغوية تُظهر نشاطًا اجتماعيًا أكثر من عدّها أقوالًا يعتورها الصدق والكذب، فليست الجمل كلها خبرية.

وتندرج هذه النظرية في التراث العربي في مبحثي الإنشاء والخبر، فالنطق بالإنشاء إنجاز على أرض الواقع، وتحقيق له بخلاف الخبر الذي قد يطابق الخارج، وقد لا يطابقه.

وتحدث بلاغيونا القدامى ونحاتنا عن الخبر والإنشاء، وقد ورد لدى السكّاكي قانونا الخبر والطلب[١٨]، فقد تحدث عن الطلب بدلًا من الإنشاء، وفصّل في علاقتهما بالخارج، وفي المقاصد والأغراض التواصلية التي تختلف التراكيب بحسبها، فيكتمل المعنى عنده في نظام النص من غير أن يهمل الاعتبارات النصية والتداولية.

والخبر -لديه- خطاب تواصلي توافق نسبته الكلامية نسبته الخارجية[١٩]، وهذا جوهر اللسانيات التداولية، وفرّق بين أضرب الخبر من قصد المتكلم، وحال السامع، وما يحيط به، وماز الخبر الابتدائي من الإنشائي والطلبي بحسب درجة الشدة[٢٠] في تحقيق الغرض المتضمَّن في القول.

وتحدث أوستن عن الأفعال الإنجازية Illocutionary Acts وإحداث التلفظ لديه هو إنجاز لفعل، وإنشاء لحدث[٢١] فالفعل حدث حاصل بواسطة الفعل الإنساني، فهو الفعل Act لا الفعل Verb الذي يغدو وسيلة لإنجاز حدث، ومن هنا جاءت تسمية الفعل الكلامي Speech Act فهو حدث أوجده النطق سواء أكان اسمًا، أو فعلًا، أو حرفًا.

وفي تراثنا العربي يورد سيبويه مفهومًا مقاربًا للفعل حين يقول إن الفعل أمثلة؛ أي أبنية أُخذت من لفظ أحداث، ويعني بالأحداث الأسماء والمصادر.[٢٢]

وتحدث سيرل عن الفعل الإنجازي المباشر الذي تطابق قوتُه الإنجازية مرادَ المتكلم بحرفية تامة، ويقدّم منطوقًا واضحًا لا يحتمل التأويل، وعن الفعل الإنجازي غير المباشر، فيوكل إلى السياق الذي لا تظهر الدلالة الإنجازية إلا فيه، ولا يتم التوصل إليها إلا بعمليات ذهنية متفاوتة في البساطة أو التعقيد[٢٣].

ونرى الإشارة إلى هذه الفكرة لدى السكّاكي، فقد اشترك أوستن وسيرل مع السكّاكي في المعايير التي ماز على أساسها الخبر من الإنشاء، فتحدث عن مقتضى الظاهر، والخروج عنه، ويعني بذلك الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة[٢٤].

ويعني ما سبق أننا نستطيع بالأفعال الإنجازية قراءة نصّ تراثي، وتفسير ظواهر خطابية تواصلية لا سيما وأن نصوص أبي حيان التوحيدي نصوص قائمة على الحوار والمحاورة.

٢- أبو حيان التوحيدي والحواريات

٢-١- حياة التوحيدي والثنائيات الضدية

غلب التضاد على حياة أبي حيان بين سعة علم، وضيق حال، وفقر، وألم وأمل، وحسد وسعي، ورغبة في الحياة وتصوّف، ولاحقه الفشل في علاقاته بهدف تحسين حياته، فانتفض انتفاضة فاشلة، وعاش عظمة مأسوية[٢٥].

اتهمه ابن الجوزي بالزندقة[٢٦]، وأنصفه آخرون[٢٧]، فجمع في حياته المتضادات، فهو جاد في عصر هزلي، مفكر حرّ في عالم الفرق والمذاهب، أذاب في أدبه الحدود بين الفكر والمتعة، وعاش في اغتراب فكري ونفسي[٢٨]، والتفكير الفلسفي تفكير اغترابي في جوهره، فعاش الفلسفة تجربة حقيقية، لا تفكيرًا عقليًا مجردًا.

إنه من البلغاء المقموعين، قدّم نصًا أدبيًا وفلسفيًا في نطاق الخواص وأدبهم، ونصًا سيميائيًا يدور في الهامش، نقَد من رفع الأدبُ مقامهم، وقصد مجالسهم في الوقت نفسه، هو رجل الثقافتين الشعبية والخاصة، وعاش في عصره وعلى هامشه؛ لذا كوّن موقعه الخاص، ورؤيته الخاصة، ونزعته الفردية بأسلوب فيه مرارة، لكن هذا الأمر لم يفصله عن الآخر المضاد له، فعبّر عن هذه الرؤية بأسلوب تصنيفي خاص.

٢-٢- أدب أبـي حيـان والنـوع الأدبـي الحواري الجديد

الحوار لدى التوحيدي نوع أدبي قائم في ذاته، مستقل، حوار فلسفي فكري، وليس جزءًا مكونًا من مكونات العمل الأدبي، وقد اهتم بالمعارف كلها؛ لميله إلى الدهشة التي هي منجم التفلسف، وقدم آراءه الفلسفية بطريقة السؤال والجواب، وهي تقنية غير تقليدية، فمزج الفلسفة بالأدب وأنواع المعارف، ويعدّ أسلوب المحاورة الفلسفية نوعًا جديدًا في الكتابة النثرية، وخلخلة للثابت، فقد وعى عصره وعيًا ضديًا بالكتابة، وحين بادله مجتمعه العداء بادلهم الإبداع.

قدم حـوارًا مع مسكويه والسجستاني وابن سعدان، وهو أقرب إلى السند المعروف في التراث العربي، فهو سند من نوع جديد؛ ليجعل لنصوصه مصداقية في السماع والقراءة، وليقف موقفًا جريئًا في تقديم مواقفه، فالسند قناع خاضع لخطة السرد واتجاهه، مرر به أفكاره في الفلسفة والبلاغة والنحو وعلم الكلام، وترجم متضادات عصره في قالب فني قائم على الجدل بين الواقع والمتخيل، فنثرُه من أدب الخيال الذي يضبطه العقل، ويعدّ الإمتاع والمؤانسة أدبًا مجلسيًا يلتقي لياليَ ألف ليلة وليلة مع اختلاف في مضمون الليالي، ولا يشكل أدب المجلس حدثًا حقيقيًا تاريخيًا بل يمثل لعبة تخيلية بارعة، مزج فيها المجلس بالليلة، وكذلك فعل في حواراته مع ابن مسكويه والسجستاني؛ إذ تخيل مجلسًا جمعهما، وقدّم أسئلته العميقة والحائرة، وتلقى الإجابات، وترك لخياله العنان في تخيل الحواريات مستخدمًا لعبة التوثيق في الإحالة إلى شخصيات معروفة، وهو الصوت الذي يلقنها ما تنطق به لقصد معين سيتولى البحث إيضاحه.

إن مجلسه ابتكاري تخيلي، اصطنعه ليُتمّ فعله الإبداعي، فلا يمكن لليلة واحدة في الإمتاع والمؤانسة أن تتحمّل كمَّ المعلومات التي قدّمها، وما يبديه الوزير من أسئلة عميقة لا ينم إلا عن شخصية عميقة فكريًا.

وفي الهوامل والشوامل حوار باتجاه واحد مع ابن مسكويه، وثمة محاورة مع السجستاني في المقابسات، ويسود في المجلس المشهد المسرحي الذي يشتمل على الشخصيات المتحاورة والناطقة بفكره.

وقد تنبه أحمد أمين على هذه النقطة، فوصف الليالي بأنها من طيران الخيال[٢٩]. إنه خيال حقًا، لكنه خيال يمتلئ عقلًا، ويؤسس لنوع أدبي جديد.

ويقف مجلسه على الطرف المضاد من الثقافة الشائعة "قفا نبك" فقد عرف الشعر العربي القديم ثقافة الوقوف، ويمثل أدب أبي حيان ثقافة الجلوس، فالمجلس الثقافي حال ثقافية متطورة عن ثقافة الوقوف الشعرية، وحين يقدم أسئلته الحائرة، وإجاباته للوزير ابن سعدان يجب أن يكون جالسًا[٣٠].

وتثير حواريات أبي حيان سؤالًا: هل هذه الحواريات نوع جديد من ابتكاره؟ أو أن هنالك بذورًا سابقة لها في تراثنا العربي؟

٢-٢- الحواريـات بيـن أبـي حيـان ومـن سبقه

تأثر التوحيدي بالفلسفة اليونانية التي نُقلت إلى العربية في القرن الرابع الهجري، فقد قدّم أفلاطون أفكاره على لسان أستاذه سقراط في حواريات لأسباب فنية، وتتخذ المحاورة طابعًا

دراميًا مسرحيًا، والحوار هو المنهج الذي اتبعه سقراط في هيئة سؤال وجواب، أما الحوار السقراطي فهو تهكم يوقع محاورَه، أو خصمه في الإرباك. ولا تنتهي المحاورة السقراطية إلى نتيجة حاسمة، وتظل المناقشة مُشرَعة الأبواب.

يزعزع الحوار الثقة بالأفكار السائدة، ويعطي انطباعًا بأن السائل يريد أن يتعلم من محاوره، فيحرض المتلقي على التفكير.

ولم يترك أفلاطون ميدانًا من ميادين العلم والمعرفة إلا حاور فيه، وأعطاه تعريفًا جدليًا، وبرهانًا عقليًا، وقد وضع المحاورات على لسان سقراط، وسأل عن خلود الروح أو عدمه، ورأى أن الأشياء تمتلك مضاداتها، واتسمت محاوراته بطابع إبداعي حر، وعُدّت صنفًا أدبيًا تحرر من القيود[٣١].

ونجد في تراثنا العربي بذورًا لما قدّمه التوحيدي لدى أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسِبيّ، ت: ٢٤٣هـ، فقد وضع كتاب الرعاية لحقوق الله، وهو أهم مؤلفاته، تحدث فيه عن قضايا دينية، وأظهر مدى معرفته بخبايا النفس، وتقوم طريقته في التأليف على الحوار؛ إذ تنثال الأسئلة على تلميذه الجنيد، ويجيب المحاسِبي عنها، ويفضي السؤال إلى سؤال آخر، وهي طريقة شبيهة بأسلوب سقراط، فقد كان هو واضع السؤال العميق والجواب[٣٢].

ويعدّ الجاحظ ملهم أبي حيّان، وقد سبقه إلى أدب السؤال، فقد ألقى على معاصره أحمد ابن عبد الوهاب مئة مسألة من مسائل العلوم المختلفة بقصد إحراجه والسخرية منه في التربيع والتدوير[٣٣]، وانثالت الأسئلة من غير جواب؛ لأن هدفه السخرية منه، أما أبو حيان فيعدّ فيلسوف السؤال، فقد أثار أسئلة تنهض على أساس فلسفي، فكيف تجلّى القصد والإنجاز في حواره مع ابن مسكويه؟

٤- السؤال القلِق والجواب الجامد: حواره مع ابن مسكويه أنموذجًا

٤-١- القصد والإنجاز في استعارة اسم ابن مسكويه

يبيّن أسلوب المحاورات أن لكل إنسان فلسفته من جهة، ومن جهة أخرى تعدّ الحواريات إيمانًا بعدم وجود ثوابت في الحياة، فالفكر الجدلي فكر نام.

ويعدّ التفلسف نوعًا من التنفيس عن ضغوط الحياة، ورغبة في التمتع بالوجود كما يجب أن يكون[٣٤].

ويحيل السؤال على الطلب، أما السؤال الفلسفي فهو استدعاء للمعرفة، أو ما يؤدي إليها[٣٥]، وتبنى الفلسفة على السؤال، فتكون شرطًا لحصول المعرفة، ويتوالد عن السؤال الفلسفي أسئلة كثيرة[٣٦] وقد أصرّ التوحيدي على ثقافة السؤال وسيلة لعرض أفكاره[٣٧]، إنه رجل التجديد، لا الاتباع والتقليد.

وحين حاور ابن مسكويه وضع نفسه في مقام واحد معه، فلم يكن سؤاله سؤال التلميذ الطالبِ المعرفةَ، بل سؤال الخبير.

وتركز نظرية أفعال الكلام بالدرجة الأولى على الخبر والإنشاء، والإنشاء في سؤال التوحيدي إنشاء طلبي يناسب الجو الحواري، تتولد به معانٍ مستنتجةٌ من السياق، حينها يتم الانتقال من الفعل الإنجازي المباشر إلى الفعل الإنجازي غير المباشر.

سأل أبو حيان عن كل شيء، حتى إنه سأل عن السؤال نفسه:

"لمَ صار اليقين إذا حدث وطرأ لا يثبت ولا يستقر؟ والشك إذا عرض أرسى وربضَ؟ يدلك هذا على أن الموقنَ بالشيء متى شكّكته نزا فؤاده وقلق به، والشاكّ متى وقفتَ به وأرشدته وأهديت الحكمة إليه لا يزداد إلا جموحًا، ولا ترى منه إلا عتوًا ونفورًا.

الجواب: ... فإن مرتبة اليقين أعلى مرتبةٍ تكون في العلم، وليس يجوز أن يطرأ عليك شكّ بعد أن صار يقينًا...."[٣٨]

تشتمل الأفعال الطلبية -الاستفهام هنا- على قوة إنجازية أكبر من الخبر[٣٩] ونجد أن الاستفهام هنا قد أنجز وظيفة تواصلية، وثمة علاقة عميقة بين قصد التوحيدي ومقام التلقي، وخروج الكلام على غير مقتضى الظاهر إنجاز لفعل كلامي غير مباشر[٤٠].

في سؤال التوحيدي صياغة استفهامية، وقسم خبري "يدلك هذا على أن الموقن بالشيء متى شككته نزا فؤاده..."، ويعني ذلك أن السؤال يحدد الرد للطرف الآخر، ويقيّده بالجواب الذي يريده، فتوجيه السؤال توجيه للجواب في الوقت نفسه، وهنا يحدث انقلاب في طرفي الثنائية، فالهوامل -أي الإبل السارحة- تغدو شوامل -أي تغدو إبلًا مضبوطة- إن هوامله أسئلة غير تقليدية تهتم بالمتلقي، وحين يخاطب ابن مسكويه يخاطب الفكر الرسمي في عصره، فقد كان خازن كتب عضد الدولة، وخازن بيت المال، واستدراجه لتقديم إجابة عن سؤال قلق وعميق تجلية لموقف منه، وهو يمثل الطبقة التي يرفضها، وينتقدها داخليًا[٤١].

إن اسم ابن مسكويه موضع عنايته؛ لأنه مقبول اجتماعيًا وفكريًا، وقد وجه إليه نقدًا في الإمتاع والمؤانسة[٤٢]، وظهر ابن مسكويه في جوابه مفكرًا يقدم إجابة قطعية عن سؤال التوحيدي "وليس يجوز أن يطرأ عليك شك بعد أن صار يقينًا" والعقل حركة تطورية دائمة لا تقبل اليقين المطلق، فيغدو العقل عند ابن مسكويه في الجواب/ الخبر مغلقًا على معلومات محددة، وهنا يظهر التضاد بين الصورة التي يرسمها التوحيدي عن نفسه والجمود في جواب ابن مسكويه، فهو منفتح العقل حين أثار سؤاله القائم على الشك، ويعني السؤال الدائم تعدد وجوه الحقيقة، وتصعيدًا لحركة العقل، وليس ثباتًا عند يقين جامد وثابت[٤٣] فغدت شخصيته متحركة ونامية وقلقة وباحثة عن المعرفة، وغدت شخصية ابن مسكويه جامدة تركن إلى سكون اليقين، إنه يرى أن الشك فكر، واليقين حس، والفكر أعلى مرتبة من الحس[٤٤].

ونجد في ثنائية الخبر والإنشاء هنا نسقًا مضمرًا في تقديم الجواب اليقيني، فهو ينتقده ضمنيًا باستسلامه إلى اليقين في حين لم يعرف عقله الراحة يومًا، فيبدو تحميله الجواب على لسان ابن مسكويه منطويًا على قدر من السخرية منه، والنقد الموجّه إليه[٤٥].

يبدو التوحيدي راغبًا في قلب الأدوار، فيغدو بسؤاله أستاذًا، ويحاول تحريك الراكد في فكر المتلقي فيما يتعلق بالشك واليقين متمردًا على السلطة المثقفة ممثلة بابن مسكويه.

إن الخبر/ الجواب تقليد يمثل اتباعًا لعصور أخرى توصلت إلى نتائج بطريقتها الخاصة، ويقلد المقلد من غير أن يمحّص، فلا تُشبع

الإجابات القطعية نهم التوحيدي إلى المعرفة؛ لذا تفتح الإجابة بابًا لسؤال جديد رفضًا لليقين، وحفاظًا على استعلائه الخاص[٤٦].

إنه يحاول أن يحجز مكانة لسؤال الفكر الرفيع، ويتمرد على الجمود في فكر مجتمعه؛ لذا يبدو أن ثمة قصدًا وراء الخبر/ الجواب، لقد وضع التوحيدي هذ الحوار الافتراضي؛ ليظهر أهمية السؤال، ويجعل المتلقي موازنًا له مع الرؤية القارة في الجواب، فيغلق جواب ابن مسكويه باب السؤال الجديد في الموضوع نفسه، لكن ما أنجزه التوحيدي بالإنشاء وما قدمه بالخبر يكشف عن رؤية إنسانية عميقة تؤمن بالعقل، وتفتح باب الاجتهاد "الشاك لا يزداد إلا جموحًا، الموقن بالشيء متى شككته نزا فؤاده وقلق به" لقد أراد أن يُظهر ضعف ابن مسكويه، فالعلاقة بينهما علاقة صراع فكري.

لا يريد باستفهامه الحصول على جواب، فقد انطوى على وصف، وللوصف قيمة إخبارية، ففي صياغة السؤال إيحاء بالقدرة الفائقة على التكلم والخوض في أعماق المشكلة المثارة، وقد بدأ بفعل استهلالي له قوة إنجازية "لم صار اليقين إذا حدث وطرأ لا يثبت ولا يستقر؟" فهو يغري بالاستماع، فقام الإنشاء هنا بفعل إنجازي، وارتبط بقوة إغرائية.

ونجد أن الإنشاء/ الاستفهام يغدو خبرًا لديه؛ إذ يضمّن الجواب الذي يريده قبل أن يبادر ابن مسكويه الإجابة، يسأله عن العلم، ويسبقه إلى الإجابة:

""لم طلبت الدنيا بالعلم والعلم ينهى عن ذلك؟ ولم يُطلب العلم بالدنيا والعلم يأمر بذلك.

وقد يقول من ضعفت غريزته، وساء أدبه، وجرؤ مقدمه: قد رأينا من ترك طلب الدنيا بالعلم، ورأينا من طلب العلم بالدنيا، فليعلم أن المسألة ما وُضعت هناك، ولا فُرضت كذاك، ولو سدّد هذا المعترض فكره عرض الفحوى، ولحق المرمى..."[٤٧].

فلا يتطلع إلى إجابة، بل يعبر عن رؤية إشكالية للكون، فسؤاله سؤال غريب عن مجتمعه حتى غدا سؤاله سؤال الغربة، لا غربة السؤال، ويثار هنا سؤال: لماذا تقنع التوحيدي باسم مسكويه في الجواب؟

٤-٢- القصد والإنجاز وسخرية التوحيدي

قدّم التوحيدي صورة ساخرة لابن مسكويه - قاصدًا - عن طريق الأفعال الكلامية غير المباشرة، ويتضمن الجواب وصفًا، والوصف - لدى أوستن[٤٨] - وصف إنجازي.

إن الجواب إثبات، إخبار، سكون، جمود، أما السؤال فهو إنشاء، طاقة، حركة، حيوية، يسأل التوحيدي عن الضوء والبرق والرعد:

"لم كان صوت الرعد إلى آذاننا أبطأ، وأبعد من رؤية البرق إلى أبصارنا؟

الجواب: أما البرق فإنه استحالة الهواء إلى الإضاءة، ولما كان الهواء سريع القبول للضوء، بل يستضيء في غير زمان، وذاك أن الشمس حين تطلع من المشرق يضيء منها الهواء في المغرب بلا زمان، وكذلك الحال في كل مضيء كالنار وما أشبهها إذا قابل الهواء قَبِل منه الإضاءة بلا زمان وكان الهواء متصلًا بأبصارنا لا واسطة بيننا وبينه وجب أن يكون إدراكنا أيضًا بلا زمان... فأما الرعد فلما كان أثره في الهواء

بطريق الحركة والتموج لا بطريق الاستحالة وجب أن يكون وصوله إلى أسماعنا بحسب حركته في السرعة والإبطاء، وذلك أن الصوت هو اقتراع في الهواء يموّج ما يليه من الهواء كما يموّج الحجر الجزء الذي يليه من الماء إذا صُكَّ به، ثم يتبع ذلك أن يموِّج أيضًا بعض الماء بعضًا، وبعضُ الهواء بعضًا عن طريق المدافعة بين الأجزاء إذا كانت متصلة."[٤٩]

أدرك أبو حيان أن الضوء أسرع من الصوت بسؤاله، أما الجواب على لسان ابن مسكويه فيحمل خطأ علميًا لا يوجد في السؤال، لقد ظن أن الهواء يستحيل إلى نور، فنراه بمجرد ظهوره، أما الرعد فينتقل بحسب الموجات كأمواج البحر، ومن المعلوم -علميًا- أن الضوء أسرع من الصوت[٥٠]

إن تسجيل الإجابة، وعدم التعقيب عليها دليل على أنه وضعها، وتمثّل قصده من الكلام، فمن أبسط مستلزمات الجو الحواري التعقيب على الإجابة، والتفريع منها للوصول إلى إجابة لاحقة، فيتكلم بلسان ابن مسكويه، ويتشبه به، ويوهم المتلقي أنه السائل فقط، مدخلًا تغييرًا على صوته ليلائم سياق الحوار الذي يفترضه.

لقد صرّح عنترة منذ زمن "هل غادر الشعراء من متردّم؟" لقد غادر أبو حيان حين اختط لنفسه نوعًا أدبيًا حواريًا قصديًا جديدًا.

يذكر في الإمتاع والمؤانسة سؤال ابن سعدان عن صيغة تَفعال وتِفعال، فيلجأ إلى ابن مسكويه:

"فلما عدت إلى المجلس قال: ما تحفظ في تَفعال وتِفعال، فقد اشتبها؟ وفزعت إلى ابن عُبيد الكاتب فلم يكن عنده مقنع، وألقيتُ على مسكويه، فلم يكن له فيها مطلع، وهذا دليل على دثور الأدب، وبوار العلم، والإعراض عن الكدح في طلبه.."[٥١]

ويورد في الهوامل والشوامل أسئلته المتناسلة وجواب ابن مسكويه:

"لمَ تواصى الناس في جميع اللغات والنِّحل، وسائر العادات والمِلل بالزهد في الدنيا، والتقلل منها، والرضا بما زجا به الوقت، وتيسر مع الحال، هذا مع شدة الحرص والطلب، وإفراط الشَّرَه والكَلَب، وركوب البر والبحر بسبب ربح قليل وربح نزر... وهات السبب في ذلك والعلة، وعلى ذكر السبب والعلة فما السبب والعلة؟ وما الواصل بينهما إن كان واصل؟ وهل ينوب أحدهما عن الآخر؟ وإن كانت هنالك نيابة أفهي في كل مكان وزمان؟ أو في مكان دون مكان وزمان دون زمان؟ وعلى ذكر المكان والزمان ما الزمان وما المكان؟ وما وجه التباس أحدهما بالآخر؟ وما نسبة أحدهما بالآخر؟ وهل الوقت والزمان واحد؟ والدهر والحين واحد؟

الجواب": ارفق بنا أبا حيان -رفق الله بك- وأرخِ من خناقنا... ودعنا وما نعرفه في أنفسنا من النقص، فإنه عظيم، وما بُلينا به من الشكوك فإنه كثير، ولا تُبَكِّتنا بجهل ما علمناه، وفوتٍ ما أدركناه، فتبعثَنا على تعظيم أنفسنا، وتمنعَنا من طلب ما فاتنا، فإنك -والله- تأثم في أمرنا، وتقبح فينا، أسأل الله أن لا يؤاخذك..."[٥٢]

إن ثمة إنجازًا لفعل كلامي غير مباشر في الخبر/ الجواب من قبل التوحيدي، وقصدًا، فقد حاول النيل منه، وينجم الأمر عن تذمّر واحتجاج من قبل التوحيدي، ورفض لعصره، فقد ظهر ابن مسكويه ذا معرفة سطحية بالفلسفة، وقد عُرف

عنه أنه كان بخيلًا، مغرورًا، حريصًا على الثروات، محبًا للمشاجرة والنزاع، منافقًا[٥٣]، وربما يُعزى ذلك إلى الفقر والتزاحم على أبواب أصحاب التشريفات، فقد قضى الرجل أجمل سنيّ عمره في خدمة كبار رجالات عصره، وتلقى تربية تعلمه كيفية التصرف في بلاط الملوك، ودخل في عالم الوزراء والأمراء، وحظي برعاية الوزير المهلبي، وأبي الفضل ابن العميد، وأبي الفتح بن العميد، وعضد الدولة أكبر أمير بويهي، فكان لديه صراع بين أن يكون حكيمًا وطموحاته المادية[٥٤].

يرى أركون أن التوحيدي أثار الأسئلة من غير أن يبالي بالأجوبة، فهي هوامل كالإبل التي تترك سارحة في البرية، أما ابن مسكويه فقد حرص على تقديم أجوبة استقصائية تشمل جوانب المسألة المطروحة، ويرى أنه لا يوجد حسد بين التوحيدي وابن مسكويه، وكان الأمر طبيعيًا بين سائل ومجيب[٥٥] ونسجل اختلافنا معه في هذه النقطة، فلم تبد إجابات ابن مسكويه استقصائية، ولا شوامل ضبطت هوامل التوحيدي، يضاف إلى ذلك التناقض الذي وقع به أركون في غير موضع[٥٦].

إن لدى ابن مسكويه صراعًا عنيفًا بين الحصول على الملذات، والعزوف عنها، أما التوحيدي فلديه صراع عنيف بين الحصول على الملذات والفشل في السعي إليها؛ لذا أنجز فعلًا كلاميًا غير مباشر رافضًا متمردًا في الخبر بلسان ابن مسكويه الذي ظهر ممتلكًا ثقافة واسعة لكن التوحيدي قصد إلى إظهارها جامدة، فسعى إلى إثبات تفوّقه عليه، ورسوخه في العلم والصناعة[٥٧]، وقد عُرف ابن مسكويه بأنه كان يولي أهمية لشرائط العقل، ويربط السبب بالنتيجة، أو المعرفة الحسية التجريبية، ولم يكتف باكتشاف الأسباب الخاصة بتلك العلوم حتى يصل إلى المبدأ الأعلى[٥٨].

لقد مكّنه الحوار من تحميل الكلام معنى ضمنيًا، وقد أدرج السكاكي وأوستن وسيرل الخبر في إطار التقريريات، ويعني ذلك أن التقرير مدرج في مسؤولية المتكلم على صحته أو عدمها، فحين يقدم ابن مسكويه جوابًا قاطعًا بالخبر/ التقرير يتحمل مسؤولية صدق الكلام أو عدم صدقه، وهو ما قصده سيرل بالتقريريات[٥٩].

أما الاستفهام/ السؤال فهو متنقل بين الخبر والإنشاء بحسب قصد التوحيدي، وغرضه، فالأفعال الكلامية التي قدّمها تصرّف واع مقصود، وقد تحوّل السؤال لديه إلى إفحام خصمه ابن مسكويه، فلم يكن فعلًا كلاميًا مباشرًا[٦٠].

ولأن المعرفة لا حدود لها انتقل بأسئلته إلى الإمتاع والمؤانسة، ثم إلى المقابسات مثبتًا أن المبدع الحقيقي لا يبدع خارج أسئلته.

٥- القصد والإنجاز والسؤال والتساؤل: حواريات مع السجستاني أنموذجًا

السؤال الفلسفي سؤال حائر، لا يقبل الإجابات القطعية، ونفرّق بين السؤال الذي يعني توجيه الحوار إلى الآخر والتساؤل الذي يعني الحوار مع الذات، وكلاهما ينهض على أساس فلسفي، فهي أسئلة تتجاوز مستوى طلب المعرفة، أهم من الإجابة التي قد تكون ضعيفة أو قوية، متغيرة أو ثابتة، أما السؤال الفلسفي لديه فيحتفظ بقيمته، فقد دعا إلى البحث بالسؤال الفلسفي.

وتعدّ الإخباريات، أو التقريريات أفعالًا تجعل

المتكلم مسؤولًا عن تحقيق واقعة ما، وعن صدق القضية التي يتحدث عنها، والتي قد تكون صادقة وقد تكون كاذبة، إنها تمثيل لحالة كما يراها المتكلم[٦١]. وقد جعل الجواب في المقابسات على لسان أستاذه السجستاني إما للتوفيق بين رأيين، أو للانتصار لرأي على حساب الآخر.

٥-١- الفعل الكلامي غير المباشر للخبر مع السجستاني

أعجب التوحيدي بأستاذه السجستاني مع أنه أخذ عليه التقطيع في العبارة، واللكنة الناشئة عن العجمة، وقلة النظر في الكتب، وفرط استبداد الخاطر[٦٢]؟ وحين يسأل عن النظم والنثر يأتي جواب السجستاني موافقًا رأيه:

"قال أبو سليمان: وقد جرى كلام في النظم والنثر: النظم أدل على الطبيعة؛ لأن النظم من حيّز التركيب، وإنما تقبَّلنا المنظوم بأحسنَ مما تقبلنا المنثور؛ لأنا للطبيعة أكثر منا بالعقل، والوزن معشوق للطبيعة والحس، ولذلك يُفتقر له عندما يعرض استكراه في اللفظ. والعقل يطلب المعنى، فلذلك لا حظّ للفظ عنده... ثم قال: ومع هذا ففي النثر ظلّ النّظم، ولولا ذلك ما خفّ ولا حلا ولا طاب.. وفي النظم ظلّ من النثر، ولولا ذلك ما تميزت أشكاله، ولا عذبت موارده ومصادره..."[٦٣]

يأتي الجواب بعد أن يسرد التوحيدي الرأيين المتضادين حول تفضيل أحد الطرفين على الآخر، فيقدم بالجواب صيغة توفيقية بين الرأيين، ويمثل هذا الرأي رأيه الخاص حين سأله الوزير ابن سعدان عن تفضيل أحد الطرفين على الآخر:

"خير الكلام ما قامت صورته بين نظم كأنه نثر، ونثر كأنه نظم، يُطمع مشهوده بالسمع، ويمتنع مقصوده عن الطبع"[٦٤].

ولا تمثل حواراته هنا جمعًا لأقوال السجستاني، إن هنالك قصدًا سابقًا للكتابة، ونجد أمثلة كثيرة عن تقديم رأيه الخاص على لسان السجستاني كحواره معه حول النحو والمنطق، فيوفق أبو سليمان بينهما، قائلًا:

"النحو منطق عربي، والمنطق نحو كلي... المنطق آلة يقع بها الفصل والتمييز بين ما يقال هو حق أو باطل"[٦٥].

يقدّم في السؤال وجهتي النظر، ويجعل إجابة السجستاني موفقة بين الطرفين، ولأن عقل التوحيدي لا يركن إلى الثوابت يجعل الباب مفتوحًا في نهاية المحاورة لآراء أخرى، فيقول على لسان السجستاني:

"والنحو يدخل المنطق ولكن مرتبًا له، والمنطق يدخل النحو، لكن محققًا له.. والنحو شكل سمعي، والمنطق شكل عقلي..."[٦٦]

رفع المنطق لارتباطه بالعقل، أما النحو فمرتبط بالحس اللغوي، وتبقى محاولة التوفيق بينهما قائمة، ويأتي الخبر فعلًا إنجازيًا غير مباشر، قدّمه التوحيدي على لسان أستاذه؛ ليضمن لأفكاره الانتشار والقبول، وهو يسند كلامه إلى شخصية حقيقية لها حضور فاعل في المشهد الثقافي؛ لذا يصبح كلامه ذا سلطة؛ لأنه مرتبط بمحاوِر يعدّ حجة.

ويمثل هذا الأمر اختفاء المؤلف الحقيقي/ التوحيدي في الجواب/ الخبر، وثمة تأثر بأستاذه الجاحظ في هذا الأمر؛ لأنه نسب الكلام إلى غيره في بداياته.

يقول الجاحظ: "وربما ألفتُ الكتاب الذي هو دونـه في معانيه وألفاظه، فأترجمه باسم غيري، وأحيله على مَن تقدّمني عصره، مثل ابن المقفع والخليل وسَلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد، والعتّابي ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب، فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم، الطاعنون على الكتاب الذي كان أحكمَ من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب، وقراءته عليّ، ويكتبونه بخطوطهم، ويصيّرونه إمامًا يقتدون به، ويتدارسونه بينهم، ويتأدبون به، ويستعملون ألفاظه ومعانيه في كتبهم وخطاباتهم، ويروونه عني لغيرهم من طلاب ذلك الجنس، فيثبت لهم به رياسة، ويأتمّ بهم قومٌ فيه لأنه لم يترجم باسمي، ولم يُنسب إلى تأليفي."[٦٧]

هذا الخيال فعالية من فعاليات العقل، هو العالم كما يريده التوحيدي، أو كما يتخيله، وحين يعرض أسئلته ويكون له هدف مضمر منها يلجأ إلى التقنع.

٥-٢- الجواب/ الخبر والقناع

يسأل التوحيدي أبا سليمان: "فهل بلاغة أحسن من بلاغة العرب؟ "فيجيب:

"هذا لا يبين لنا إلا بأن نتكلم بجميع اللغات على مهارة وحذق، ثم نضع القسطاس على واحدة واحدة منها حتى نأتي على آخرها وأقصاها ثم نحكم حكمًا بريئًا من الهوى والتقليد والعصبية والمَين، وهذا لا يُطمع فيه إلا ذو عاهة، ولكن قد سمعنا لغات كثيرة من أهلها -أعني من أفاضلهم وبلغائهم- فعلى ما ظهر لنا، وخُيِّل إلينا لم نجد لغة كالعربية.... وذلك لأنها أوسع مناهج، وألطف مخارج، وأعلى مدارج، وحروفها أتمّ، وأسماؤها أعظم، ومعانيها أوغل، ومعاريضها أشمل، ولها هذا النحو الذي حصته منها حصة المنطق من العقل، وهذه خاصة ما حازتها لغة على قرع آذاننا وصحب أذهاننا من كلام أجناس الناس..."[٦٨].

لجأ إلـى أسماء التفضيل "أوسـع- أعلى- ألطف.." في حديثه عن العربية حماسةً لها مع أنه بدأ بداية منطقية، ونسب الكلام إلى السجستاني؛ ليبعد شبهة الانحياز إلى العربية عن نفسه، فتحدث بلسان مثقف من عصره، وحين حمّله الجواب جعل هذا الجواب رأيًا جماعيًا؛ ذلك لأنه رأيُ عالِم متبحِّر، ونراه يؤكد الكلام المنسوب إلى السجستاني هنا بكلام له في الإمتاع والمؤانسة حين يقول:

"سمعنا لغات كثيرة... فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية، أعني الفُرَج التي في كلماتها، والفضاء الذي نجده في حروفها، والمسافة التي بين مخارجها، والمعادلة التي نذوقها في أمثلتها، والمساواة التي لا تُجحد في أبنيتها..."[٦٩].

ويبدو كلام السجستاني موضوعيًا، لكنه لا يكتفي بتفضيل العربية، وعدّها الأكثر بلاغة، بل يعدّد الأسباب التي جعلته يتخذ هذا الرأي، ويأتي كلامه في عصر تراجعت فيه العربية، وظهر اللحن.

ولأن جواب السجستاني هو رأي التوحيدي نفسه نجد أنه قام بعملية تناسخ، وتحوّل سؤاله إلى تساؤل بينه وبين نفسه، ولو أُغفِل اسم السجستاني لنسبنا هذا الكلام إلى التوحيدي؛ لأنها أفكاره، لكنّ إنجازه فعلًا لغويًا غير مباشر في الجواب يجنّبه تهمة الطعن فيما يكتبه، والسرقة في مرحلة لاحقة.

لقد عانى الفقر والتهميش في حياته، وحين ينسب الكلام إلى السجستاني يحظى رأيه بحسن التقدير، فالكتابة مصدر لقمة عيشه، وحين حاور السجستاني قال بطريقة غير مباشرة إنه في عداده، وتُعلي طريقة التقنّع باسم السجستاني من شأنه بوصفه كاتبًا مجنحًا بالخيال.

إنه يوجه الأنظار إلى السجستاني، ويمنحه الفعل الكلامي، ويعني ذلك إقصاء أية إجابة أخرى من قبل طرف آخر، وحين يسأل يوهم القارئ بأنه يجهل الجواب، ويطلب المعرفة، فيأخذ السجستاني دور مَن له سلطة لينطق بالجواب الشافي.

إن المعنى في الجواب إنجازي، خاضع لقصد التوحيدي، وحال السامع، ونلاحظ أن إجابات السجستاني خالية من المؤكّدات، ويعني ذلك أن قصد المتكلّم مطابق لحال مخاطبه، فالمتلقي -كما يؤكد السكاكي[٧٠]- إذا كان شاكًّا، أو مترددًا فمقتضى الحال تأكيد الخطاب بمؤكّد واحد، وإذا كان منكرًا للخطاب تم التأكيد بأكثر من مؤكد، فلا توجد درجة شدة في الجواب، ويعني ذلك أنه جواب التوحيدي، وأن السؤال غدا تساؤلًا بينه وبين نفسه.

إن الشدة في الجواب دليل شك التوحيدي، أو إنكاره، ويعني ذلك أن لا فصل بين الخبر والإنشاء، فيتحقق الإثبات مثلما يتحقق الاستفهام، وهو ما يؤكده أوستن حين يرى أن الإثبات هو بالضبط إنجاز قوة فعل الكلام، كأن تعلن أو تحذر، فالعبارات كلها إنجازية. [٧١]

إن الكتابة باسم مستعار عشق للجو الحواري الذي آمن به التوحيدي، وتحفيز للرأي والرأي الآخر، والحوار أقدر على إيصال الفكرة من الطابع السردي، فيضمن لأفكاره الانتشار، ويغدو جزءٌ من المجتمع حاملًا فكره، ويغدو كلُّ شيء عنده خاضعًا للمراجعة والسؤال:

"فلم استغنى في نهاية المعقول عن الحس، ولم يستغن في نهاية الحس عن العقل؟"[٧٢]

"ما السبب في أن السرّ لا ينكتم البتة؟"[٧٣]

وحين يجيب أبـو سليمان يعلق التوحيدي: "وهذه مسألة في الهوامل، ولها جواب آخر في الشوامل"[٧٤].

إنه الولع بثقافة السؤال، فكل شيء لديه خاضع للمراجعة، ويقع العقل بين الشك واليقين، فمن يسأل لا يقف عند الشك، ولا يصل إلى اليقين، والتقليد لديه عدو للعقل؛ لأنه وصول إلى أفكار هي نتاج عقول أخرى من غير فحص.

ويؤكد هذا التداخل النصي بين كلامه وكلام السجستاني أن الكلام له، فيقول عن المنطق إنه آلة من آلات الكلام يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه[٧٥]، ويقول على لسان السجستاني في المقابسات: المنطق آلة بها يقع الفصل والتمييز بين ما يقال هو حق أو باطل[٧٦].

إن كتابة التوحيدي خاضعة لعمليتي القصد والوعي، ويعدّ غيابه في الجواب أشدَّ فاعلية من الحضور؛ لأنه مشبع بالدلالة، فالحوار مع الآخر/ السجستاني صور يشكلها التوحيدي من نفسه، ولتخفّيه بعد تداولي، ويمكن أن نقول: كلما زاد تعيين اسم الشخصية المحاوَرَة وحضورها ظهر حضور أنا التوحيدي بها، فالأمور الخفية تجعلها أضدادها مرئية.

وإذا كان قد لجأ إلى تقنية الحوار الافتراضي

مع التوحيدي هنا فإنه قد احتجّ بأقواله في مسامرته الوزير ابن سعدان.

٦- المجلس والقدرة على التغيير: حواره مع الوزير ابن سعدان أنموذجًا

٦-١- الإنشاء والخبر والتقنع في الصيغة

يمثل حواره مع الوزير ابن سعدان أدب مجلس، ولا يقدّم هذا الأدب صورة حقيقية عنه، بل يقدم رؤيته الخاصة له، وقد أظهر -في نسق سردي- أنه مضطر لفعل الكتابة بسبب ضغط أبي الوفاء المهندس[٧٧] عليه، وكان في استطاعته أن يسرد له شفهيًا ما دار في المجلس مع الوزير، لكنّ ثمة قصدًا في الكتابة، فلحواراته ومؤانساته طبيعة تخيلية، واستخدم لعبة التوثيق التاريخية؛ ليضفي وثوقًا على كلامه، وللتوحيدي إشارة تنبئ بتصرفه في الليالي، وبعدم مماثلة المنطوق للمكتوب، وباعترافه أنه هو واضع المسامرات:

"أيها الشيخ -وفقك الله في جميع أحوالك، وكان لك في كلّ مقالك وفعالك- إنما نثرت بالقلم ما لاقَ به، فأما الحديث الذي كان يجري بيني وبين الوزير فكان على قدر الحال والوقت والواجب، والاتساعُ يتبع القلم ما لا يتبع اللسان، والروية تتبع الخط مما لا تتبع العبارة، ولما كان قصدي فيما أعرضه عليك، وألقيه إليك أن يبقى الحديث بعدي وبعدك لم أجد بُدًّا من تنميق يزدان به الحديث، وإصلاح يحسن معه المغزى، وتكلّف يبلغ بالمراد الغاية.."[٧٨].

يطلب التوحيدي في بداية مسامراته المساواة بينه وبين الوزير:

"قلتُ: يؤذَن لي في كاف المخاطبة، وتاء المواجهة حتى أتخلص من مزاحمة الكناية، ومضايقة التعريض، وأركب جدد القول من غير تقيّة ولا تحاش، ولا محاوبةٍ ولا انحياش."[٧٩]

ووجد ضالته، فقد ظلمه مجتمعه، وعاش فيه غريبًا، لقد تعرض لظلم ابن عباد: "إني رجل مظلوم من جهته، وعاتب عليه في معاملتي، وشديد الغيظ لحرماني"[٨٠].

تحدّد العلاقة بين المتكلم والمخاطب طبيعة الحوار، والمؤانسة عملية حوارية بين طرفين، وقد أتى الخبر في كلام التوحيدي بمعنى الطلب: "يؤذن لي" أي ائذن لي، فخرج عن مقتضى الظاهر، فوضع الخبر في موضع الطلب، واستخدمه لإنجاز فعل كلامي، وتحمل هذه الطريقة في الكلام قوة إنجازية، فالخبر كالاستفهام، وكلاهما إنشاء، وهذا ما قصده أوستن حين تحدث عن ضروب الإثبات في الجملة الخبرية[٨١] فقوله "يؤذن لي" يدل على أنه أثبت السماح له بالحديث من غير تكلف، فقد افترض موافقة الوزير، وانطلق من افتراض يعدّ خلفية تواصلية ضرورية لنجاح عملية التواصل.

ويعدّ إزالة الحاجز بينهما جرأة منه؛ لأنه يدرك وضعهما، لكنه حصل على مراده بالفعل الإنجازي غير المباشر.

٦-٢- الحوار وفعل التغيير

يوجه الوزير ابن سعدان الأسئلة إلى أبي حيان، ويجيب عنها مؤيدًا كلامه بأقوال السجستاني والسيرافي وغيرهما ممّن عُرف عنه العلم والحكمة.

"قال الوزير في بعض الليالي: قد -والله- ضاق صدري بالغيظ لما يبلغني عن العامة، وخوضها في حديثنا، وذكرها أمورنا، وتتبّعها

لأسرارنا، وتنقيرها عن مكنون أحوالنا ومكتوم شأننا، وما أدري ما أصنع بها، وإني لأهمُّ في الوقت بعد الوقت بقطع ألسنةٍ وأيدٍ وأرجلٍ وتنكيل شديد..

فقلت: أيها الوزير عندي في هذا جوابان: أحدهما ما سمعتُ من شيخنا أبي سليمان.... فإنه قال: في هذه الأيام ليس ينبغي لمن كان الله عز وجل جعله سائس الناس: عامتهم وخاصتهم، وعالمهم وجاهلهم، وصنيعهم وقويهم، وراجحهم وشائلهم أن يضجر مما يبلغهم عنه، أو عن أي واحد منهم لأسباب كثيرة منها: أن عقله فوق عقولهم، وحلمَه أفضل من حلومهم، وصبره أتمّ من صبرهم..."[٨٢].

استنكر الوزير خوض العامة في حديث القادة، وقدم أبو حيان جوابين، أحدهما رأي للسجستاني، فتسلح بقوله، وبدا راويًا فقط، ومرويًا له في الوقت نفسه.

إن ثمة طموحات إصلاحية في جوابه، فانتقد الظلم، ودعا إلى السياسة الرشيدة، وقدّم رأيه بفعل كلامي غير مباشر، ويحمل الفعل الكلامي غير المباشر معنى زائدًا، فقد ضغط لغويًا على الوزير بكلام السجستاني ليُحدث تغييرًا اجتماعيًا وسياسيًا، ويراعي الفعل الكلامي غير المباشر المتلقي أكثر من الفعل الكلامي المباشر، ويجعل التوحيدي متهربًا من مسؤولية الخطاب مع الوزير.

وقد أقر أبو حيان في الإمتاع بخلو عصره من الحكام العادلين كما كانت الحال سابقًا، وأراد توجيه رسالة لابن سعدان، فجعل النقد على لسان السجستاني الذي حمّل الحاشية مسؤولية الفساد في البلاد: "ومنابع الفساد، ومنابت التخليط كلها من الحاشية التي لا تعرف نظام الدولة، ولا استقامة المملكة، وإنما سؤلها تعجيل حظ، وإن كان نزرًا، واستلاب درهم وإن كان زيفًا."[٨٣]

ويتيح له تقنعه هذا أن يعبر بحرية عما يريده، وقد حوّل موقف ابن سعدان في نهاية المسامرات من الجهل إلى العلم، فلم يكن عنده هذا كله: "فلما سمع الوزير هذا عجب، وقال: لا أدري أكلام أبي سليمان في ذلك الاحتجاج أبلغ أم الحكاية عن المعتضد أشفى؟..."[٨٤].

وقد اختار الليالي إطارًا لمسامراته مما يذكّرنا بليالي شهرزاد، فقام بدورها في تقديم نصّ أعدّه سابقًا، قائم على الحوار؛ ليصلح حال الوزير، ولترسيخ فكره في اللا وعي الجمعي، فالليالي إصلاح في وجه قوى الفساد في المجتمع، لكنّ علاقته بالسلطة علاقة استرضاء لنيل المكاسب في الوقت نفسه، فقد راعى سخط أبي الوفاء عليه فيما دونه في الليالي:

"أفكان من حقي عليك... أنك تخلو بالوزير -أدام الله أيامه- ليالي متتابعة ومختلفة، فتحدّثه بما تحب وتريد، وتلقي إليه ما تشاء وتختار، وتكتب إليه الرقعة بعد الرقعة، ولعلك في عُرض ذلك تعدو طورك بالتشدّق، وتجوز حدك بالاستحقار، وتتطاول إلى ما ليس لك، وتغلظ في نفسك، وتنسى زِلّة العالِم، وسقطة المتحرّي، وخَجْلةَ الواثق."[٨٥]

وكان لأبي حيان رؤية عميقة للواقع، فقد تنبأ بمصير الوزير ابن سعدان في الليلة الثامنة والثلاثين[٨٦] حين جرى حديث عن عبد العزيز بن يوسف، وكان لأبي حيان حديث عما هو عليه من غثائته وخساسته، فروى حكاية للوزير كانت نهايتها الهلاك، وتحققت رؤيته، فقد فتك عبد

العزيز بن يوسف بابن سعدان حين أوغر صدر صمصام الدولة عليه، فقتله، وحل مكانه، وبعد ذلك هرب أبو حيان إلى شيراز موئل الصوفية، ومات هناك.

تمكن أبو حيان في حواراته مع الوزير من أن يقصد أكثر مما يقول، فثمة معبر بين ما يحمله القول من معنى صريح، وما يحمله من معنى متضمن، وهو ما يُعرَف بالاستلزام الحواري[٨٧] في التداولية.

يقول مجيبًا عن سؤال الوزير حول التفاضل بين الأمم، محمّلًا الجواب للسجستاني:

"كلّ أمة لها زمان على ضدّها.. وهذا بيّن مكشوف إذا أرسلت وهمك في دولة يونان والإسكندر لما غاب، وساس، وملك، ورأس، وفتق، ورتق، ورسم، ودبر، وأمر، وحثَّ، وزجر، ومحا، وسطر، وفعل، وأخبر، وكذلك إذا عطفت إلى حديث كسرى أنوشروان، وجدت هذه الأحوال بأعيانها."[٨٨]

إنه يفضّل العرب على الأمم الأخرى أمام الوزير، ويرجع بنو بويه في نسبهم إلى ملوك الساسانية، وكأنه يريد أن يقول له: إن زمن تفوق العجم على العرب قد مضى، وأوهم الوزير بأنه لا يفاضل بين الأمم، لكنه تخفّى خلف المعنى المستتر؛ لكي يضمن وصول رسالته من غير أن يصرّح بها، ويعطي هذا الفعل بعدًا استلزاميًا لحواره.

وتتضح نسبة الكلام إلى أبي حيان بالبحث في البصمة اللغوية في الجواب.

٧- البصمة اللغوية في الخبر وثنائية القصد والإنجاز

نقصد بالبصمة اللغوية[٨٩] الأثر الذي يتركه صاحب الكلام في كلامه، فلكل إنسان بصمته الخاصة، ويوضح الكلام غوامض الشخصية؛ لأن المتكلم يترك بصمته في استخدام اللغة، واللغة مجموعة من البصمات تؤدي إلى قيمة أسلوبية، والبصمة هي اللغة الفردية للإنسان؛ ذلك لأن عملية اختيار العناصر اللغوية عملية واعية ومقصودة بهدف التأثير في الآخر.

يقول أبو حيان على لسان ابن مسكويه:

"وها أنا ذا آخذ في أجوبة مسائلك التي سمّيتها هوامل، ومجتهد في ردّها عليك برُعاةٍ حفظةٍ، ووُلاة يقظةٍ، محلولة العقال، موسومة الأغفال، ومؤمّلٌ أن تجد بها من الحكمة ضالتك، ومن العلم بغيتك وطلبتك.."[٩٠]

اتسم أسلوب التوحيدي بالميل إلى الازدواج والتوازن والانتظام الإيقاعي في بدايات الجمل، ويتضح من الكلام السابق أن ثمة بصمة لغوية توحيدية واضحة، سعى بها إلى تقديم كلام يحتمل معاني واسعة، فما يريد أن يحمّله لابن مسكويه هو رغبته في الإجابة عن هوامله، لكنّ ثمة إبطاء في تقديم المعلومة، وهذه بصمة توحيدية أيضًا: "وإبطاؤك في غير وضع إصابتك كما أن إسراعك غير معفٍ على غلطتك"[٩١]

واتسمت بصمة التوحيدي اللغوية بالجمل القصار، والتعبير عن الفكرة الواحدة بأكثر من عبارة "محلولة العقال، موسومة الاغفال" وهندسة الجمل، وتوازيها. أما أسلوب ابن مسكويه فقد عرف عنه دقة العبارة، ووضوح الفكرة، والاقتضاب بعيدًا عن الصياغة الفنية[٩٢]، فلا نجد جمال الإيقاع لديه، أو كثرة الترادف، وهندسة الجمل.

وتعدّ الاستعارة التي لجأ إليها التوحيدي على لسان ابن مسكويه "محلولة العقال" وسيلة مهمة من الوسائل المستخدمة في إنجاز الأفعال الكلامية غير المباشرة، فهنالك عقد اجتماعي بين المتكلم والمتلقي، يفهم المقصود منها، ويؤكد هذا الكلام جواب ابن مسكويه عن سؤال التوحيدي:

"لم صار اسم من الأسماء أخفّ عند السماع من اسم؟

الجواب: أنا رأيت بعض من كان يهوى البحتري، ويخفّ لحديثه، ويتعصب لقريضه، يقول: ما أحسن تشبيب البحتري بعلوةَ، وما أحسن اختياره علوة...."[٩٣].

ويبدو واضحًا هندسة الجمل القصار، والتعبير عن الفكرة الواحدة بأكثر من طريقة، والإيقاع وهي بصمة توحيدية، ويقول في جواب للسجستاني عن سؤاله: "ما السبب في أن السر لا ينكتم البتة؟

لأن السرّ اسم أمر موجود، وقد ضُرب دونه حجاب، وأُغلق دونه باب..."[٩٤]

يجتمع السجع والازدواج، وهي بصمة لغوية توحيدية، ويؤثر تحقيق النغم الموسيقي في المتلقي، ولا يلجأ إلى هذه السمة الإيقاعية إلا للإبانة عن المعاني الفلسفية، وتتكرس البنية الاستطرادية بسبب الإحاطة الشاملة بمفردات الموضوع الذي يتحدث عنه.

تعدّ البصمة اللغوية جسرًا إلى مقاصد صاحبها؛ لأنها اختيار واع، وأبو حيان كائن داخل ما يتلفظ به؛ ذلك لأن الخطاب يحمل بصمة صاحبه[٩٥].

وتمثّل الجمل الاعتراضية بصمة لغوية توحيدية، ولها مقاصد في الكلام.

"قلتُ لأبي سليمان -وقد جرى كلام في السرّ وطيِّه والبوح به- ما السبب في أن السرّ لا ينكتم البتة؟

فقال: لأن السرّ اسم لأمر موجود قد ضرب دونه حجاب، وأغلق عليه باب... وهو -مع ذلك- موجود العين، ثابت الذات.... فلا بد له -إذًا- من النمو والظهور؛ لأن انتهاءه إليها، ووقوفه عليها ولو بقي مكتومًا خافيًا أبدًا لكان والمعدوم سواء؛ وهذا غير سائغ -أعني أن يكون الموجود معدومًا-..."[٩٦]

وتمثل الجملة الاعتراضية فعلًا كلاميًا، فهو يسلط الضوء عليها، ويجعلها مركز الثقل، ولها وظيفة قصدية، ولا تقدّم دلالة في حد ذاتها إن لم تقترن بالسياق المتولدة منه[٩٧]، ولولا أهميتها لما تم الاعتراض بها، فيُبرز الاعتراض المعلومة، ويعدّ بصمة توحيدية، فقد ورد في السؤال، وتكرر في الجواب، وكان التوحيدي في موضع طلب في السؤال، أتى بها لتوضيح سؤاله، وكان في حالة إخبار في الجواب، فمثلت بؤرة الطلب، وأكدت المعنى، وانسجمت دلاليًا مع غاية المقابسة.

٨- خاتمة

بحثنا في نظرية الأفعال الكلامية في حواريات التوحيدي، واللغة -بحسبها- مؤسسة اجتماعية تحدث تأثيرًا في الواقع، أو تغيّره، وقدّمت حواريات أبي حيان أنموذجًا ابتكاريًا متطورًا لم يسبق إليه بهذا الشكل الذي قدمه، وتضمن سؤاله إشراقات معرفية أعمق من الجواب، فتحول السؤال في حد ذاته إلى معرفة. ويمكن بناء على ما سبق تسجيل النتائج الآتية:

- شكّل عرض أجوبته على لسان معاصريه صميم فلسفته، ولجأ إلى توجيه سؤال افتراضي لابن مسكويه، وحمّله الإجابة؛ لكي يحط من شأنه، ويسخر منه نظرًا للموقف الخاص بينهما، فخطابه معه خطاب ضمير مقهور يحتج على بطلان أي معرفة لا تصاحبها ثمرات عقلية.
- بيّنت ثنائية القصد والإنجاز في حواريات مع السجستاني أن أسئلته الافتراضية الموجهة إليه كانت تساؤلات بينه وبين نفسه؛ لتماثل أقواله مع ما قدمه على لسان السجستاني، وقد أفاده هذا الحوار للتوفيق بين رأيين متضادين، أو للانتصار لرأي على حساب الآخر.
- ظهر ابن مسكويه متبنيًا منظورًا محددًا بخلاف السجستاني الذي وافق الكلامُ المنسوب إليه الفكر الفلسفي.
- توصلنا في دراسة القصد والإنجاز في حواريات مع الوزير ابن سعدان إلى أن فكرة المجلس تقنية سردية استخدمها ليحدث تغييرًا في فكر من يسوس أمرهم، وليوصل نقده، واستشرافه المستقبل.
- الاستفهام فعل إنجازي قصدي تمكّن التوحيدي به من تحريك الثابت، وتحقيق مقاصد خاصة به، وهو فعل سياقي.
- بين السؤال/الإنشاء، والجواب/ الخبر ثنائية عقل ونقل، فيولّد السؤال الأفكار، ويردد الجواب آراء الآخرين، وبسؤاله سحب المتلقي إلى دائرته من غير أن يشعر.

الحواشي

١. هو علي بن محمد بن العباس، يقال إن أباه كان يبيع نوعًا من التمر يسمى التوحيد؛ لذا سمي التوحيدي، ويقال: سمي التوحيدي نسبة إلى التوحيد الذي هو الدين؛ لأن المعتزلة يسمون أنفسهم أهل التوحيد، ولد في بغداد، وتوفي في شيراز، وعاش في القرن الرابع الهجري، قرن المتضادات، فقد تدهورت الخلافة العباسية سياسيًا، وكان هنالك سقوط أخلاقي واضطرابات مختلفة، لكنه كان أزهى العصور ثقافيًا وعلميًا؛ بسبب حركة الترجمة، وتعدد المراكز الثقافية التي كانت دافعًا للثراء الثقافي، فقد جعل الوضع السياسي العلماء ينصرفون إلى العلم.

احترف الوراقة، وحفظ الكثير من العلوم، وتتلمذ على أيدي علماء وفلاسفة كالسجستاني، وهو أكبر علماء بغداد في الفلسفة والمنطق، ونفي على يد المهلبي وزير معزّ الدولة من بغداد، وأُبعد عن بلاط الريّ من طرف ابن العميد والصاحب بن عباد.

مقدمة الإمتاع والمؤانسة: ص: ج- د- هـ.

٢. أبو حيان التوحيدي: د.ت، الإمتاع والمؤانسة، ٣ج، ضبطه وصححه وشرح غريبه: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، القاهرة، مصر.

٣. أبو حيان التوحيدي، وأبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه: د.ت، الهوامل والشوامل، نشره: أحمد أمين، السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

٤. أبو حيان التوحيدي: ١٩٩٢، المقابسات، حققه وشرحه: حسن السندوبي، ط٢، دار سعاد الصباح، القاهرة.

٥. أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه، من فلاسفة القرن الرابع الهجري، تشبّع من فلسفة حكماء اليونان، له الكثير من الكتب، ككتاب ترتيب السعادات، وتهذيب الأخلاق، توفي سنة ٤٢١هـ.

ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق: ١٩٨٥، ط١، دار

الكتب العلمية، بيروت، مقدمة أحمد أمين.

٦. أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني المنطقي، ولد حوالي ٣٠٠هـ، وهو تلميذ متّى بن يونس القنّائي، ويحيى بن عديّ، تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الجديدة، وكان طلاب العلم يتحلقون حوله في منزله.

مجموعة مؤلفين: د.ت، دائرة المعارف الإسلامية، طبعة جديدة، ص١٥٦.

٧. أبو عبد الله العارض، استوزره صمصام الدولة البويهي سنة ٣٧٣هـ لما تقلّد الأمور بعد وفاة أبيه عضد الدولة، ظل وزيرًا إلى سنة ٣٧٥هـ حتى ظهر له خصم هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، فظلّ يكيد له، وينصب الشباك للإيقاع به، وقتله صمصام الدولة سنة ٣٧٥هـ بمكيدة من أبي القاسم.

انظر: مقدمة الإمتاع والمؤانسة بقلم أحمد أمين، ص: ح- ط.

٨. آن روبول، جاك موشلار: ٢٠٠٣، التداولية اليوم- علم جديد في التواصل، ط١، ترجمة: سيف الدين دعفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ص٥٤ وما بعدها.

وتعود التداولية -معجميًا- إلى الفعل دَوَل، تداول الناس كذا بينهم، يفيد معنى تناقله الناس وأداروه فيما بينهم.

ابن منظور: ١٩٩٤، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، مادة دول.

٩. ثمة فرق بين التداولية Pragmatics والمذهب البراغماتي Pragmatism، فهو مذهب فلسفي يركز على ما له أهمية عملية بالبشر، ويتجنب البحث في القضايا المطلقة، أو المجردة، ويستخدم في الفلسفة والثقافة الأمريكية بخاصة، ويترجم إلى الذرائعية، أو النفعية، أما التداولية فهي اللغة في استعمالها، وهي جزء من السيميائية، وتعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها، وتترجم إلى المقاماتية، والمقامية، وعلم المقاصد، والبراغماتية، وأشهر هذه المصطلحات التداولية.

محمد عناني: ١٩٩٦، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، مصر، ص٧٧-٧٨.

١٠. سيتم الاستفادة من جهود الفيلسوفين: جون أوستن J. K. Austin وجون سيرل J.R. Searle في ميدان نظرية الأفعال الكلامية مع الأخذ بالإشارات المهمة في نقدنا العربي القديم، ولا سيما السكاكي، فقد تحدث عن الخبر والطلب، وهي ثنائية مشابهة لنظرية الأفعال الكلامية، ولا سيما القصد والإنجاز.

١١. محمد مفتاح: ١٩٩٢، تحليل الخطاب الشعري- استراتيجية التناص، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الرباط، المغرب، ص١٣٩.

١٢. جون أوستن: د.ت، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قينيني، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ص٧٤.

١٣. نظرية أفعال الكلام: ص٥.

١٤. المرجع السابق: ص٨٨

١٥. يرى سيرل أن الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلّم، إنه مرتبط أيضًا بالعُرف اللغوي والاجتماعي، فثمة جمل متعارف عليها اجتماعيًا، يفهمها المتلقي، وثمة تداخل بين الأفعال اللفظية والإنجازية، ولا يمكن الفصل بينهما -بخلاف أوستن- فلا يمكن النطق بفعل قضوي من غير أن يكون لنا مقصد من نطقه.

محمود نخلة: ٢٠٠٦، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص٧١-٧٣.

فالفعل القضوي معادل للفعل الدلالي عند أوستن، وما كان يُعرف بالفعل الدلالي، ويشتمل على عنصري المعنى والإحالة أصبح لدى سيرل يشكّل فعلًا مستقلًا يسمى الفعل القَضَويّ، ويتضمن فعلي الإحالة والجمل.

انظر: العياشي إدواري: أدواري: ٢٠١١، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ط١، دار الأمان، الرباط، ص٩٢، نقلًا عن:

Searl. J. R. Speech acts, C. U. P, 1980, p:61

١٦. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص٥٠، ٨٠،٨١.

١٧. نظرية الأفعال الكلامية: ص١٨١-١٨٢.

١٨. أبو يعقوب السكاكي: ٢٠٠٠، مفتاح العلوم، ط١، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٤٧ وما بعدها.

وقد وردت هذه الثنائية لدى عبد القاهر الجرجاني، ت: ٤٧١هـ، وأبي يعقوب السكاكي، ت: ٦٢٦هـ، ورضي الدين الإستراباذي، ت: ٦٨٦هـ، ومحمد بن علي الجرجاني، ت:٧٢٩هـ، وجلال الدين الخطيب القزويني، ت: ٧٣٩هـ، والشريف علي بن محمد الجرجاني، ت: ٨١٦هـ...

١٩. تحدث أوستن عن خضوع الجملة الإخبارية لمعيار الصدق والكذب، أما معيار الجمل الإنشائية فهو النجاح أو الإخفاق، وعدّ هذه الثنائية تحت عباءة الفعل الكلامي، وهو النشاط التواصلي الذي يحدده قصد المتكلم في أثناء كلامه، والآثار الناجمة عنه في المتلقي، وعدّ السياق أهم عنصر فاعل في الحقل التداولي، فثمة طرفان متخاطبان، أو أطراف.

٢٠. "فإذا كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده من مؤكّدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليته بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفًا وقوة." مفتاح العلوم، ص٢٥٤-٢٥٨.

٢١. نظرية أفعال الكلام: ص١٧.

٢٢. أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه: د.ت، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٢/١.

٢٣. آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر: ص٥١، ٨٠.

٢٤. مفتاح العلوم: ص٢٥٩.

وتحدث عبد القاهر الجرجاني عن مزية الكلام في حال احتمل ظاهره غير ما فيه قائلًا:

"الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده.... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة.. وإنما تكون المزية، ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهًا آخر."

عبد القاهر الجرجاني: ١٩٨٤، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص٢٦٢، ٢٦٨.

٢٥. هو علي بن محمد بن العباس، يقال إن أباه كان يبيع نوعًا من التمر يسمى التوحيد؛ لذا سمي التوحيدي، ويقال: سمي التوحيدي نسبة إلى التوحيد الذي هو الدين؛ لأن المعتزلة يسمون أنفسهم أهل التوحيد، ولد في بغداد، وتوفي في شيراز، وعاش في القرن الرابع الهجري، قرن المتضادات، فقد تدهورت الخلافة العباسية سياسيًا، وكان هنالك سقوط أخلاقي واضطرابات مختلفة، لكنه كان أزهى العصور ثقافيًا وعلميًا؛ بسبب حركة الترجمة، وتعدد المراكز الثقافية التي كانت دافعًا للثراء الثقافي، فقد جعل الوضع السياسي العلماء ينصرفون إلى العلم.

احترف الوراقة، وحفظ الكثير من العلوم، وتتلمذ على أيدي علماء وفلاسفة كالسجستاني، وهو أكبر علماء بغداد في الفلسفة والمنطق، ونفي على يد المهلبي وزير معزّ الدولة من بغداد، وأُبعد عن بلاط الريّ من طرف ابن العميد والصاحب بن عباد.

مقدمة الإمتاع والمؤانسة: ص: ج- د- هـ.

٢٦. " زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، والتوحيدي، وأبو العلاء المعري،... وأشدهم على الإسلام أبو حيان؛ لأنه مُجمح، ولم يصرّح."

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: ١٩٦٤، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ٣٤٨/١.

وكان له رأي خاص في مشكلات الحياة والموت والوجود والعدم والجبر والاختيار، فحامت شبهات حول عقيدته، وسار في طريق معاكس لمثقفي عصره، وشعر بالاغتراب.

٢٧. يقول عنه آدم ميتز: "لم يُكتب في النثر العربي ما هو أسهل وأقوى تعبيرًا عن شخصية صاحبه مما كتبه أبو حيان"

آدم ميتز: ١٩٤١، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، مصر، ٤١٦/١.

وأنصفه ياقوت الحموي بقوله: "إنه فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء، وفطنة، وفصاحة، ومكنة."

ياقوت الحموي: ١٩٣٦، معجم الأدباء، تحقيق: أحمد فريد الرفاعي، القاهرة، مصر، ٥٢/١٥.

٢٨. يقول: "أما ترى طبيعتي في تحفظي، أما ترى رقدتي في تيقظي، أما ترى تفرقي في تجمعي، أما ترى غصّتي في إساءتي، أما ترى دعائي لغيري مع قلة إجابتي، أما ترى ضلالي في اهتدائي، أما ترى رشدي في غيّه، أما ترى ضعفي في قوتي."

أبو حيان التوحيدي: ١٩٨١، الإشارات الإلهية، حققه وقدم له: د. عبد الرحمن بدوي، بيروت، لبنان، ج١٠٣/١- ١٠٤.

٢٩. "وموضوعات الكتاب متنوعة تنوعًا طريفًا لا تخضع لترتيب، ولا تبويب، إنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث، ولست أستبعد أن يكون أبو حيان قد تزيد فيه، واخترع أشياء لم تمر في مجلس الوزير، فقد عُرف عنه أمثلة من هذا القبيل." مقدمة الإمتاع والمؤانسة، ص: س، ع.

٣٠. يقول أبو حيان: "وليس يقف على القاص إلا أحد ثلاثة: إما رجل أبله... وإما رجل عاقل فهو يرديه لتعرضه لجهل الجهال، وإما رجل له نسبة إلى الخاصة من وجه، وإلى العامة من وجه." الإمتاع والمؤانسة، ٢٢٥/١.

٣١. أفلاطون: ١٩٩٤، المحاورات الكاملة، المجلد الأول- الجمهورية، نقلها إلى العربية: شوقي تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.

تحدث عن مضادات الجمال والقبح، والعدل والظلم، ... ص١٨

والمحاورات الأفلاطونية تبادل الحوار بين سقراط وغيره في مشهد مسرحي متكامل، وأهم المحاورات محاورة أفلاطون وجورجياس؛ لأنها تحيي الأخلاق الفاضلة، جعل سقراطَ بطل المحاورة، وسخِر فيها من السفسطائيين، ودعا إلى المبادئ الإنسانية، وكان جورجياس من أئمة السفسطائيين، وكان يدعي أن في استطاعته الإجابة عن أي سؤال.

٣٢. أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي: عابد ناسك صوفي فقيه متكلّم واعظ، سمّي المحاسِبي؛ لكثرة محاسبته نفسه، وهو بصري المولد، بغداديّ المنزل والوفاة، ويقوم هذا الكتاب على الحوار، والتحليل النفسي العميق، وتخيُّل القارئ نفسَه حاضرًا في الموقف، ومما جاء فيه:

"قلتُ: كيف أكره ما أنا مريدٌ له، ومشتهٍ؟

قال: إن الله -عز وجل- جعل فيك غرائز، فجعل فيك غريزة تحبّ ما وافقك وألذك، وكراهة ما خالفك وآذاك، وجعل فيك غريزة عقل لحبّه، فقرن مع غريزة الحب للموافق، والبغض للمخالف الشيطان يزيّن له الدنيا، ويثبّطه عن الآخرة، وقرن مع العقل العلم والكتاب والسنة؛ لتزين له الآخرة ويُكره إليه الدنيا، والعلم للعقل كالسراج للعين، أو النور من الشمس...."

أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ت: ٢٤٣هـ: د.ت، الرعاية لحقوق الله، ط٤، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص١٨٩.

٣٣. "وخبّرني كيف كان أصل الماء في ابتدائه في أوّل ما أُفرغ في إنائه؟ أكان بحرًا أجاجًا استحال عذبًا زلالًا؟ أم كان زلالًا عذبًا استحال أجاجًا بحرًا؟ وخبرني كيف صار الماء أبعد من الفلك ولا يكون إلا في بطن الأرض وهو أشبه بالهواء كما أن

الهواء أشبه بالنار؟

وخبرني مذ كم كان الناس أمة واحدة ولغاتهم متساوية، وبعد كم بطنٍ اسودّ الزنجي وابيض الصّقلّبيّ، ولم صار اللون أسرع تنقّصًا من الجسد؟ ولمَ كان الولد يجيء على شبه ما في أبيه من الأمور الحادثة في بدنه غير القديمة في أصل تركيبه؟

فما تقول في الرّئيّ؟ وما تقول في الرؤيا؟ وما تقول في إكسير الكيمياء؟ وما تقول في كَيْموس الصنعة؟ وما تقول في الزجر؟ وما تقول في الفراسة؟ ...."

عمرو بن بحر الجاحظ: ١٩٥٥، التربيع والتدوير، عني بنشره وتحقيقه: شارل بلاّت، دمشق، سورية، ص ٢٩-٣٩،٣٠.

٣٤. الفلسفة بمعناها الواسع محاولة للرد على الأسئلة، من قبيل: هل الكون قديم أو حادث؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ إلى أين المصير؟ ما العلاقة بين النفس والبدن؟ أما الفلسفة بمعناها الخاص فهي النظر في حقائق الأشياء، أو تعرّف الحقائق الثابتة والوجود المطلق.

محمد عبد الرحمن مرحبا: ١٩٨٨، المسألة الفلسفية، ط٣، منشورات عويدات، بيروت، ص٩، ١٦، ١٨.

٣٥. جميل صليبا: ١٣٨٥هـ: المعجم الفلسفي، ط١، منشورات ذوي القربى، قم، ٦٧٤/١.

٣٦. يقول مانويل ماريا كاريلهو: عن العقل حركة للسؤال لا تنضب.

M.M.Carrilho: consequences de la problematologie, op. cit, p. 78.

٣٧. الفلسفة حوار وجدال، والفيلسوف تلميذ، وليس لدى الفيلسوف الحق جواب عن كل شيء. المسألة الفلسفية، ص١٨.

٣٨. الهوامل والشوامل: ص٢٨٧-٢٨٨.

٣٩. الاستفهام لدى السكاكي فعل إنجازي مباشر ممكن الحصول في الذهن، وهو طلب لحصول ما في الخارج في الذهن، ويجب ألا يكون حاصلًا وقت الطلب. مفتاح العلوم، ٤١٨.

٤٠. نظرية أفعال الكلام: ص١٧.

٤١. تخصص ابن مسكويه في علم الاخلاق الذي استمده من أرسطو، وطبّقه على الحضارة العربية، وكانت له مكانته الاجتماعية الراقية، فقد كان مدير المكتبة، ووزير المالية لدى عضد الدولة.

٤٢. "وأما مسكويه ففقير بين أغنياء، وعييّ بين أبيناء، لأنه شاذ، مع كلفه بالكيمياء، وإنفاق زمانه، وكدّ بدنه في خدمة السلطان، وأنا اعطيته في هذه الأيام "صفو الشرح لإيساغوجي" وقاطيغورياس من تصنيف صديقنا بالري...." الإمتاع والمؤانسة: ٣٥/١

٤٣. تسعى الفلسفة إلى أن تترك مجالًا للا تحديد في فضاء محدود.

عبد السلام بنعبد العالي: ٢٠١١، الفلسفة أداة للحوار، ط١، دار توبقال، الدار البيضاء، ص٨٢.

وتتكرر الأمثلة في الهوامل والشوامل عن إجابات ابن مسكويه القطعية مقابل أسئلة التوحيدي الحائرة، يجيب جوابًا قاطعًا مانعًا في حديثه عن خلود النفس:

"وجميع قوى النفس التي تتم بالبدن، وبآلات جسمية فإنها تبطل ببطلان البدن، أي تستغني عنها النفس بما هي نفس وجوهر بسيط، وإنما احتاجت إليه لأجل حاجات البدن المشارك للنفس، والمستمد منها البقاء الملائم لها إذا كان نباتًا أو حيوانًا أو إنسانًا، فأما النفس بما هي جوهر بسيط فغير محتاجة إلى شيء من هذه الآلات الجسمية." الهوامل والشوامل، ص٣٥٣.

٤٤. فكره بعيد عن القطعية بخلاف ما قدمه على لسان ابن مسكويه، فلا يهمه الوصول إلى إجابات نهائية، بل يهمه طريقة الوصول إليها.

يقول براتراند راسل: "لا تكمن الفلسفة في الحلول النهائية التي يقدمها الفيلسوف للمشاكل التي تعترضه بمقدار ما تتمثل في تأمله هذه المشكلات وإمعان رأيه فيها، وفي المناهج التي سلكها في

بحثه، وسواء أكانت الأجوبة ممكنة أو غير ممكنة فإن الأجوبة التي تفترضها الفلسفة ليست أبدًا من الحقيقة مما يمكن التثبت من صدقها."

Rassel: Problems de philosophy, London, 1973, p. 180

٤٥. وردت في مقدمة الهوامل والشوامل ملاحظة تفوق التوحيدي على ابن مسكويه:

"كما نلحظ مدى التفوق في بعض أسئلة التوحيدي من حيث النوع والعمق والدقة على بعض إجابات مسكويه.. ويبدو أن السبب في اختيار التوحيدي مساءلة مسكويه، وعنده من هو أعلم منه... لم يكن مصادفة، بل كان مقصودًا للتندر والاستخفاف به، وإظهار عجزه الفكري، خاصة بعد أن باء طمع التوحيدي في علم مسكويه وماله بالفشل، فوصفه بالغباء والبخل. " المقدمة، ص٢٣-٢٧.

٤٦. يستشهد ابن مسكويه بالحكيم، ويقصد أرسطوطاليس، ويرى أن هذه المسائل قد تحررت في زمنه، واستقر قرارها، ووضح مشكلها، وبان صحيحها من سقيمها. الهوامل والشوامل، ص٢-٧-٥٤-٧١-١٢٠-١٧٨-٢٩٣.

٤٧. الهوامل والشوامل: ص٣٣- ٣٤.

٤٨. نظرية أفعال الكلام، ص٢٠، ويرى أوستن أننا بمجرد نطق الكلام نكون قد أنجزنا فعلًا اجتماعيًا، فالتكلم بشيء ما هو فعله وإنجازه. المرجع السابق، ص٢٥.

٤٩. الهوامل والشوامل: ص٣٦٥-٣٦٦

٥٠. تحدث أحمد أمين في مقدمة الكتاب عن كلام ابن سينا في غباء مسكويه: قال ابن سينا في بعض مسائله: إن هذه المسألة حاضرتُ بها أبا علي مسكويه، فاستعادها كرّات، وكان عسِر الفهم، وتركتُه ولم يفهمها على الوجه الصحيح. المقدمة، ص: ج.

٥١. الإمتاع والمؤانسة: ٢/٢.

٥٢. الهوامل والشوامل: ص٢٤-٢٧.

٥٣. محمد أركون: ١٩٩٧، نزعة الأنسنة في الفكر العربي- جيل مسكويه والتوحيدي، ط١، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ص١٢٢

٥٤. تهذيب الأخلاق: ص٦٠-٦١.

٥٥. نزعة الأنسنة في الفكر العربي: ص٢١٨.

٥٦. يناقض أركون نفسه، فهو يرى أن ابن مسكويه لم يكن فيلسوفًا محضًا أو صرفًا، فثمة فرق واضح بينه وبين ابن سينا والفارابي مثلًا، فهو يتجنب الصعوبة، ويتحاشى استخدام اللغة الأكاديمية والمصطلحية المحضة، وكان تربويًا حقيقيًا امتنع عن الانخراط في المسائل الفلسفية بشكل مطوّل. المرجع السابق، ص٣٦٩.

ويرى أنه كان مجرد شارح، وهو شارح موهوب لكنه لم يتجاوز هذه الرتبة، ولم يحل المشكلات الفلسفية التي ظلت عالقة في عصره، ولم يقدم أي نظرية فلسفية جديدة، ثم يقول: كان ذا مقدرة على عرض الأفكار الفلسفية بأسلوب ناصع واضح جذاب، واستطاع أن يتغلب على التعقيد التقني للفلسفة بتبسيط مفاهيمها والتعبير عنها بلغة يفهمها الجميع. المرجع السابق، ص٦٢٤-٦٢٥.

٥٧. الأمثلة كثيرة في الهوامل والشوامل، ينظر: ص٣١٨-٣١٩ على سبيل المثال.

٥٨. له رسالة في النفس والعقل يرد فيها على سؤال وجهه أحدهم إليه ينبهه على ضرورة الذهاب في التحليل إلى نهايته.

ابن مسكويه: ٢٠٠٩، رسالتان في اللذات والآلام والنفس والعقل، ط١، منشورات الجمل، كولونيا، ص٣٧-٣٩

٥٩. سيد هاشم الطبطبائي: ١٩٩٤، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ص٣٠،٣٢.

٦٠. نلاحظ أن كثيرًا من أسئلة التوحيدي لابن مسكويه تتضمن الجواب، أو التوجيه للجواب، مثال ذلك سؤاله عن التطير والفأل:

"ما التطيُّر؟ وما الفأل؟ ولم أولع كثيرٌ من الناس بهما؟ وكيف نُفي عن الشريعة أحدهما ورُخِّص

الآخـر؟ وهـل لهما أصـل يُرجع إليه؟ أو هما جاريان مرة بالهاجس والاستشعار ومرة بالاتفاق والاضطرار؟ والخبر عن النبي "ص" فاشٍ في هذا المعنى، وليس طريقُه محدثًا للعلم، ولا متنُه مجيلًا للرأي؛ إذ يقول: "عدوى ولا طِيَرة" وقد قيل في مكان آخر: كان يحبّ الفأل الحسن.

وزعم الرواة أنه حين نزل المدينة عند أبي أيوب الأنصاري سمعه يقول لغلامين له: يا سالم، يا يسار، فقال لأبي بكر: "سلِمت لنا الدار في يُسر" فكيف هذا؟ وما طريقه؟ وهل يطّرد ذلك في تطايره أو يقف؟ .. وحكيتُ أيضًا عن ابن الرومي قوله: الفأل لسان الزمان وعنوان الحِدْثان؟" الهوامل والشوامل، ص٢٠٠-٢٠١.

٦١. جـورج يـول: ٢٠٠١، التداولية، ط١، ترجمة: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ص٨٩.

٦٢. "وأما شيخنا أبو سليمان فإنه أدقهم نظرًا، وأقعرهم غوصًا، وأصفاهم فكرًا، وأظفرهم بالدرر، وأوقفهم على الغرر، مع تقطيع في العبارة، ولكنة ناشئة من العجمة، وقلة نظر في الكتب، وفرط استبداد بالخاطر، وحسن استنباط للعويص، وجرأة على تفسير الرمز، وبخل بما عنده من هذا الكنز" الإمتاع والمؤانسة: ٣٣/١.

٦٣. المقابسات: ص٢٤٥.

٦٤. الإمتاع والمؤانسة: ١٤٥/٢-١٤٦.

٦٥. المقابسات: ١٧٢،١٧٩.

٦٦. المقابسات: ص١٧٢.

٦٧. عمرو بن بحر الجاحظ: ١٩٨٣، رسائل الجاحظ، كتاب فُصل فيه بين العداوة والحسد، تحقيق: د. محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت، ص١٧٥.

٦٨. المقابسات: ص٢٩٣-٢٩٤.

٦٩. الإمتاع والمؤانسة: ٧٧/١

٧٠. مفتاح العلوم: ص٢٥٤.

٧١. يرى أوستن أن النطق بالجملة إنجاز لفعل، أو لجزء منه، نظرية الأفعال الكلامية: ص١٥٦.

٧٢. المقابسات: ص١٨٢.

٧٣. المقابسات: ص١٤٥.

٧٤. المصدر السابق: ص١٤٦.

٧٥. الإمتاع والمؤانسة: ١١٤/١.

يقول السجستاني في الإمتاع والمؤانسة: المعاني صوغ العقل، واللفظ صوغ اللسان. ١٢٧/٣

وهو يقول: المعاني حاصلة بالعقل والفحص والفكر. ١١٦/١

ويعني ذلك أنه يسجل موقفه الخاص، وحين يسير المجتمع وراء المؤسسة المتحكمة ينتقدها. ونراه يسجل اعتراضًا آخر مع أستاذه الجاحظ الذي رأى أن المعاني ملقاة في الطريق، فيقول": ولا تعشق اللفظ دون المعنى، ولا تهو المعنى دون اللفظ. الإمتاع والمؤانسة: ١٠/١، فللمعاني أولوية على الألفاظ عنده، ولا يتعدى اللفظ أن يكون كاللباس والإناء والظرف. المقابسات، ص٢٤٥.

٧٦. المقابسات، ص١٧١. يوافق رأيه رأي السجستاني في المقابسات بوضوح، فقد اقترح عليه السجستاني أن ينشد شعرًا لبعض الآلهيين ليعلق عليه بقوله: ما أحسن الأدب والحكمة إذا كان هذا من ثمرها. المصدر السابق، ص٢٩٩.

٧٧. محمد بن محمد بن يحيى البُوزجاني، كان أحد الأئمة المشاهير في علم الهندسة، توفي سنة ٣٧٦هـ، كان من ندماء ابن سعدان. مقدمة الإمتاع والمؤانسة، ص: ي.

قال عنه ابن سعدان: وأما أبو الوفاء فهو -والله- ما يقعد به عن المؤانسة الطيبة، والمساعدة المطربة، والمفاكهة اللذيذة، والمواتاة الشهية، إلا أن لفظه خراساني، وإشارته ناقصة، هذا مع ما استفاده بمقامه الطويل ببغداد، والبغدادي إذا تخرسن كان أعلى وأظرف من الخراساني إذا تبغدد.

أبو حيان التوحيدي: ١٩٦٤، الصداقة والصديق، ط١، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ص٧٧.

٧٨. الإمتاع والمؤانسة: ١٦٢/٣.

٧٩. الإمتاع والمؤانسة: ٢٠/١، محاوبة لعله أراد بها مواربة.

٨٠. المصدر السابق: ٥٣/١

ويـروى أن ابـن عباد قـال له حين رآه: اقعد، فالورّاقون أخس من أن يقوموا لنا. معجم الأدباء: ٢٣٥/١٤.

٨١. نظرية أفعال الكلام، ص٧٠، وقد تحدث أوستن عن العبارات التقريرية التي تحمل شيئًا من الإنشاء.

٨٢. الإمتاع والمؤانسة: ٨٥/٣-٨٧.

٨٣. المصدر السابق: ١١٦/٢.

٨٤. المصدر السابق: ٩٧/٣.

٨٥. المصدر السابق: ٥/١.

٨٦. المصدر السابق: ١٤٧/٣ وما بعدها.

٨٧. يقول العياشي أدواري: في الكثير من الأحيان يلاحظ في أثناء عملية التخاطب أن معنى العديد من الجمل إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر فيما تدل عليه صيغها الصورية.

العياشي أدواري، لاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص١٨.

٨٨. الإمتاع والمؤانسة: ٧٢/١.

٨٩. يعود الجذر اللغوي إلى الفعل بصم، ويعني أثر الإصبع في شيء ما، بصمة، الجمع بَصَمات وبَصْمات: علامة ترسم على قماش أو ورق، وفي لسان العرب: رجلٌ ذو بُصْم غليظ، وثوب له بُصْم إذا كان كثيفًا كثير الغزْ. مادة بصم.

٩٠. الهوامل والشوامل: ص٣-٤.

٩١. الإمتاع والمؤانسة: ٦٥/١.

٩٢. يرى محمد أركون أنه مال إلى الاتجاه العقلاني، وتجنب ما يحتاج إلى التأويل، وتميل عبارته إلى التركيب المنطقي، ويرفض المحسنات البديعية. نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ص٣٧٨

٩٣. الهوامل والشوامل: ص٢٠.

٩٤. المقابسات: ١٤٥-١٤٦.

٩٥. تقول أوريكيوني: عن كل مقطع خطابي يحوي بطرائق ودرجات مختلفة بصمة من تلفظ به.

Catherine Kerbrat-Orecchioni, L'énonciation : De la subjectivité dans le langage, Librairie Armand Colin, Paris, 1980, p.157.

٩٦. المقابسات: ١٤٦-١٤٧.

٩٧. يرى أحمد المتوكل أن الوظائف التداولية مرتبطة بالمقام، فلا يتم تحديدها إلا انطلاقًا من الوضع التخابري بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة.

أحمد المتوكل: ١٩٨٥، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص١١٦.

المصـادر والمراجع

- أدواري، العياشي: ٢٠١١، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ط١، دار الأمان، الرباط.
- أركون، محمد: ١٩٩٧، نزعة الأنسنة في الفكر العربي- جيل مسكويه والتوحيدي، ط١، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت.
- أفلاطون: ١٩٩٤، المحاورات الكاملة، المجلد الأول- الجمهورية، نقلها إلى العربية: شوقي تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.
- أوستن، جون: د.ت، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قينيني، دار إفريقيا الشرق، المغرب.
- بنعبد العالي، عبد السلام: ٢٠١١، الفلسفة أداة للحوار، ط١، دار توبقال، الدار البيضاء.
- التوحيدي، أبو حيان: ١٩٨١، الإشارات الإلهية، حققه وقدم له: د. عبد الرحمن بدوي، بيروت، لبنان.
- التوحيدي، أبو حيان: د.ت، الإمتاع والمؤانسة، ٣ج، ضبطه وصححه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، القاهرة، مصر.
- التوحيدي، أبو حيان: ١٩٦٤، الصداقة والصديق، ط١، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق.

- التوحيدي، أبو حيان: ١٩٩٢، المقابسات، حققه وشرحه: حسن السندوبي، ط٢، دار سعاد الصباح، القاهرة، مصر.
- التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، أبو علي أحمد بن محمد: د.ت، الهوامل والشوامل، نشره: أحمد أمين، السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
- الجاحظ، عمرو بن بحر: ١٩٥٥، التربيع والدوير، عني بنشره وتحقيقه شارل بلاّت، دمشق، سورية.
- الجاحظ، عمرو بن بحر: ١٩٨٣، رسائل الجاحظ، كتاب فُصل فيه بين العداوة والحسد، تحقيق د. محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت.
- الجرجاني، عبد القاهر: ١٩٨٤، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- الحموي، ياقوت: ١٩٣٦، معجم الأدباء، تحقيق: أحمد فريد الرفاعي، القاهرة، مصر.
- روبول، آن، موشلار، جاك: ٢٠٠٣، التداولية اليوم- علم جديد في التواصل، ط١، ترجمة: سيف الدين دعفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
- السكاكي، أبو يعقوب: ٢٠٠٠، مفتاح العلوم، ط١، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر: د.ت، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن: ١٩٦٤، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر.
- صليبا، جميل: ١٣٨٥هـ: المعجم الفلسفي، ط١، منشورات ذوي القربى، قم.
- الطبطبائي، سيد هاشم: ١٩٩٤، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت.
- عناني، محمد: ١٩٩٦، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، مصر.
- المتوكل، أحمد: ١٩٨٥، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء.
- مجموعة مؤلفين: د.ت، دائرة المعارف الإسلامية، طبعة جديدة.
- المحاسبي، أبو عبد الله الحارث بن أسد: د.ت، الرعاية لحقوق الله، ط٤، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- مرحبا، محمد عبد الرحمن: ١٩٨٨، المسألة الفلسفية، ط٣، منشورات عويدات، بيروت.
- ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد: تهذيب الأخلاق: ١٩٨٥، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد: ٢٠٠٩، رسالتان في اللذات والآلام والنفس والعقل، ط١، منشورات الجمل، كولونيا.
- مفتاح، محمد: ١٩٩٢، تحليل الخطاب الشعري- استراتيجية التناص، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الرباط، المغرب.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي: ١٩٩٤، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت،
- ميتز، آدم: ١٩٤١، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، مصر.
- نخلة، محمود: ٢٠٠٦، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- يول، جورج: ٢٠٠١، التداولية، ط١، ترجمة: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط.

المراجع الأجنبية

- Catherine Kerbrat-Orecchioni, L'énonciation : De la subjectivité dans le langage, Librairie Armand Colin, Paris, 1980.

M.M.Carrilho: consequences de la problema-tologie, op. cit.-

Rassel: Problems de philosophy, London, 1973.-

أبو جَلَنْك الحَلَبيّ
وما تبقى من شعره

أ. م. د. علي كاظم علي المدني
جامعة القادسية / كلية التربية
العراق

يهدف البحث إلى التعريف بالشاعر شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن مسعود الملقب بأبي جَلَنْك الحلبي المتوفى سنة ٧٠٠ للهجرة مقتولًا على يد التتار، كما يهدف البحث إلى جمع ما أمكن الحصول عليه من شعره موزعًا في مصادر الأدب واللغة والتاريخ والتراجم؛ لأن ديوان الشاعر مفقود ولم يصل إلينا مخطوطًا. ويبقى الباب مفتوحًا للاستدراك والإضافة على هذا المجموع. والغاية التي يريد الوصول إليها الباحث هي الوقوف على أنموذج من الأدب العربي ساد في القرن السابع الهجري وإحياء ذكر هذا الشاعر الذي كانت له مكانة مميزة في عصره.

أولًا: الشاعر[١]

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن مسعود[٢] الملقب بأبي جَلَنْك[٣] الحلبي. و(جلنك) ضبطه ابن ناصر الدين بالحروف والحركات فقال: ((وجَلَنْك بجيم ثم لام مفتوحتين، ثم نون ساكنة، ثم كاف))[٤]، ولم أجد اللفظ بالجيم بل هو (چَلَنْك) بالـ (چ) الفارسية: وهي لفظة تركية تدل على ((ريشة من الفضة تُعَلَّم بها العمامة في الحرب تقديرًا للشجاعة))[٥].

لم تذكر لنا مصادر ترجمته ما يتصل بولادته ونشأته وقبيلته فلا نعلم عنها شيئًا، سوى أنه من أهل حلب، والظاهر أنه من أهلها مولدًا ونشأة ووفاة؛ إذ لم يُذكر غير ذلك في أخباره.

ولا تخبرنا المصادر عن خروجه من بلاد الشام؛ إلا بخبر وروده الموصل أو ماردين[٦]؛ إذ قيل في ذلك: ((وأصل منادمته لصاحب ماردين أو الموصل تنديبة[٧]، بدت منه بغير قصد، وهي عجيبة. لأنه قصد الطهارة وعلى بابها خادمٌ، يناول كيلًا من الماء لكل قادم، فدخل على عادة البلاد، وما هي عليه من الأمر المعتاد، فصاح به الخادم قف خذ هذا الكيل. قال: لا، أنا أخرى جزافًا من الويل. فبلغت السلطان، فقال: هذا

ظريف يصلح لأن ننادمه...))[٨]. فإذا ما كانت الحادثة قد حدثت في ماردين – وهو الأرجح لأنها شحيحة الماء كما ذكر ياقوت[٩] - فالشاعر لم يخرج من بلاد الشام.

صفاته الجسمية والنفسية:

أكد أغلب من ذكر حادثة إغارته في قلعة حلب أنه ((كان ضخمًا سمينًا))[١٠]، وأنه مع أن فرسه قد أصيب بسهم فمات؛ ((بقي على ضخامته راجلًا))[١١]. وهو إلى جانب ذلك كان ((كثير المزح والنوادر))[١٢]، مشهورًا بالعشرة، صاحب نوادر طريفة ((إلا أنه كان يعتني بالهجاء ونكب الأعراض))[١٣].

ويبدو من خلال اللقب الذي أُطلق عليه، ومن أخباره ووفاته أيضًا، أنه كان من الشجعان المُقْدِمين؛ قال الصفدي: ((كان فيه همةٌ وعنده شجاعة، ولديه من الإقدام في المعارك أجزلُ بضاعة))[١٤].

كان شاعرًا مشهورًا، ونديمًا لرجالات عصره وعلمائه، وله معهم أخبار؛ مثل صاحب ماردين الذي ذكرناه قبل قليل، والصاحب جمال الدين سليمان بن ريان[١٥]، وقاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان[١٦]، والشيخ بدر الدين محمد بن مالك[١٧]، وقاضي القضاة ابن الزملكاني[١٨]، وعلاء الدين علي بن سيف الدين تنكز[١٩]، وأبي محمد القاسم ابن البرزالي[٢٠]، وغيرهم.

ثقافته:

والظاهر أنه كان يتمتع بثقافة موسوعية يدل عليها وصف من ترجم له بأنه (الشيخ)[٢١]، و(الإمام)[٢٢]، و (الفقيه)[٢٣]، و (الأديب)[٢٤]؛ وهو ((فاضل في العلوم الأدبية، مجيد في نظم الشعر وحل العربية، جزل الألفاظ لطيف المعاني...))[٢٥].

ووصف بأن له (محافيظ)؛ قال الصفدي: ((وأخبرني من لفظه القاضي جمال الدين بن سليمان بن ريان قال: لازمنا مدة وكان ينتبه نصفًا من الليل فيكرر عليَّ محافيظه ومنها مختصر ابن الحاجب ثم يشبب ويزمزم فإذا أصبح توضأ وصلى الصبح...))[٢٦].

شعره:

تخبرنا المصادر أن ((له ديوان شعر))[٢٧]. وأن هناك من روى عنه من شعره ومنهم جمال الدين ابن ريان[٢٨]، و ((كتب عنه من شعره أبو محمد القاسم ابن البرزالي بدمشق في سنة تسع وسبعين وست مئة.))[٢٩]. وقال اليونيني: ((ومن نظمه ما أنشدني شيخنا أبو حيان في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وسبع مئة، قال: أنشدني الفاضل أبو العباس أحمد بن أبي بكر الحلبي المعروف بأبي جلنك لنفسه...))[٣٠]. وقال الذهبي في ترجمة أبي سالم يَحْيَى بْن أَحْمَدَ بْنِ مِسْعَرٍ الشَّافِعِيّ قَاضِي كَفْرَطَابَ (ت٧٠٧هـ): ((أَنْشَدَنِي أَبُو سَالِمٍ يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ بِسِرْمِينَ، قَالَ: أَنْشَدَنَا أَبُو جلنك أَحْمَدُ الأَدِيبُ...))[٣١]، وقال الصفدي: ((وأنشدني شيخنا العلامة أثيرُ الدين، قال: أنشدنا علاءُ الدين علي بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الرحمن الحلبي، قال: أنشدنا أبو جلنك لنفسه...))[٣٢]، وقال أيضًا: ((وأنشدني العلامة أبو حيان، قال: أنشدنا علاء الدين علي بن سيف الدين تنكز، قال: أنشدنا أبو جلنك لنفسه...))[٣٣].

غير أن شعره لم يصل إلينا مجموعًا في

أبو جَلَنْك الحَلَبيّ وما تبقى من شعره

ديوان مخطوط، بل ضاع في جملة ما ضاع من تراثنا، ولكننا وجدنا ما تبقى منه منثورًا في مصادر ترجمته وكتب الاختيارات المتأخرة، والتي أثنى أصحابها على شعره؛ فقيل فيه: ((فاضل في العلوم الأدبية، مجيد في نظم الشعر وحل العربية، جزل الألفاظ لطيف المعاني يفعل قوله في النفوس ما لا تفعله المثالث والمثاني، كثير المزح والنوادر، مشار إليه في المحافل والمحاضر، كان يعتني بالهجاء والثلب، ويعتني بعد الإيجاب إلى السلب، واستمر يتكلم في المحظور والمباح، إلى أن أدركه ما أهلكه من القدر المتاح))[٣٤]. وقال ابن تغري بردي: ((وكان له النظم الرائق))[٣٥]، وقال: ((كان بارعًا ماهرًا))[٣٦]. غير أن الصفدي انفرد بقوله: ((شعره متوسط))[٣٧].

والناظر فيما جمعناه من شعره يجد أنه بارع في النظم، مغرم بالبديع، له بعض الألغاز الشعرية كما في قوله ملغزًا في (مسعود):

اسْمُ الذي أَهْواهُ في حُروفِهِ
مَسْأَلَةٌ في طَيِّها مَسائِلُ
خُمْساهُ فِعْلٌ وَهْوَ في تَصْحِيْفِهِ
مُبَيِّنٌ والعَكْسُ سُمٌّ قاتِلُ
تُضيءُ بَعْدَ العَصْرِ إنْ جِئْتَ بِهِ
مُكَرَّرًا مِنْ عَكْسِكَ المَنازِلُ
وَهْوَ إذا صَحَّفْتَهُ مُكَرَّرًا
فاكِهَةٌ يَلْتَذُّ مِنها الآكِلُ
وَهْوَ إذا صَحَّفْتَهُ جميعَهُ
وَصْفُ امْرِئٍ يَعْجَبُ منه العاقِلُ
وفِيْهِ طِيْبٌ مُطْرِبٌ وطالما
هاجَتْ على أمْثالِهِ البَلابِلُ

وهو بارع في الهجاء؛ فيروى أنه وفد على قاضي القضاة ابن خلكان وقدم له قصة يسأله شيئًا فوقع له عليها برطل خبز فأخذها وانصرف، ثم استدعاه بعض الرؤساء إلى التنزه فذهب إلى بستان مع جماعة وجلسوا في مكان يطل على قطعة بان فاقترحوا عليه أن يأتي بتشبيه مخترع له، وكان قد سأل عن صاحب البستان فقيل إنه ابن خلكان فأخذ قطعة فحم وكتب على الحائط:

لِلّهِ بُسْتانٌ حَلَلْنا دَوْحَهُ
في جَنَّةٍ قد فَتَّحَتْ أبوابَها
والبانُ تحسبُهُ سَنانيرًا رأتْ
قاضي القضاة فنَفَّشَتْ أذنابَها

ولما كان بحماه التزم لبعض الأكابر من أهلها أن يهجو صاحب حماة في وجهه فعمل أبياتًا. وأنشده إياها. وهي: [من السريع]

أشْكُوْ إلى اللهِ حَماتي، وما
يَعْلَمُ ما ألْقاهُ مِنْها سِوَاهْ
عَجُوْزُ سُوْءٍ لَوْ رَأَتْ ثَرْوَةً
طارتْ إليها بجَناحَيْ قَطاهْ
تَقولُ للبِنْتِ: الْطُمِيْ خَدَّهُ
ولا تَخافِيْهِ وسُبِّيْ أَباهْ
واللهِ ما أَفْلَحْتُ ما عُمِّرَتْ
قُلْ لي مَتَى أفْلَحَ صاحِبْ حَماهْ ؟!

فلما سمعها السلطان فهم ما أراد، وعفى عنه.

أما غزله فهو أروع ما بقي من شعره، ويكفي

دليلًا على ذلك قوله:

وأهْـيَـفٍ مـن بني الأتْــراكِ طَلْعَتُهُ
كالشَّمْسِ أوَّلَ ما تَبدُو من الأُفُقِ
أشْهَى إلى القَلْبِ مِنْ رَوْحِ الحياةِ ومِنْ
طِيْبِ الكَرَى لِجُفُونِ السَّاهِرِ القَلِقِ
لَـمْ أَنْـسَـهُ حِيْنَ وَافَـى زائـرًا غَلَسًا
وقَـلْـبُـهُ طـائِـرٌ مِـنْ شِــدَّةِ الـفَـرَقِ
سَـقَـيْـتُـهُ وسَـقَـانـي مِـنْ مُـعَـتَّـقَـةٍ
يا طِيْبَ لَيْلَةِ مُشْتاقٍ سَقَى وسُقِيْ
مازالَ يَنْهَلُ مِنْ شَمْسِ الطُّلَى قَمَري
حَتَّى حَكَتْ وَجْنتاهُ حُـمْـرَةَ الشَّفَقِ
وقـامَ يَـنْـهَـضُ والأرْدافُ تُـقْـعِـدُهُ
سُكْرًا، وحـاوَلَ أنْ يَسْعَى فلَمْ يُطِقِ
شَمائِلٌ فَعَلَتْ صِـرْفُ الشَّمُولِ بها
فِعْلَ الشِّمالِ بِغُصْنِ البانةِ الـوَرِقِ
بِتْنا ضَجِيْعَيْنِ في ثَـوْبِ العَفافِ وبا
تَ الليلُ والصُّبْحُ فَوْقَ الغُصْنِ مُعْتَنِقي
جـاذَبْـتُـهُ لِـعِـنـاقٍ فـانْـثَـنَـى خَـجَـلا
وكُـلِّـلَـتْ وَجْـنَـتَـاهُ الـحُـمْـرُ بـالـعَـرَقِ
وقـالَ لي في فُـتُـورٍ مِـنْ لَواحِظِهِ:
إنَّ العِناقَ لِإثْـمٍ؛ قُلْتُ: في عُنُقي !

ولغته في كل ذلك واضحة بعيدة عن التكلف على الرغم من كونه ميَالًا إلى البديع، يعتني بشكل كبير بإتقان صياغة الصورة الشعرية من خلال فنون البلاغة المتنوعة من تشبيه واستعارة وتورية وغيرها. وكل ذلك من خلال موسيقى منسابة سلسة هادئة بعيدة عن الصخب والإيقاعات السريعة؛ لأن موضوعات شعره لم تتضمن الحماسة والحرب، وهو ما يخالف ما عرف عنه من شجاعة وإقدام كما ذكرنا قبل قليل.

وفاته:

اتفقت جميع المصادر التي ترجمت له على أنه توفي سنة ٧٠٠ هـ مقتولًا على أيدي التتار؛ إذ ((نزل من قلعة حلب للإغارة على التتار فوقع في فرسه سهم فوقع وبقي راجلًا وكان ضخمًا فأسروه وأحضر بين يدي مقدم التتار فسأله عن عسكر المسلمين فكثرهم ورفع شأنهم فضرب عنقه سنة سبع مائة))[٣٨]. والظاهر أنه توفي في جمادى الأولى من تلك السنة؛ لأن البرزالي ذكره في أثناء أحداث ذلك الشهر، وإن كان لم يصرح بيوم وفاته.

ثانيًا: شعره

أ ـ ما خلصت نسبته له

(حرف الباء)

..... (١).....

وفد أبو جلنك على قاضي القضاة ابن خلكان وقدم له قصة يسأله شيئًا فوقع له عليها برطل خبز فأخذها وانصرف، ثم استدعاه بعض الرؤساء إلى التنزه فذهب إلى بستان مع جماعة وجلسوا في مكان يطل على قطعة بان فاقترحوا عليه أن يأتي بتشبيه مخترع له، وكان قد سأل عن صاحب البستان فقيل إنه ابن خلكان فأخذ قطعة فحم وكتب على الحائط: [من الكامل]

لـلـهِ بُـسْـتـانٌ حَـلَـلْـنـا دَوْحَـــهُ

فـي جَـنَّـةٍ قـد فَـتَّـحَـتْ أبـوابَـهـا

والـبـانُ تـحـسـبُـهُ سَـنـانـيـرًا رأتْ

قـاضـي الـقـضـاة فـنَـفَّـشَـتْ أذنـابَـهـا

التخريج:

نهاية الأرب: ٢١٨/١١، والوافي بالوفيات: ٢٧٣/٦، وأعيان العصر: ١٩٢/١، والكشف والتنبيه: ٢٩٤، والغيث المسجم: ٤٧/١، وجلوة المذاكرة: ٢١٨، وفوات الوفيات: ٦١/١، وسكردان السلطان: ٤٦٢، ونسيم الصبا: ٥٤ الثاني دون نسبة، وعقود الجمان (مخطوط): ٢٥و، وخزانة الأدب، ابن حجة: ١٠٦/١، والمقفى الكبير: ٣١/٧ البيت الثاني لأبي جلدك محرفًا، وحلبة الكميت: ٢٤٨، والمنهل الصافي: ٢٢٣/١، والنجوم الزاهرة: ١٥٦/٨، وكنوز الذهب: ٢٩٧/١-٢٩٨، وشرح مقامات السيوطي: ٤٥٠/١ دون نسبة، وحسن المحاضرة: ٤٢٦/٢، وريحانة الألبا: ١٨٥/١، والكشكول: ١٤٨٢/٣ دون نسبه.

اختلاف الرواية:

١- في نهاية الأرب: (في لذة)، وفي الكشف والتنبيه: (أرانا دوحه) وفي أعيان النصر: (عجنا ببستان)، وفي فوات الوفيات: (والورق قد صدحت عليه لما بها)، وفي النجوم الزاهرة والمنهل الصافي: (كجنة قد فتحت)، وفي ريحانة الألبا: (في روضة)، وفي الكشكول: (حضرنا دوحه).

٢- في أعيان العصر: (تحسبها)، وفي نسيم الصبا وشرح مقامات السيوطي: (بعض الكلاب فنفشت).

توضيح: ذكر ابن تغري بردي أن الصفدي أخطأ حين قال إن القاضي هو ابن خلكان، وأن القاضي المقصود هو ابن الزملكاني. قلت: تخطئته له لا محل لها من الصحة؛ لأن ابن الزملكاني ولد سنة ٦٦٧هـ وبدر الدين ابن مالك توفي سنة ٦٨٦هـ، وابن الزملكاني لم يلِ منصب قاضي القضاة إلا بحدود سنة ٧٢٤هـ فلا يعقل أن يشير إليه أبو جَلَنْك بهذا اللقب، وهو مازال صغيرًا لم يبلغ العشرين، ولم يلِ هذا المنصب إلا بعد وفاة أبي جَلَنْك. في حين أن ابن خلكان أسبق منه وتوفي سنة ٦٨٣هـ، فيمكن عقلًا أن يقول فيه أبو جَلَنْك هذين البيتين، فيؤلف ابن مالك رسالة في شرحهما.

(حرف الحاء)

..... (٢).....

وله: [من المتقارب]

ولَـوْ قِـيْـلَ لـي: مـا الـذي تَشْتَهي

لتُعْطَى مُـرادَكَ كـي تَسْتَريحا ؟

لـقـلْـتُ: قـلـوبٌ بـقَـدْرِ الـمِـلاحِ

لِأَهْـــوَى بـكُـلِّ فـــؤادٍ مَـليـحـا

التخريج:

عقود الجمان (مخطوط): ٢٥و، ٢٥ظ.

(حرف الراء)

..... (٣) .....

قال: [من البسيط]

أتَـى الـعِـذارُ بـمـاذا أنـتَ مُـعْـتَـذِرُ ؟

وأنـتَ كـالـوَجْـدِ لا تُـبْـقِـي ولا تَـذَرُ

لا عُـذْرَ يُقْبَلُ إذْ نَـمَّ الـعِذارُ، ولا
يُنْجيكَ مِـنْ شَـرِّهِ خَـوْفٌ ولا حَـذَرُ
كأنَّني بـوحوشِ الشَّعْرِ قـدْ أَنِسَتْ
بـوجْـنَـتَـيْـكَ وبـالـعُشَّـاقِ قـد نَـفَـرُوا
وكُـلَّـمـا مَـرَّ بِـيْ مُـرْدٌ أقـولُ لهمْ:
قِفُوا انْظُروا وَجْهَ هذا الحُرِّ واعتبروا
هذا الـذي قـدْ سَـرَتْ يا صاحِبَيَّ له
بقُبْحِ سِـيْـرَتِـهِ بَـيْـنَ الـوَرى سِيَرُ
قـدْ كـان شَـكْـلًا نَـقِـيَّ الـخَـدِّ مُـعْـتَـدِلا
كـأنَّـهُ غُـصْـنُ بـانٍ فـوقَـهُ قَـمَـرُ
ذا حُـمْـرَةٍ وبـيـاضٍ فَـوْقَ وَجْـنـتِـهِ
لها اجتماعٌ بـطَـرْفٍ زانَـهُ الـحَـوَرُ
وحُـكْـمُـهُ نـافِـذٌ فـي عـاشِـقِـيْـهِ فلا
يُـخـالـفونَ لَـهُ أمْـرًا إذا أُمِـرُوا
فـعـاد لَـحْـيَـانَ فـانْـفَـلَّ الجماعةُ إذ
رأوا طريقًا إلى السُّلْوانِ وانْتَصَروا
وعـادَ فـي قَبْضِهِمْ لا شـكَّ جودلة
فـراحَ والـدَّمْـعُ مـن عينيهِ ينهمرُ
يبكي على ما مضى من حُسْنِهِ أَسَفًا
وعَسْكَرُ الشَّعْرِ في خَـدَّيْـهِ مُعْتَكِرُ
لا يستطيعُ لـهُ رَدًّا وكَـمْ حَرَصوا
بِـــرَدِّ ذلـك أقـــوامٌ فـمـا قـدروا
فـهـذِهِ الـمَـوْتَـةُ الأولـى تَـجَـرَّعَـهـا
فصارَ أَوْلَـى من الدُّنْيَا بِـهِ الحُفَرُ
فـاقْـرَأْ على نَعْشِهِ آخِـرْ سَبَأْ فَلَقَدْ
جـاءَتْ بما يَقْتَضي أحوالَهُ السِّوَرُ
إذْ كـانَ حـاجِـبُـهُ نُـونًـا، ونـاظِـرُهُ
صـادًا، وعُـشَّـاقُـهُ من حَـوْلِـهِ زُمَـرُ
إذا رأى عاشِقًا في النَّازعاتِ عدا
ما بَعْدَها وهْوَ قَدْ أَوْدَى بِهِ الضَّرَرُ
فعادَ واللَّيْلُ يَغْشَى نُـوْرَ طَلْعَتِهِ
وزالَ عن عاشِقِيْهِ الهَمُّ والحَصَرُ
هـذا جـزاؤُكَ يـا مَـنْ لا وَفـاءَ لَـهُ
والعاشقون لهُمْ طُوْبَى بما صَبَرُوا

التخريج:

النص كاملًا في: ذيل مرآة الزمان: ٥٠٩/١-٥١٠، وعيون التواريخ (مخطوط): ١٠٢ظ-١٠٣و، وعقد الجمان: ١٥٢/٤-١٥٣، وما عدا الأبيات (٥، ٧، ٨، ١١، ١٢، ١٣، ١٥) في شذرات الذهب: ٧٩٥/٧-٧٩٦، والأبيات (١- ٤) في الوافي بالوفيات: ٢٧٣/٦، وفوات الوفيات: ٦١/١، وعقود الجمان (مخطوط): ٢٥و، والأبيات (١- ٣) في أعيان العصر: ١٩٣/١.

اختلاف الرواية:

١- في ذيل مرآة الزمان والوافي بالوفيات: (أنت تعتذر).

٢- في ذيل مرآة الزمان: (لا العذر يقبل)، وفي الوافي بالوفيات وأعيان العصر وفوات الوفيات وعقود الجمان: (من خوفه بأس ولا حذر).

٣- في فوات الوفيات وعقود الجمان: (الشعر قد نزلت).

٤ـ في شذرات الذهب: (وجه هذا الكَيْس).

٩ـ في ذيل مرآة الزمان: (السلوان فانتصروا).

١٠ـ في عقد الجمان: (لا شكر جودلة...من عينيه منهمر)، وفي شذرات الذهب: (فراح والدمع).

..... (٤).....

وله في الفحم: [من الطويل]

أتى بقُضْبانِ مِسْكٍ ثُمَّ قابَلَها
بوَجْهِهِ فَغَدَتْ كالمُضْعَفِ الجُوْري
لَمَّا رَأَتْ حُسْنَ خَدَّيْهِ وحُمْرَتَها
تَبَرْقَعَتْ خَجَلًا مِنْهُ بكافورِ

التخريج:

كنوز الذهب في تاريخ حلب: ٢٩٧/١.

..... (٥).....

وله: [من السريع]

أما تَرَى اللَّوْزَ وقَدْ طُرِّزتْ
مَطارِفُ الآفاقِ مِنْ زَهْرِهِ
كأنَّهُ كَهْلٌ بَدَا شَيْبُهُ
يَنْظُرُ في المِرْآةِ من نَهْرِهِ
والطَّيْرُ حَجَّامٌ بمِنْقارِهِ
يَلْتَقِطُ الأبْيَضَ مِنْ شَعْرِهِ
أو كاتبٌ أحْكَمَ إنشاءَهُ
وأعْجَزَ الكُتَّابَ في عَصْرِهِ
يُراسِلُ الطَّيْرَ بأوْراقِهِ
ويَنْثُرُ المَنْظومَ من دُرِّهِ
فَنَثْرُهُ أحْسَنُ مِنْ نَظْمِهِ
ونَظْمُهُ أحْسَنُ من نَثْرِهِ

التخريج:

الكشف والتنبيه: ٣٠٥، وجلوة المذاكرة: ٢٢٤، وعقود الجمان (مخطوط): ٢٥ظ.

(حرف الطاء)

..... (٦) .....

وقال ملغزًا في قربة السقاية: [من الطويل]

وذاتِ فَمٍ طَوْرًا تُسَبِّحُ رَبَّها
ولَمْ تَكْتَسِبْ أجْرًا بِتَسْبيحِها قَطُّ
مُعانِقَةُ الصِّبْيانِ مُضْمَرَةُ الهَوى
كأنَّ بَقايا قَوْمِ لُوْطٍ لها رَهْطُ

التخريج:

خزانة الأدب، ابن حجة: ٣٥٠/٢ دون نسبة، والدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠٣.

(حرف العين)

..... (٧) .....

وقال في وصف اللون الأحمر على ساق الحمامة: [من الكامل]

لا تَحْسَبَنَّ خِضّابَها النَّامي على الْـ
ـقَدَمَيْنِ بالمُتَكَلَّفِ المَصْنُوعِ
لكنَّها بالهجْرِ خاضَتْ في دَمي
فتَسَرْبَلَتْ أقْدامُها بنَجيْعِ

التخريج:

الوافي بالوفيات: ٢٧٣/٦، وفوات الوفيات: ٦١/١، وعيون التواريخ (مخطوط): ١٠٣/٢٢و، وعقود الجمان (مخطوط): ٢٥و.

..... (٨) .....

وقال: [من البسيط]

ماذا على الغُصُنِ المَيَّالِ لوْ عَطَفا ؟
ومالَ عَنْ طُرُقِ الهِجْرانِ وانْحَرَفا ؟
وعــادَ لـي عـائِـدٌ مِـنْـهُ إلـى صِـلَـةٍ
حَسْبي من الشَّوْقِ ما لاقَيْتُهُ وكفى !
صَـفَـا لـه القلبُ حتَّى لا يُـمـازجُـهُ
شَــيْءٌ ســواهُ وأمَّــا قَـلْـبُـهُ فَصَفَا
وزارنــي طَـيْـفُـهُ وَهْـنًـا لِيُؤْنِسَني
فاسْتَصْحَبَ النَّوْمَ مِنْ جَفْنَيَّ وانْصَرفا
ورُمْتُ مِنْ خَصْرِهِ بُرْءًا فَزِدْتُ ضَنىً
وطالِبُ البُرْءِ والمَطْلوبُ قد ضَعُفا
حكى الدُّجى شَـعْـرُهُ طُـوْلًا فحاكَمَهُ
فضاعَ بَيْنَهُما عُمْري، وما انْتَصَفا
آهًـا على وَصْـلِـهِ لَـوْ قـامَ شـاهِـدُهُ
على الدُّجى كانَ بالتَّقْصِيرِ مُعْتَرِفا
أَمَـا تَـرَى الغُصْنَ مِنْ أعْطافِهِ ثَمِلا
يَميلُ والـبَـدْرَ مشغوفًا بـهِ كَلِفا !
والنَّرْجِسَ الغَضَّ في أجْفانِهِ مَرَضٌ
مِـنْ جَفْنِهِ ومِـزاجَ الـرَّاحِ مُنْحَرِفا
والعُوْدَ في طَرَبٍ والنَّايَ في صَخَبٍ
يُبْدي هَـواه ولَـوْنَ الشَّمْعِ مُنْخَطِفا
يَبْكي لِيُسْعِدَهُ الـرَّاووقُ مُنْتَحِبًا
بـوَاكِـفٍ كُـلَّـمـا كَـفْـكَـفْـتُـهُ وَكَـفـا
والبَرْقَ في وَجَلٍ مِنْ عَقْدِ بَلْسَمِهِ
إذا تَـــراءَتْ ثَـنـايـاهُ لَــهُ وَجَـفـا
والــوُرْقَ مِـنْ كِـلَلِ الأوْراقِ هاتفةً
تَتْلُوْ على البانِ مِنْ أعْطافِهِ صُحُفا
مـا إنْ أَقــولُ: كـأَنَّ الـدُّرَّ مَبْسَمُهُ
حاشا لتلك الثَّنايا تَـأْلَـفُ الصَّدَفا
ولا أقــولُ: كـأنَّ الـبَـدْرَ طَـلْـعَـتُـهُ
إنْ قُلْتُ ذاكَ فما عُـذْرِيْ إذا كُسِفا ؟

التخريج:

النص كاملًا في عقود الجمان (مخطوط): ٢٥ظ، والأبيات (١ – ٦) في الوافي بالوفيات: ٢٧٤/٦، وأعيان العصر: ١٩٣/١، وفوات الوفيات: ٦٢/١، وعيون التواريخ (مخطوط): ١٠٣/٢٢ظ، والدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠٤، والمنهل الصافي: ٢٢٢/١.

اختلاف الرواية:

١- في عقود الجمان: (الهجران وانعطفا)، وفي المنهل الصافي: (على غصنه الميال).

٢- في عقود الجمان: (وعادني عائد)، وفي المنهل الصافي: (وعائدي عائد).

٤- في الوافي بالوفيات والدر المنتخب: (من عيني وانصرفا).

٦- في المنهل الصافي: (طولًا فخاصمه).

أبو جَلَنْك الحَلَبيّ وما تبقى من شعره

..... (٩) .....

وقال: [من البسيط]

ولِـلْـمـدارسِ أمـوالٌ مُـضَـيَّـعَـةٌ
مَعْلُومةُ النَّهْبِ بَيْنَ الكَأْسِ والسَّاقِ
لـجـاهِـلٍ أو لِـذِيْ جـاهٍ يَـمُـرُّ بها
أوْ أَمْـرَدٍ نـاعِمِ الـخَـدَّيْـنِ والـسَّـاقِ
فـلا يَـقُـوْمُ لِـذِي عِـلْـمٍ بـهـا أَوَدٌ
تاللهِ ما سَجَعَتْ ساقٌ على ساقِ
وثَـمَّ أشـيـاءُ لا أَسْـطِـيْـعُ أَذْكُـرُهـا
لـوْ قُلْتُها قـامَـتِ الدُّنْيا على ساقِ

التخريج:

الدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠٣، وكنوز الذهب في تاريخ حلب: ٢٩٦/١.

اختلاف الرواية:

١- في كنوز الذهب: (سريعة النهب)، وفي المصدرين ورد (الساق) كذا بدون الياء.

٤- في الدر المنتخب: (لا أستطيع أذكرها) وفي كنوز الذهب: (لا أستطيع ذكرها) وفيهما جاء الشطر مكسور الوزن وأظن أن الصواب ما أثبتناه.

..... (١٠) .....

وله: [من البسيط]

وأهْـيَـفٍ من بني الأتْـراكِ طَلْعَتُهُ
كالشَّمْسِ أَوَّلَ ما تَـبـدُو من الأُفُـقِ
أشْهَى إلى القَلْبِ مِنْ رَوْحِ الحياةِ ومِنْ
طِيْبِ الكَرَى لِجُفُونِ السَّاهِرِ القَلِقِ
لَـمْ أَنْـسَـهُ حِيْنَ وَافَـى زائـرًا غَلَسًا
وقَـلْـبُـهُ طـائِـرٌ مِـنْ شِـدَّةِ الـفَـرَقِ
سَـقَـيْـتُـهُ وسَـقَـانـي مِـنْ مُـعَـتَّـقَـةٍ
يا طِيْبَ لَيْلَةِ مُشْتاقٍ سَقَى وسُقِيْ
مازالَ يَنْهَلُ مِنْ شَمْسِ الطُّلَى قَمَري
حَتَّى حَكَتْ وَجْنتاهُ حُـمْـرَةَ الشَّفَقِ
وقـامَ يَـنْـهَـضُ والأرْدافُ تُـقْـعِـدُهُ
سُكْرًا، وحـاوَلَ أنْ يَسْعَى فلَمْ يُطِقِ
شَمائِلٌ فَعَلَتْ صِـرْفُ الشَّمُولِ بها
فِعْلَ الشِّمالِ بِغُصْنِ البانةِ الـوَرِقِ
بِتْنا ضَجِيْعَيْنِ في ثَـوْبِ العَفافِ وبا
تَ الليلُ والصُّبْحُ فَوْقَ الغُصْنِ مُعْتَنِقي
جـاذَبْـتُـهُ لِـعِـنـاقٍ فـانْـثَـنَـى خَـجَـلا
وكُـلِّـلـتْ وَجْـنَـتَـاهُ الـحُـمْـرُ بـالـعَـرَقِ
وقـالَ لي في فُـتُـورٍ مِـنْ لَواحِظِهِ:
إنَّ العِناقَ لَإِثْـمٌ؛ قُلْتُ: في عُنُقي !

التخريج:

لوعة الشاكي: ٦٧ البيتان (٦، ١٠) دون نسبة، وتذكرة النبيه: ٢٣٦/١ الأبيات (١، ٢، ٣، ٤، ٨، ١٠) ودرة الأسلاك (مخطوط): ٧٧ ظ الأبيات (١، ٢، ٣، ٤، ٨، ١٠)، وعقود الجمان (مخطوط): ٢٥ظ الأبيات (٥، ٦، ٧، ١٠)، والدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠٣ الأبيات

(١-٤، ٨، ١٠)، والمستطرف: ٩٢/٣ الأبيات (٥، ٦، ٧، ٩، ١٠) دون نسبة، وحلية البشر: ٣٣٦/١ الأبيات (٥، ٦، ٩، ١٠) دون نسبة وقد شطرها أمين بن محمد الحمصي.

اختلاف الرواية:

١- في الدر المنتخب: (نورها يدنو من الأفق).

٥- في المستطرف: (صرف الطلا.. غدت وجنتاه البيض كالشفق)، وفي حلية البشر: (يرشف من كأس الطلا قمر... حتى بدت شفتاه اللعس كالشفق).

٦- في المستطرف: (وقام يخطر.. طورًا وحاول) وفي لوعة الشاكي: (والصهباء تقعده، بفتور)، وفي حلية البشر: (يخطر والأرداف تقعده غزال أنس يحاكي البدر في الأفق).

٧- في المستطرف: (فعائل فعلت قعل الشمول به فعل النسيم).

٩- في حلية البشر: (ضممته لعناق فانثنى خجلًا.. وكللت وجنتاه الحمر بالعرق).

١٠- في المستطرف ولوعة الشاكي: (بفتور.. العناق حرام)، وفي حلية البشر: (أشار لي برموز من لواحظه.. العناق حرام).

(حرف الكاف)

..... (١١).....

وقال: [من الكامل]

وكأنَّما سَمَكُ الغَديرِ وقَدْ صَفا
فيهِ العُفاةُ غَمَرْتَهُمْ بِنَدَاكا
والرِّيْحُ تَخْفِقُ مَتْنَهُ فكأنَّما
ألْقَتْ عليهِ لِصَيْدِهِنَّ شِباكا
والرَّاحُ قَدْ رَاحَتْ إليْكَ مَشُوْقَةً
فَأْذَنْ لها حَتَّى تُقَبِّلَ فاكا

التخريج:

درة الأسلاك (مخطوط): ٧٧ظ، والدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠٣.

..... (١٢).....

وقال: [من الوافر]

وعِلْقٍ من بني الأَتْراكِ أَلْمَى
لهُ عَيْنانِ وُكِّلَتا بهَتْكِي
ظَفِرْتُ بهِ على رَغْمِ اللَّيالي
فلمْ يَدْخُلْ، وأَكثَرَ في التَّشَكِّي
يقولُ...: ادْفَعْني عليهِ
ولا تَجْزَعْ، وهانَ علَيَّ صَكِّي
فلَمْ أَدفَعْ عليهِ؛ فظَلَّ...
يُقبِّلُ بابَ... ويَبْكي

التخريج:

معاهد التنصيص: ١٩٦/٣ وموضع النقاط كلمات نابية حذفناها من النص.

(حرف اللام)

..... (١٣).....

وقال في أقطع: [من الطويل]

وبِيْ أَقْطَعٌ ما زال يَسْخُو بمالِهِ
ومِنْ جُوْدِهِ ما رُدَّ في النَّاسِ سائِلُ

أبو جَلَنْك الحَلَبيّ وما تبقى من شعره

تَـنـاهَتْ يَـداهُ فـاسْتَـطـالَ عَطاؤُها

((وعِنْدَ التَّناهِي يَقْصُرُ المَتَطاوِلُ))

التخريج:

الوافي بالوفيات: ٢٧٢/٦، والدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠٣، والنجوم الزاهرة: ١٥٦/٨، والمنهل الصافي: ٢٢٣/١، وكنوز الذهب: ٢٩٨/١.

اختلاف الرواية:

١ـ في الدر المنتخب وكنوز الذهب: (ومن فضله ما رد).

٢ـ في الدر المنتخب: (يقتصر التطاول). والشطر للمعري في شروح سقط الزند: ٥٥٢/٢.

..... (١٤).....

وقال ملغزًا في (مسعود): [من الرجز]

اسْـمُ الـذي أَهْـواهُ فـي حُـروفِـهِ

مَـسْـأَلَـةٌ فـي طَـيِّـهـا مَـسـائِـلُ

خُـمْـساهُ فِـعْلٌ وَهْـوَ فـي تَصْحِيْفِهِ

مُـبَـيِّـنٌ والـعَـكْـسُ سُـمٌّ قـاتِـلُ

تُضيءُ بَعْدَ العَصْرِ إنْ جِئْتَ بِهِ

مُـكَـرَّرًا مِـنْ عَـكْـسِكَ الـمَـنـازِلُ

وَهْـوَ إذا صَـحَّـفْـتَـهُ مُـكَـرَّرًا

فـاكِـهَـةٌ يَـلْـتَـذُّ مِـنـهـا الآكِـلُ

وَهْـوَ إذا صَـحَّـفْـتَـهُ جـمـيـعَـهُ

وَصْـفُ امْـرِئٍ يَعْجَبُ منه العاقلُ

وفِـيْـهِ طِـيْـبٌ مُـطْـرِبٌ وطـالـمـا

هـاجَـتْ عـلـى أمْـثـالِـهِ الـبَـلابِـلُ

التخريج:

الوافي بالوفيات: ٢٧٢/٦، وأعيان العصر: ١٩١/١ـ١٩٢، وفوات الوفيات: ٦٠/١ـ٦١ ما عدا البيت الخامس، وعقود الجمان (مخطوط): ٢٤ظ ما عدا الخامس. والذي يقصده الشاعر من اسم مسعود: خمسا الكلمة (مس) وهو فعل إذ صُحِّف صار (مشَّ)، وإذا عُكِس صار (سم)، أما إذا كُرِّر المعكوس فإنه يصير (سمسم) وزيته هو الذي تضاء به المنازل، فإذا صُحِّف المكرر أصبح (مشمش) وهو الفاكهة المقصودة، أما تصحيف الاسم جميعه فإنه يصبح (مشعوذ) الذي يعجب منه العاقل، أما الطيب المطرب فهو (عود) الآلة الموسيقية المعروفة.

..... (١٥).....

ولأبي جلنك في مليح يصفع عاشقه: [من السريع]

وشـــادنٍ يَـصْـفَـعُ مُـغْـرَىً بِـهِ

بِـرَاحَـةٍ أنْـدَى مـن الـوَابِـلِ

فَصِحْتُ في النَّاسِ: ألا فاعْجَبُوا

بَـحْـرٌ غَـدا يَـلْـطِـمُ فـي الـسَّـاحِـلِ

التخريج:

الوافي بالوفيات: ٢٧٤/٦، وعيون التواريخ (مخطوط): ١٠٣/٢٢و-١٠٣ظ، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: ١٥٤/٤، والمنهل الصافي: ٢٢٣/١، والنجوم الزاهرة: ١٥٥/٨.

(حرف الميم)

..... (١٦).....

ومن شعره: [من الطويل]

أرى النَّرْجِسَ الغَضَّ الجَنِيَّ مُشَمِّرًا

على سُوْقِهِ في خِدْمَةِ الوَرْدِ قائمُ

وقَدْ ذَلَّ حَتَّى لَفَّ فَوْقَ رُؤوسِهِ

عمائمَ فيها لليَهُودِ عَلائمُ

التخريج:

الكشف والتنبيه: ٢٧٩، والغيث المسجم: ٢٦٩/٢، وجلوة المذاكرة: ٢١١، وسكردان السلطان: ٤٦٩، وكنوز الذهب: ٢٩٦/١، وشرح مقامات السيوطي: ٤٤٥/١.

اختلاف الرواية:

١- في الكشف والتنبيه وجلوة المذاكرة وشرح مقامات السيوطي: (الغض الذكي)، وفي الغيث المسجم: (الغض الشهي)، وفي سكردان السلطان وشرح مقامات السيوطي: (على ساقه).

٢- في شرح مقامات السيوطي: (لف من فوق رأسه)، وفي الكشف والتنبيه وجلوة المذاكرة: (كاليهود)، وفي كنوز الذهب: (لليهود عمائم).

قلت: لعل هذا النص من أواخر النصوص التي قالها الشاعر؛ بسبب من ذكره العمائم المميِّزة لليهود من غيرهم؛ إذ تخبرنا كتب التاريخ أن السلطان الناصر قلاوون فرض على أهل الذمة في مصر والشام لبسَ عمائم بلون مغاير لعمائم المسلمين؛ فأُلْبِسَ النصارى عمائم زرقًا، واليهود عمائم صُفرًا؛ ينظر مثلًا: النجوم الزاهرة: ١٣٣/٨، والشاعر يشبه الكوب أو الهالة الصفراء التي تكون في وسط زهرة النرجس بعمائم اليهود الصفراء، وهو ما يؤكد ما قلناه.

(حرف النون)

..... (١٧).....

وله: [من الطويل]

حَمَاةُ حَماها اللهُ للفِسْقِ كَعْبَةٌ

يحجُّ إليها أَهْلُ كُلِّ مَكانِ

إلى بَلْدَةٍ يَصْبو لها كُلُّ رائحٍ

لـه... تأوي إلى الدَّبَرانِ

أباحوا مِنَ اللَّذَّاتِ كُلَّ مُحَرَّمٍ

وقَدْ خلطوا شَعْبانَ في رَمَضَانِ

التخريج:

عقود الجمان (مخطوط): ٢٥و، وموضع النقاط في البيت الثاني كلمة نابية حذفناها من النص.

..... (١٨).....

ومن شعره: [من البسيط]

جَعَلْتُكَ المَسْجِدَ الأقْصَى ومَوْطِنَكَ الـ

ـبَيْتَ المُقَدَّسَ مِنْ رُوحي وجُثْماني

وقَلْبَكَ الصَّخْرَةَ الصَّمَّاءَ حِيْنَ قَسَتْ

قامَتْ قِيامةُ أشواقي وأشجاني

أمَّا إذا كُنْتَ تَرْضَى أنْ تُقاطِعَني

وأنْ يَزورَكَ ذو زُوْرٍ وبُهْتانِ

أبو جَلَنْك الحَلَبيّ وما تبقى من شعره

فلا تَـغُـرَّنْـكَ نـارٌ فـي حَـشَـايَ فمِنْ

وادي جَهَنَّمَ تَـجْـري عَـيْـنُ سُـلْـوانِ

التخريج:

ذيل مرآة الزمان: ٥٠٨/١، وتالي كتاب وفيات الأعيان: ٣٠، والوافي بالوفيات: ٢٧٣/٦، وأعيان العصر: ١٩٣/١، وفوات الوفيات: ٦١/١-٦٢، وعيون التواريخ (مخطوط): ١٠٣/٢٢و، وتذكرة النبيه: ٢٣٧/١ ما عدا الثاني، ودرة الأسلاك (مخطوط): ٧٧ظ ما عدا الثاني، وعقود الجمان (مخطوط): ٢٥و، والدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠٢، وعقد الجمان: ١٥٤/٤.

اختلاف الرواية:

١- في ذيل مرآة الزمان وتالي وفيات الأعيان والوافي بالوفيات وفوات الوفيات وعيون التواريخ وعقود الجمان وعقد الجمان: (المقصد الأقصى)، وفي أعيان العصر: (المقصد الأسنى)، وفي تذكرة النبيه ودرة الأسلاك: (من قلبي وجثماني).

٢- في أعيان العصر: (أشواقي وأحزاني).

٣- في عيون التواريخ وعقد الجمان: (ذا زور وبهتان).

٤- في ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ وعقود الجمان وعقد الجمان: (فلا تغرك)، وفي تالي وفيات الأعيان: (فلا يغرك)، وفي أعيان العصر: (فلا يغرنك).

قال ياقوت: ((عين سلوان محلة في وادي جهنم في ظاهر البيت المقدس لا عمارة عندها البتة إلا أن يكون مسجدًا أو ما يشابهه)) معجم البلدان: ١٧٨/٤ وينظر: ٢٤١/٣.

..... (١٩) .....

وقال فيمن معه خادم: [من الكامل]

ورأيْـتُ مَـنْ أهْـوَى يُصاحِبُ خادمًا

فعَجِبْتُ كَـيْـفَ تَجَمَّعَ الـضِّـدَّانِ ؟!

فـكـأنَّـهُ والـعَـبْـدُ مُـتَّـصِـلٌ بِـهِ

يَـوْمُ الـوِصـالِ ولَـيْـلَـةُ الـهِـجْـرانِ

التخريج:

تذكرة النبيه: ٢٣٧/١، ودرة الأسلاك (مخطوط): ٧٧ظ، والدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠٢.

..... (٢٠) .....

ومن شعره: [من السريع]

أتَـى جَـمـالُ الـدِّيْـنِ يَـخْـتـالُ في

ثَـوْبٍ مِـنَ الـمُـفْـتَـخِـرِ الـمَـعْـدَنِـيْ

فـقُـلْـتُ: نِـعْـمَ الـثَّـوْبُ هـذا الـذي

يَـلْـبَـسُ لَـوْلا أنَّـهُ مَـعْ دَنِـيْ

التخريج:

كنوز الذهب في تاريخ حلب: ٢٩٦/١.

..... (٢١) .....

وله: [من المتقارب]

تَـصَـرَّفْ وَوَقِّـعْ بِـمَـا تَشْتَـهي

فـفـي راحَـتَـيْـكَ زِمـامُ الـزَّمـانِ

وفي ذي الـدَّوَاةِ سُـرورُ الصَّديقِ
وغَـيْـظُ الـعَـدُوِّ ونَـيْـلُ الأمـانـي
عُـيُـوْنُ الأقـالـيـمِ أقْـلامُـهـا
تَـفَـجَّـرَ مِـنـهـا مَـعِـيْـنُ المَـعـانـي
فتُخْصِبُ مِـنْـهُ غُـرُوْسُ الـطُّـرُوسِ
وتُـخْـضَـبُ مِـنْـهُ بَـنَـانُ الـبَـيَـانِ

التخريج:

ذيل مرآة الزمان: ٥١٠/١، وعيون التواريخ (مخطوط): ١٠٣/٢٢ ظ.

(حرف الهاء)

..... (٢٢).....

ولما كان بحماه التزم لبعض الأكابر من أهلها أن يهجو صاحب حماة في وجهه فعمل أبياتًا. وأنشده إياها. وهي: [من السريع]

أشْـكُـوْ إلـى الـلـهِ حَـمـاتـي، ومـا
يَـعْـلَـمُ مـا ألْـقـاهُ مِـنْـهـا سِـوَاهْ
عَـجُـوْزُ سُـوْءٍ لَـوْ رَأَتْ ثَـرْوَةً
طـارتْ إلـيـهـا بـجَـنَـاحَـيْ قَـطـاهْ
تَـقـولُ لـلـبِـنْـتِ: الْـطُـمِـيْ خَـدَّهُ
ولا تَـخـافِـيْـهِ وسُـبِّـيْ أَبـاهْ
والـلـهِ مـا أَفْـلَـحْـتُ مـا عُـمِّـرَتْ
قُـلْ لي مَتَى أفْلَحَ صاحِبْ حَماهْ ؟!

فلما سمعها السلطان فهم ما أراد، وعفى عنه.

التخريج:

الدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠٤، وكنوز الذهب في تاريخ حلب: ٢٩٦/١.

اختلاف الرواية:

٣- في كنوز الذهب: (ولا تكافيه وسبي).

(ب) ما نسب له ولغيره

(حرف الباء)

..... (٢٣).....

قال سبط ابن العجمي (ت٨٨٤هـ): ((وفي كلام الصلاح الصفدي: أنشدني بعض الأصحاب وزعم أنه للشيخ شمس الدين ابن الصايغ: [من المديد]

يـا عَـرُوضِـيًّـا لـهُ فِـطَـنٌ
بَـحْـرُهـا بـالـفِـكْـرِ يَـضْـطَـرِبُ
أيُّـمـا اسْـمٍ وَضْـعُـهُ وَتَـدٌ
وَهْـوَ إنْ صَـحَّـفْـتَـهُ سَـبَـبُ
ويُـرَى فـي الـوَزْنِ فـاصِـلَـةً
سـاكـنًـا تَـحْـرِيْـكُـهُ عَـجَـبُ

أي جبل، والجبال أوتادا وزن فاصلة صغرى فهو ثلاث متحركات وبعدها ساكن. انتهى. وكتب عليه شخص الصحيح لأبي جلنك. انتهى.)).

التخريج:

كنوز الذهب في تاريخ حلب: ٢٩٨/١، وفي الغيث المسجم: ٣٢/١ لشمس الدين ابن الصايغ.

(حرف الحاء)

..... (٢٤).....

ومما نسب له خطًا:

أبو جَلَنْك الحَلَبيّ وما تبقى من شعره

وقالوا: في الهجاء عليك إثم
وليس الإثم إلا في المديحِ
لأني في المديح أقول زورًا
وعند الهجو أنطق بالصحيحِ

التخريج:

البيتان لأبي جلنك في الدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠٤، وكنوز الذهب: ٢٩٦/١، وهما في محاضرات الأدباء: ٤٣/٢ لعبدان، وفي سفط الملح: ١٧٧ لابن الرومي ولم أجدهما في ديوانه على الرغم من أن محقق الكتاب قد خرجهما عن ديوانه: ٢٣٣/١ دون أن يعطي معلومات النسخة، وقد عدت إلى نسخة نصار ونسخة دار الكتب العلمية ولم أجد ضالتي فيهما، وهما في الكشكول: ١١١٠/٣ دون نسبة. قلت: ما دام الراغب (ت٥٠٢هـ) والدجاجي (ت٥٦٤هـ) قد أوردا البيتين؛ فلا شك في أن البيتين ليسا لأبي جلنك.

(حرف السين)

..... (٢٥) .....

قال الذهبي: ((يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مِسْعَرٍ الْفَقِيهُ الإِمَامُ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو سَالِمٍ الْمَعَرِّيُّ الْمِسْعَرِيُّ الشَّافِعِيُّ قَاضِي كَفْرَطَابَ. تُوُفِّيَ كَهْلا فِي حُدُودِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ. أَنْشَدَنِي أَبُو سَالِمٍ يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ بِسِرْمِينَ، قَالَ: أَنْشَدَنَا أَبُو جلنك أَحْمَدُ الأَدِيبُ فِي مَقْدَشَاوِيَةَ، وَأَجَادَ فِي التَّوْرِيَةِ: [من الطويل]

وَمَشْمُولَةٌ رَقَّتْ وَرَاقَتْ فَأَصْبَحَتْ
عَلَى الشُّرْبِ تَزْهُو حِينَ تُجْلَى عَلَى الْكَاسِ
مُعَتَّقَةٌ مَا شُمِّسَتْ بَعْدَ عَصْرِهَا
لإِثْمٍ وَكَمْ فِيهَا مَنَافِعُ لِلنَّاسِ ؟!
وَلا عُصِرَتْ يَوْمًا بِرِجْلٍ وَكَمْ لَهَا
إِذَا مَا أُدِيرَتْ مِنْ صُعُودٍ إِلَى الرَّاسِ ؟!

التخريج:

معجم الشيوخ، الذهبي: ٣٦٨/٢، والأبيات في أعيان العصر: ٥٢٠/٥ لابن عبد الظاهر، ومطالع البدور: ١٥٨/١ لابن عبد الظاهر، وفي الدرر الكامنة: ٤١١/٤ نقل ابن حجر عن الذهبي أنه أورد الأبيات ليحيى بن أحمد بن مسعر، وهو وهم منه كما يبدو أو من الناسخ؛ لأن الذهبي كما نقلنا ذكر أن يحيى رواها عن أبي جلنك.

اختلاف الرواية:

١ـ في مطالع البدور: (تزهى حين تهدى إلى).

٣ـ في مطالع البدور: (برجل ولا لها).

الحواشي

(١) ينظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان: ٥٠٧/١، وتالي كتاب وفيات الأعيان: ٣٠، والمقتفي على كتاب الروضتين: ١٣٩/٣، وتاريخ الإسلام: ٩٦٣/١٥، والوافي بالوفيات: ٢٧١/٦، وأعيان العصر: ١٩٠/١، وفوات الوفيات: ٦٠/١، وعيون التواريخ (مخطوط): ١٠٢ظ، وتذكرة النبيه: ٢٣٦/١، ودرة الأسلاك (مخطوط): ٧٧و، وعقود الجمان (مخطوط): ٢٤و، وتوضيح المشتبه: ٤٤٦/٣، والدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠١، وعقد الجمان: ١٥٢/٤، والمنهل الصافي: ٢٢١/١، والنجوم الزاهرة: ١٥/٨، والدليل الشافي: ٣٦/١، وكنوز الذهب: ٢٩٦/١، وسلم الوصول إلى طبقات

الفحول: ١٢٠/١ و ١٢٧/٤، وشذرات الذهب: ٧٩٥/٧، وديوان الإسلام: ٧٢/٢، وتاريخ الأدب العربي، عمر فروخ: ٦٩٤/٣.

(٢) انفرد ابن حبيب الحلبي وسبط بن العجمي بذكر اسم جده مسعود، ينظر: درة الأسلاك (مخطوط): ٧٧و، وكنوز الذهب: ٢٩٦/١ نقلًا عن ابن حبيب.

(٣) انفرد ابن حجلة التلمساني في سكردان السلطان: ١٥٥، وابن حجة الحموي في خزانة الأدب: ٤٩٣/١، وشهاب الدين الخفاجي في ريحانة الألبا: ١٨٥/١ بأن سموه (ابن جلنك). وكذا ورد اسمه عند عمر فروخ في تاريخ الأدب العربي: ٦٩٤/٣. وانفرد المقريزي في المقفى الكبير: ٣١/٧ فسماه (أبا جلدك) حين ورد اسمه في ترجمة محمد بن مالك، ولعله من سهو الناسخ أو من توهم المحقق في قراءة المخطوط، والله أعلم.

(٤) توضيح المشتبه: ٤٤٦/٣.

(٥) تكملة المعاجم العربية: ٢٥٩/٢.

(٦) قال ياقوت عنها: ((وماردين: قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دُنيسر ودارا ونصيبين...)) معجم البلدان: ٣٩/٥، وينظر: مراصد الاطلاع: ١٢١٩/٣، وقد كانت جزءًا من بلاد الشام منذ الحكم السلجوقي، وضمتها الدولة العثمانية إلى أراضيها وهي اليوم تابعة لتركيا.

(٧) تنديبة: طُرْفة أو نادرة.

(٨) أعيان العصر وأعوان النصر: ١٩٠/١-١٩١.

(٩) قال ياقوت عن أهلها: ((ودورهم فيها كالدرج كل دار فوق الأخرى، وكل درب منها يشرف على ما تحته من الدور ليس دون سطوحهم مانع، وعندهم عيون قليلة الماء وجل شربهم من صهاريج معدة في دورهم...)) معجم البلدان: ٣٩/٥، وينظر: مراصد الاطلاع: ١٢١٩/٣. ويظهر من خلال ما قاله ياقوت عن شحة الماء في ماردين أن الحادثة وقعت فيها وليس في الموصل؛ مما يعزز من قولنا في عدم خروجه من بلاد الشام.

(١٠) تاريخ الإسلام: ٩٦٣/١٥، والدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠٥، والمنهل الصافي: ٢٢٢/١، والنجوم الزاهرة: ١٥٥/٨.

(١١) أعيان العصر: ١٩١/١، وكنوز الذهب: ٢٩٥/١.

(١٢) تذكرة النبيه: ٢٣٦/١، ودرة الأسلاك (مخطوط): ٧٧ظ، والدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠٥.

(١٣) الدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠١، وينظر: تذكرة النبيه: ٢٣٦/١، ودرة الأسلاك (مخطوط): ٧٧ظ، وكنوز الذهب: ٢٩٦/١.

(١٤) أعيان العصر وأعوان النصر: ١٩٠/١-١٩١.

(١٥) هو القاضي سليمان بن أبي الحسن بن سليمان بن ريان الطائي الحلبي ((تولى نظر جيش صفد وطرابلس ثم حلب ودمشق، وكان إمامًا كاتبا، فاضلا، ذا وجاهة وحرمة، ومآثر كثيرة، ومحاسن غزيرة، تنزه عن المباشرة في أواخر عمره، ولزم داره إلى أن مات في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بحلب.)) المنهل الصافي: ١٧/٦-١٨.

(١٦) شمس الدين ابن خلكان قاضي قضاة دمشق وعالمها ومؤرخها. ولد في سنة ٦٠٨هـ بإربل وبها نشأ. كان إمامًا عالمًا فقيهًا أديبًا شاعرًا مفتنًا، وهو صاحب وفيات الأعيان وفيه غنى عن تفصيل القول في شهرته. توفي سنة ٦٨١هـ. ولي قضاء دمشق مرتين: الأولى من ٦٦٠-٦٦٩هـ، وبعدها قدم القاهرة، وناب في الحكم بها عن قاضي القضاة بدر الدين السنجاري، وأفتى بها ودرس ودام بها نحو سبع سنين، ثم أعيد إلى قضاء دمشق سنة ٦٧٧هـ وعزل سنة ٦٨٠هـ؛ ينظر: البداية والنهاية: ٥٨٨/١٧، والمنهل الصافي: ٨٩/٢.

(١٧) محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الإمام بدر الدين الإمام جمال الدين الطائي الدمشقي الشافعي النحوي بن النحوي، كان إمامًا فهمًا ذكيًا، حاد الخاطر، إمامًا في النحو والمعاني والبيان والبديع والعروض والمنطق، جيد المشاركة في الفقه والأصول. له مؤلفات عديدة. توفي بدمشق سنة ٦٨٦هـ. ينظر: بغية الوعاة: ٢٢٥/١، المقفى الكبير: ٣٠/٧، والمنهل الصافي: ٤٥/١١.

(١٨) قاضي القضاة كمال الدين أبو المعالي محمد بن علي بن عبد الواحد المعروف بابن الزملكاني الأنصاري الدمشقي، كبير الشافعية في عصره؛ ولد سنة ٦٦٧هـ في دمشق، ونشأ فيها ونهل من علمائها، فبرع في أكثر العلوم، وله شعر، وتصدر للفتيا وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره، وله مؤلفات فيه. ولي وظائف عدة منها وكالة بيت المال وديوان الإنشاء، ثم صار قاضي القضاة بحلب سنة ٧٢٤هـ، وطلبه السلطان ليوليه قضاء دمشق فمرض في طريقه إليها وتوفي في بلبيس في رمضان سنة ٧٢٧ هـ، ينظر عنه: الوافي بالوفيات: ٢١٤/٤ وفوات الوفيات: ٧/٤، والنجوم الزاهرة: ٢٧٠/٩.

(١٩) هو الأمير علاء الدين أمير علي بن الأمير الكبير المهيب سيف الدين تنكز نائب الشام توفي ستة ٧٣٣هـ، ينظر: أعيان العصر: ٣٢٠/٣، والدرر الكامنة: ٣٥/٣.

(٢٠) هو علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البِرزالي الإمام الحافظ المحدث المؤرخ توفي سنة ٧٣٩هـ، ينظر: أعيان العصر: ٤٩/٤، والوافي بالوفيات: ١٦١/٢٤، والدرر الكامنة: ٢٣٧/٣.

(٢١) ينظر: تذكرة النبيه: ٢٣٦/١، وعقد الجمان: ١٥٢/٤، والمنهل الصافي: ٢٢١/١، وكنوز الذهب: ٢٩٥/١.

(٢٢) ينظر: الدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠١.

(٢٣) ينظر: المقتفي على كتاب الروضتين: ١٣٩/٣، تاريخ الإسلام: ٩٦٣/١٥.

(٢٤) ينظر: ذيل مرآة الزمان: ٥٠٧/١، وتاريخ الإسلام: ٩٦٣/١٥، وتذكرة النبيه: ٢٣٦/١، ودرة الأسلاك (مخطوط): ٧٧و، والدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠١، والنجوم الزاهرة: ١٥/٨.

(٢٥) درة الأسلاك (مخطوط): ٧٧و، وتذكرة النبيه: ٢٣٦/١، ونقل ذلك عنه في كنوز الذهب: ٢٩٦/١، ونقل كلامًا شبيهًا به صاحب الدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠١.

(٢٦) الوافي بالوفيات: ٢٧٢/٦، وأعيان العصر: ١٩١/١، وفوات الوفيات: ٦٠/١، وعقود الجمان (مخطوط): ٢٤و، والمنهل الصافي: ٢٢٢/١، والنجوم الزاهرة: ١٥٥/٨.

(٢٧) المنهل الصافي: ٢٢٣/١، وديوان الإسلام: ٧٢/٢.

(٢٨) ينظر: أعيان العصر وأعوان النصر: ١٩١/١.

(٢٩) توضيح المشتبه: ٤٤٦/٣.

(٣٠) ذيل مرآة الزمان: ٥٠٧/١-٥١٠.

(٣١) معجم الشيوخ، الذهبي: ٣٦٨/٢.

(٣٢) ينظر: أعيان العصر وأعوان النصر: ١٩٢/١.

(٣٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٣/١.

(٣٤) درة الأسلاك (مخطوط): ٧٧و-٧٧ظ، وتذكرة النبيه: ٢٣٦/١، ونقل ذلك عنه في كنوز الذهب: ٢٩٥/١، ونقل كلامًا شبيهًا به صاحب الدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠١.

(٣٥) المنهل الصافي: ٢٢١/١.

(٣٦) النجوم الزاهرة: ١٥٥/٨.

(٣٧) أعيان العصر: ١٩٤/١.

(٣٨) الوافي بالوفيات: ٢٧٢/٦، وينظر: ذيل مرآة الزمان: ٥٠٧/١، وتالي كتاب وفيات الأعيان: ٣٠، والمقتفي على كتاب الروضتين: ١٣٩/٣، وتاريخ الإسلام: ٩٦٣/١٥، والوافي بالوفيات: ٢٧١/٦، وأعيان العصر: ١٩٠/١، وفوات الوفيات: ٦٠/١، وعيون التواريخ (مخطوط): ١٠٢ظ، وتذكرة النبيه: ٢٣٦/١، ودرة الأسلاك (مخطوط): ٧٧و، وعقود الجمان (مخطوط): ٢٤و، وتوضيح المشتبه: ٤٤٦/٣، والدر المنتخب (رسالة جامعية): ١٠١، وعقد الجمان: ١٥٢/٤، والمنهل الصافي: ٢٢١/١، والنجوم الزاهرة: ١٥/٨، والدليل الشافي: ٣٦/١، وكنوز الذهب: ٢٩٦/١، وشذرات الذهب: ٧٩٥/٧، وديوان الإسلام: ٧٢/٢.

المصـــادر والمراجع

المخطوطات:

- درة الأسلاك في دولة الأتراك، الحسن بن عمر ابن حبيب الحلبي (ت٧٧٩هـ). تركيا. مكتبة أيا صوفيا. الرقم ٢٣٣.
- عقـود الجمـان وتذييل وفيـات الأعيـان. محمد بن بهـادر بن عبد الله الزركشـي (ت٧٩٤هـ). تركيا. مكتبة الفاتح. السليمانية رقم ٤٤٣٤.
- عيون التواريخ. ابن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ). الجزء ٢٢، تركيا - إستنبول - متحف طوب قابو سراي (أحمد الثالث ٢٩٢٢/٢٢).

الكتب:

- أعيان العصر وأعوان النصر. صلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ). تحقيق: د. علي أبو زيد، د.نبيل أبو عمشة، د. محمد موعد، د. محمود سالم محمد. دار الفكر. دمشق. ط١٩٩٨/١.
- البداية والنهاية. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ). تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي. دار هجر للطباعة والنشر. ط١٩٩٧/١-١٩٩٨.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر. بيروت. ط١٩٧٩/٢.
- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ. الجزء الثالث، دار العلم للملايين. بيروت. ط٧ / ٢٠٠٦.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ). تحقيق: د. بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. ط٢٠٠٣/١.
- تالي كتاب وفيات الأعيان، فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي (ت٧٢٦هـ). تحقيق: جاكلين سوبلة. المعهد الفرنسي للدراسات العربية. دمشق. ١٩٧٤.
- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه. الحسن بن عمر ابن حبيب الحلبي (ت٧٧٩هـ). الجزء الأول. تحقيق: د. محمد محمد أمين. دار الكتب المصرية. القاهرة. ١٩٧٦.
- تكملة المعاجم العربية. رينهارت دوزي. ترجمة: د. محمد سليم النعيمي. دار الرشيد للنشر ودار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ١٩٨٠-٢٠٠٠م.
- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ابن ناصر الدين (ت٨٤٢هـ). تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت. ط١٩٩٣/١م.
- جلوة المذاكرة في خلوة المحاضرة. صلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ). تحقيق: أحمد رفيق الطحان. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة. ٢٠١٥.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. ط١٩٦٧/١.
- حلبة الكميت. شمس الدين النواجي (ت ٨٥٩هـ). مطبعة إدارة الوطن. مصر. ١٢٩٩هـ.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار (ت١٣٣٥هـ). تحقيق: محمد بهجة البيطار. دار صادر، بيروت. ط١٩٩٣/٢.
- خزانة الأدب وغاية الأرب. ابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ). تحقيق: عصام شعيتو. دار ومكتبة الهلال. بيروت. لبنان. ط١٩٨٧/١م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). تحقيق: محمد عبد المعيد خان. مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد. الهند. ط١٩٧٢/٢.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي. ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ). تحقيق: فهيم محمد شلتوت. دار الكتب المصرية. القاهرة. ط١٩٩٨/٢.

أبو جَلَنْك الحَلَبيّ وما تبقى من شعره

- ديوان الإسلام. شمس الدين ابن الغزي (ت١١٦٧هـ). تحقيق: سيد كسروي حسن. دار الكتب العلمية، بيروت. ط١/١٩٩٠.
- ذيل مرآة الزمان. قطب الدين اليونيني (ت٧٢٦هـ). تحقيق: د. حمزة أحمد عباس. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث. المجمع الثقافي. أبو ظبي. ط١/٢٠٠٧.
- ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا. شهاب الدين الخفاجي (ت١٠٦٩هـ). تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة. ط١/١٩٦٧.
- سفط الملح وزوح الترح. سعد الله بن نصر الدجاجي (ت٥٦٤هـ). تحقيق: د. خالد أحمد الملا السويدي. مؤسسة بين النهرين للإنتاج الفني والثقافي. دمشق. ط١/٢٠٠٥.
- سكردان السلطان. ابن حجلة التلمساني (ت٧٧٦هـ). المطبعة العامرة. مصر. ١٢٨٨هـ.
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول. حاجي خليفة (ت١٠٦٧ هـ). تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط. مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا. ٢٠١٠.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. أبو الفلاح عبد الحي العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ). تحقيق: محمود الأرناؤوط. دار ابن كثير. دمشق. بيروت. ط١/١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- شرح مقامات جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ). تحقيق: سمير محمود الدروبي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١/١٩٨٩.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (العصر الأيوبي). بدر الدين محمود العيني (ت٨٥٥هـ). تحقيق ودراسة: د. محمود رزق محمود. دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة. ٢٠٠٧.
- الغيث المسجم في شرح لامية العجم. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ). دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٢/١٩٩٠م.
- فوات الوفيات. ابن شاكر الكُتبي (ت٧٦٤هـ). تحقيق: د. إحسان عبّاس. دار صادر. بيروت. لبنان. ١٩٧٤م.
- الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه. صلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ). تحقيق: د. هلال ناجي، وليد بن أحمد الحسيني. إصدارات الحكمة. بريطانيا. ليدز. ط١/١٩٩٩.
- الكشكول. محمد بن الحسين البهائي (ت١٠٣١هـ). تحقيق: محمد حسين المعلم. المكتبة الحيدرية. قم. إيران. ط١/١٤٢٧هـ.
- كنوز الذهب في تاريخ حلب. أبو ذر أحمد بن إبراهيم بن محمد سبط ابن العجمي (ت٨٨٤هـ). دار القلم. حلب. سورية. ط١/١٤١٧هـ.
- لوعة الشاكي ودمعة الباكي. صلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ). ضبط وشرح وتصحيح: محمد أبو الفضل محمد هارون. المطبعة الرحمانية، مصر. ط١/ ١٩٢٢.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ). تحقيق: د.رياض عبد الحميد مراد. دار صادر. بيروت. لبنان. ط١/٢٠٠٤.
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت٧٣٩هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي. مطبعة البابي الحلبي. القاهرة.١٩٥٥.
- المستطرف في كل فن مستطرف. أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي (ت٨٥٤هـ). تحقيق: إبراهيم صالح. دار صادر. بيروت. ط١/١٩٩٩.
- مطالع البدور في منازل السرور. علاء الدين علي بن عبد الله الغزولي (ت٨١٥هـ). تحقيق: التجاني سعيد محمود. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١/٢٠١٦.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. عبد الرحيم

العباسي (ت٩٦٣هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة. مصر. ١٩٤٧.

- معجم البلدان. ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ). دار صادر. بيروت. ١٩٧٧.
- معجم الشيوخ الكبير. شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ). تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة. مكتبة الصديق. الطائف. المملكة العربية السعودية. ط١/١٩٨٨.
- المقتفي على كتاب الروضتين. علم الدين البرزالي (ت٧٣٩هـ). تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. المكتبة العصرية. بيروت. ط١/٢٠٠٦.
- المقفى الكبير. تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ). تحقيق: محمد اليعلاوي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط١/١٩٩١.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي. ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ). تحقيق: د. محمد محمد أمين. تقديم: د. سعيد عبد الفتاح عاشور. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.١٩٨٤.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ). دار الكتب المصرية . القاهرة. ١٩٧٢.
- نهاية الأرب في فنون الأدب. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ). دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة. ط١/١٤٢٣هـ.
- الوافي بالوفيات. صلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ). دار النشر فرانز شتاينر. شتوتغارت. ودار صادر. بيروت. ط٢/١٩٩١.

الرسائل الجامعية:

- الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب. ابن خطيب الناصرية (ت٨٤٣هـ). تحقيق: سعد بن عوض الحارثي. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية. ١٤٣٢هـ.

ابنُ سَعْدِ الخَيـْرِ البَلَنْسِي حياتُهُ ومَاتَبَقَّى من شعره

"جمع وتوثيق ودراسة"

د. محمد محجوب محمد عبد المجيد
جامعة أم درمان الإسلامية
السودان

هذا البحث عن ابن سعد الخير البلنسي هو الحلقة الرابعة[١] من سلسلتنا عن شعراء أندلسيين كانوا أعلاما في عصرهم، لكن صروف الدهر وغلواء الحياة أو الظروف السياسية أو غير ذلك أخملت ذكرهم، وأنست سيرتهم.

يبدو أن مكانة ابن سعد الخير البلنسي العلمية بوصفه أحد أكبر علماء العربية في بلنسية، إقراء ودرسا وربما تأليفا، قد أعشت عيون الباحثين عن رؤيته شاعرا أديبا، ولعل هذا ما دفعنا إلى إخراجه من حجاب الخمول إلى حيز الوجود، وتقديمه- لأول مرة- شاعرا فذا، فضلا عن إظهار عناصر الإبداع الفني عنده.

حياته وشخصيته:

اسمه علي بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير الأنصاري[٢]، وكنيته أبو الحسن، ولعل نعته بالأنصاري يقودنا للسؤال عن أصله، هل كان أجداده من الأوس أم الخزرج أم من الأزد الذين ينتسبون للأنصار كما جاء في نفح الطيب[٣]، والحق أنَّا لا ندري على وجه اليقين، وإن كنا نميل لكونه أوسيا أو أزديـا، والذي يدفعنا لذلك أن الأنصار من الخزرج حريصون كل الحرص على ذكر نسبهم الخزرجي قبل الأنصاري[٤].

ولد صاحبنا سنة ٥١٠هـ بمدينة بلنسية[٥]، وذكر ابن الأبـار أنه من أهلها، لكن أمه من قَشْتِيل الحبيب من أعمال شنتمرية[٦]. وليس بين أيدينا شيء عن أسرته ومكانتها الاجتماعية أو سني نشأته الأولى، لكن الواضح أنه من أسرة

تُعْنى بنشأة أبنائها تأديبا وتعليما، وكان له أخ ثانٍ اسمه أحمد[٧] من علماء بلنسية، كان أصغر منه، لكن ليس لدرجة أن يتتلمذ على يديه، وإلا لكان صاحبنا أول شيوخه.

اختلف ابن سعد الخير إلى حلقات العلم مبكرا كعادة الأندلسيين، فقد ذكر ابن الأبار وغيره أنه سمع من أبي محمد القَلَّني[٨]، وأبي الوليد بن الدَّبَّاغ[٩]، وأبي الوليد بن خِيَرة[١٠]، وأبي الحسن بن النِّعمة[١١] الذي لازمه وتأدب به[١٢]، وزاد المراكشي[١٣] أبا محمد بن السِّيد البَطَلْيَوْسي[١٤] الذي اختص بـه[١٥]، وحقا أن صاحبنا لم يجالسه زمنا طويلا فقد اخترمت المنية ابن السيد سنة ٥٢١هـ وقتها كان صاحبنا ابن الحادية عشرة، لكن من الواضح أن شخصية أستاذه ابن السيد أحدثت تأثيرا كبيرا في بناء شخصيته، ففضلا عن تأثره به في إخلاصه للعلم وإقراء العربية والضبط والتفهيم، وجدناه يُعنى أيما عناية باستكمال ما لم يكمله أستاذه، فكان أن أكمل له شرحه على جُمل ابن السَّراج والذي وقف فيه عند باب الندبة[١٦]، كما جمع طُرره على كامل المُبَرِّد وزاد عليها.

والواضح أنه حَصَّل علوم العربية وتفوق فيها، يقول ابن الأبار "كان عالما بالعربية واللغة والآداب إماما في ذلك، وأقرأ بها حياته كلها، وكان حسن التعليم والتفهيم[١٧]، فضلا عن حسن الخط[١٨] وجودة الضبط، ويبدو أن علم النحو والآداب غلبا عليه، لكن مع ذلك لم يكن علم الحديث بضاعته[١٩]. والواضح أن ابن سعد الخير كان مخلصا للعلم منقطعا له، وعلى الرغم من أنه كان منسوبا إلى غفلة تغلب عليه- كما يقول ابن الأبار[٢٠]- إلا أن ذلك لايزري من قيمته، أو يقلل من قدره، أو يحط من مكانته، فهو من العلماء الذين انقطعوا للعلم بتجرد ونكران، وانصرفوا عن أمور الدنيا، أو غفلوا عن كثير مما تحتويه.

صلاته بأعيان عصره:

يبدو من خلال الأخبار الضنينة التي بين أيدينا أن ابن سعد الخير كان إلى جوار اشتغاله بتدريس علوم العربية وإقرائها ذا صلات بأعيان عصره، يقول ابن الأبار "وقد كتب لبعض الولاة"، لكن المراكشي كان أكثر دقة منه، فقال" وكتب عن أبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن"[٢١]، فالمعروف أن الأمير الموحدي أبا الربيع ولد تقريبا - على حد قول محققي ديوانه- سنة ٥٥٢هـ أو ٥٥٣هـ[٢٢]، وأن أباه كان واليا على ولاية بجاية بالمغرب وأنه مات سنة ٥٦٠هـ[٢٣]، فكفله عمه الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن وتعهده رعاية[٢٤] ثم ولَّاه بعد سنة ٥٧٦هـ[٢٥] ولاية بجاية التي ظل بها حتى خلعه منها ابن غانية سنة ٥٨٠هـ[٢٦]. ولعلنا نتساءل- بعد هذا الاستطراد التاريخي- متى ألتقاه وأين، فابن سعد الخير بحسب معظم الروايات أنه توفي بإشبيلية في أوائل شهر ربيع الآخر سنة ٥٧١هـ[٢٧]، وفي رواية ابن سالم وحده سنة ٥٧٠هـ[٢٨]. معنى ذلك أن أبا الربيع الأمير الموحدي كان في السابعة عشر أو الثامنة عشر عندما قُبض البلنسي ابن سعد الخير، والراجح أنه -أعني الأمير- لم يتبوأ حينها أي منصب، كذلك لم يُذكر أن صاحبنا غادر العدوة الأندلسية تجاه بلاد المغرب حتى يكون التقاه بها. وثمة خبر ثان ذكره المراكشي له علاقة بالخبر الأول "وقدم - يعني ابن سعد الخير- إشبيلية في خدمة أبي الربيع

ابـنُ سَعْدِ الـخَيـرِ الـبَلَـنْسي حياتُهُ ومَاتَبَقَّى من شعره "جمع وتوثيق ودراسة"

مهنئا المنصور ابن عمه بفتح شِلْب وارتجاعها من يد ولد ابن الرَّنْق[٢٩]، وتوفي بها في ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وخمس مئة"[٣٠]، وفي هذا الخبر ملاحظات، منها: أن شلب المذكورة سقطت بيد ابن الرَّنْق سنة ٥٨٥هـ[٣١] وتم استرجاعها سنة ٥٨٧هـ[٣٢]، ومن ثم لا يعقل أن يكون صاحبنا المتوفى سنة ٥٧١هـ جاء مهنئا. ويزداد الأمر غرابة أن المراكشي بدقته ومعرفته الممتازة بالتاريخ عطف على هذا الخبر بكل ثقة ذاكرا تاريخ وفاته.

وثالث الأخبار عنه قول ابن سعيد "قال أخبرني والدي-زيادة في التأكيد- أنه يعني صاحبنا كان شديد الذكر جليل القدر متصدرا لإقراء العربية ببلنسية في مدة منصور بني عبد المؤمن"[٣٣]. ونلاحظ أن تاريخ وفاته المذكور يتعارض مع هذا الخبر أيضا؛ لأن المنصور الموحدي تبوأ الخلافة سنة ٥٨٥هـ، وظل بها حتى سنة ٥٩٥هـ. الواضح أن معظم هذه الأخبار تناقض تاريخ وفاته، وبالتالي نحن بين فرضين، هما، دحض كل هذه الأخبار - وهذا لا يعقل عقلا أو منطقا- أو التدقيق في تاريخ وفاته باستصحاب كل الأحداث المار ذكرها. يمكننا أن نقول- في شيء من الاطمئنان- إن البلنسي ابن سعد الخير لم تخترمه المنية سنة ٥٧١هـ، بل بعد ذلك بكثير، وأن ابن الأبار- سامحه الله - أخطأ في تاريخ وفاته - الذي نقله عنه كل المترجمين، أو ربما حدث تصحيف لكلمة تسعين فقُرئت سبعين وهو أمر محتمل جدا.

ومهما يكن من أمر فقد كتب صاحبنا للأمير الموحدي أبي الربيع إبان ولايته على بلنسية[٣٤]، وأنه كان بإشبيلية معه[٣٥]، ومع زمرة المهنئين للخليفة المنصور بالنصر المؤزر على ابن الرنق[٣٦].

كما كان يجالس الأمراء ويقول بين يديهم شعرا، قال ابن ظافر الأزدي: "إن أحد الأمراء قد اقترح عليه أن يصنع بيتين، أول أحدهما كتاب وآخره ذئب، وأول الثاني جوارح وآخره أنابيب فصنع بديها:

كتابي نَجِيعٌ لاح في حَوْمَةِ الوغى
وقارَنَهُ نسْرٌ هناك وذيبُ[٣٧]
جَوارحُ أهليه حُروفٌ وربَّما
تَوَلَّتْهُ من نَقْطِ الطِّعانِ أنابيبُ

يمكننا أن نقول لقد كانت لابن سعد الخير حظوةٌ بين عامَّة الناس وعِلْيَتِهم، وأنهم كانوا يقدرون علمه ويعرفون فضله، حتى غفلته كانوا يتغاضون عنها، فما من بيتٍ بلنسي إلا وله فيه تلميذ، حتى أسماه ابن الأبار الأستاذ[٣٨]، تقديرا له واعترافا بعلمه وفضله.

تلاميذه:

أتاحت له مكانته العلمية أن يتتلمذ على يديه طلاب نابهون صاروا علماء فيما بعد، وقد ذكر المؤرخون عددا منهم، مثل أبي إسحاق بن محمد بن مفرج[٣٩]، وأبي الحسن بن مَقَصَير[٤٠]، وعبد الله بن خلف بن سعادة الداني[٤١]، وعلي بن مُرَطِّير[٤٢]، ونزيد عليهم محمد بن القُحِّ[٤٣]، ومحمد بن أحمد بن سعادة الشاطبي[٤٤] والذي يعد أنبه تلاميذه، فضلا عن عبد الله بن أحمد الحجري[٤٥]، وغيرهم كثر.

وفاته:

سبق أن أشرنا من قبل إلى أن معظم من ترجم له قد ذكر أنه قد توفي في شهر ربيع الآخر سنة

٥٧١هـ، وبينا خطأ هذا التأريخ، ونحن إذ نؤمن بوفاته في شهر ربيع الآخر، لكن في الغالب أنه سنة تسعين أو إحدى وتسعين، وأن ثمة تصحيف قد أحال التسعين سبعينا.

آثاره:

ترك ابن سعد الخير تراثا عظيما في النحو والأدب، منها، اختصار العقد، وجمع طُرَر الوَقَّشي وابن السيد البطليوسي على كتاب الكامل وزاد عليهما وسماه بالقُرط[٤٦]،"وله كتاب الحُلل في شرح الجُمَل ابتداه من حيث انتهى البطليوسي، وله كتاب جذوة البيان وفريدة العِقيان[٤٧]، و"كتاب مشاهير المُوشِّحين بالأندلس، وهم عشرون رجلا ذكرهم بحلاهم ومحاسنهم على طريقة الفتح في المطمح والقلائد، وابن بسام في الذخيرة، وابن الإمام في سمط الجمان، إلى غير ذلك من تقاييده وإملاءاته النبيلة المفيدة".[٤٨]

مكانته عند القدماء:

حظي ابن سعد الخير بمكانة كبيرة عند القدماء، فقد قال عنه ابن الأبار إنه "متقدم في العربية ومتفنن في الأدب"[٤٩]، وقال ابن سعيد "إنه شهير الذكر، جليل القدر"[٥٠]، وأطنب المراكشي في وصفه فقال" كان إماما متقدما بارعا في علوم اللسان نحوا ولغة وأدبا، وأقرأ ذلك عمره كله، كاتبا بليغا، شاعرا مجيدا، بديع التشبيه عجيب الاختراع والتوليد، أنيق الخط، كتب الكثير، وأتقن ضبطه وعني بالعلم طويلا"[٥١]، ووصفه المقري "بجودة نظمه ورطوبة طبعه"[٥٢]. والواضح أن شهرة صاحبنا تجاوزت الجزيرة الأندلسية وبلاد المشرق، بل وصلت بلاد ما وراء النهر، فقد وصفه الفيروزآبادي" بالإمام في النحو واللغة والأدب"[٥٣].

موضوعات شعره:

للأسف الشديد أن ما بين أيدينا من شعر ابن سعد الخير قليل، وقد يكون غير كافٍ لإبداء وجهة نظر عميقة، أو حكم نقدي ثاقب، لكن هذا -بلا شك- لا يمنع من أن نقول إن الوصف يغلب على شعره، وهو في الغالب وصف للطبيعة الصناعية، كوصف الدولاب، والطبيعة الحية مثل وصفه لسحاب يتخلله برق، وطلوع البدر في ليلة حالكة مظلمة، كذلك وصف الأدوات، كالإبرة والكلة، فضلا عن أبيات في الغزل.

تعد أبياته في وصف الدولاب (الناعورة أو الساقية) من أشهر شعره وأكثرها صيتا:

لله دُولابٌ يـــفِيضُ بـــسَـلْسَلٍ
في روْضَـةٍ قد أيْنَعَتْ أفْنَانـا[٥٤]
قد طارحَتْهُ بها الحَمَائِمُ شَجْوَها
فـيُجِـيـبُها ويُـرَجِّـعُ الألْـحَـانا
فكأنَّـهُ دَنِـفٌ يـدورُ بـمَـعْـهَـدٍ
يـبكي ويسألُ فيه عَمَّنْ بَانـا
ضـاقَتْ مـجـاري طَـرْفِـه عـن دمعه
فَتَـفَـتَّـحَتْ أضْـلاعُهُ أجْفَانا

وهو يبدؤها بالتعجب من دولاب يمتح الماء في حديقة مونعة الثمر، ما يلبث أن يخلع عليه صفات إنسانية، فهو يجيب سؤل الشجي (الحمام) ويشاركه أنَّته الأليمة ورنَّته الحزينة، ويصوره كأنه عاشقٌ ولهٌ لايزال يطوِّف بموطن الحب وذكرياته به - أو بالمكان الذي قطع فيه لمحبوبه عهدا ووعدا – باكيا حزينا يسأل فيه عمَّن خلَّفه وحيدا يعاني حسرته وضناه،حتى إذا

ابـنُ سَعْدِ الـخَـيـرِ الـبَـلَـنْسي حياتُهُ ومابَقِّى من شعره "جمع وتوثيق ودراسة"

ضاقت مجارى دمعه استحالت أضلاعُه أجفانا.
إن دولاب ابن سعد الخير ليس مجموعة من خشب وسلك، بل كائن حي، يبكي ويحزن، يحب ويتعشق، ويجارى الكائنات الملتاعة حزنا بحزن وشجنا بشجن.

وإلى جوار نونيته في وصف الدولاب له جيمية رائعة في الغزل، وفيها ينتقل بالغزل من أجواء الحضارة والمدنية التي لوَّنت غزل الأندلسين إلى أجواء البادية(المشرق) ومابها من عناصر (ماء-شجر-رياح)، فالقصيدة تستدعي ذكريات جميلة يدعي أنه قضاها بأماكن حبيبة على نفسه(البادية) حتى إذا انتهى حبورها وأنسها وارتد إلى واقع الحياة شاقه هذا الواقع فطفق راجعا إليها عَلَّه يجد في استدعائها بعض السكينة. وفيها يسأل الركب المرتحل سؤال عاشق حزين متشبث بالماضي مستمسك بذكرياته، هل ظل المكان على نحو ما خلَّفه وراءه أنيسا أليفا، أم تغيَّر وتبدَّل:

ألا سَائِلِ الرُّكْبَانَ هَلْ ظَلَّ لَعْلَعُ
كما كان مَطْلُولَ الأصائلِ سَجْسَجَا(٥٥)
وهل وَرَدُوا مَاءَ العُذَيبِ مَنَاهِلا
إذا صافَحَتْ كَفُّ النَّسِيمِ تَأَرَّجَا
وعن حَرَجاتِ الحيِّ مالي* ومالها
تُجَدِّدُ لي شَوْقًا إذا الرَّكْبُ عَرَّجَا
وعن أثَلاتِ الْجِزْعِ هل حالَ ظِلُّها
وهل تَخِذَتْ رِيحُ الصَّبَا فيه مَدْرَجَا
لئن ظَمِئَتْ نفسي إليها فطالما
وردتُ بمَغْنَاهنَّ أشْنَبَ أفْلَجَا

وهو إذ يسأل الركبان- أصحاب الإبل- فإنه يتلطف في السؤال وإن كان يلح على الإجابة، فهل ظل لعلع كما كان لين الهواء معتدلا، وهل لازالت رعابيب الحي تردن ماء العذيب، والنسيم العليل يصافحهن. ويتشوق لشجيرات الحي "أثلات الجزع "الملتفة الظليلة فله تحتها ذكريات، ويسأل عن ظلها هل مازال باقيا أم أغارت عليه ريح الصبا وجعلته مَدْرجا يُمْشَى عليه.

والبلنسي إذ يسأل الركب عندما يستوقفهم أو يستبقيهم لحظة فإنه يعلم علم اليقين بأن الحياة صيرورة متحولة وأن لا شيء يبقى على حاله، لكن العاشق يخالف ناموس الكون باستبقاء الماضي، أو الارتداد إليه محاولة منه لرد الحبيب والذكريات والزمن الجميل الذي ينتصر به على كآبة الحاضر وتجبره. ويقول إن شوقه إليها قد يُبَلُّ بما رشفه من ظَلْمِ الغيد الرعابيب.

ويتخلص من أجواء الغزل إلى عالم القتال تخلصا بديعا دون أن تشعر بجفوة أو جفاء:

رَكِبْتُ الهوى عُرْيَ السَّراةِ ورُبَّما
رَكِبْتُ إلى الهيجاء أدْهَمَ مُسْرَجَا
فيارُبَّ يَوْمٍ قد صَلِيتُ بِحَرِّهِ
تراه بنارِ المُرْهَفَاتِ مُؤَجَّجَا
غدوتُ وجَفْنُ الشَّمْسِ بالنُّورِ أزْرَقٌ
فغَادَرْتُهُ بالنَّقْعِ أرْمَدَ أدْعَجَا
سَقَيْتُ العَوَالي بالنَّجيعِ فَنَوَّرَتْ
بَهَارا يُرى عِنْدَ الطِّعان بَنَفْسَجَا

وتتعدد وسائله الفنية في إقناع القارىء بانتقاله من سماوات الغزل وهدأته إلى أجواء

الصخب والضجيج والقتال، كأن يستعير الألفاظ والمفردات الدالة عليه (صليت بحره-نار المرهفات-مؤججا). كما يفيد من المفارقة الجميلة التي تجعله يركب جواد الهوى وهو عارٍ(بلا سرج)، بينما يسرج جواد الحرب، فقد جرت العادة عند العرب أن تركب خيلهم في الحرب أعْـرَاء؛ لأنها خفيفة، وخفتها تتيح له حسم المواجهة. أما الحب عنده فهو أشد وأثقل لذلك يتخفف من عبء فرسه(عري السراة) حتى يكون قادرا على الانتصار عليه.

ويوظف الألوان توظيفا فنيا فيقول إنه غدا لهم والشمس لا زالت في خدر أمها أو لا زالت صافية الجفن حتى إذا غادرهم استحال الصفا كدرا.

ويتدرج في مستوى الرؤية البصرية لمكان القتال تدرجا متقنًا، فيبدأ بالغبار أو النقع ثم ينتقل إلى درجة أسوأ منه في مستوى الرؤية، مرحلة الأرْمَد (غُبْرة فيها كُدْرة) ما يلبث أن ينتهي إلى مرحلة السواد الخالص"أدعج"حيث لارؤية وهو في كُلٍّ يشير إلى القتال وتفاوت شدته. وفي البيت الأخير يحذف الموصوف (الرماح) ويبقي على الصفة (العوالي) زيادة في المعنى وتأكيدا له، ويقول إن الرماح سقيت بدم الجوف (النجيع) ثم نوَّرت بهارا يراه الأعداء بنفسجا. أغلب الظن أن البهار (الناصع) وما به من بياض كناية عن نصره الخالص، وأنه لم يَمَسَّه شيء من أعدائه، بينما كنَّى بالنفسج (الغامق) عن ثياب أعدائه وقد ارتوت حتى تغير لونها، وعن قلوبهم التي يملؤها الغل والحقد. وله ثلاثة أبيات في وصف تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم:

يـــا لاحِظًا تِـمْثَالَ نَـعْلِ نَبِيِّه
قَبِّلْ مثَـالَ النَّـعْـلِ لا مُـسْتَكْبِـرا[٥٦]
والْـثُـمْ بـه فلطالما عَـكَـفَـتْ به
قَدَمُ النَّبِـيّ مُـرَوِّحًـا ومُـبَكِّـرا
أو لا تـرى أنَّ الـمُـحِـبَّ مُـقَبِّلٌ
طَـلَـلًا وإنْ لـم يُـلْـفِ فيه مُخبِّرا

وتنم الأبيات عن عميق للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وهو إذ ينادي لاحظ تمثال النعل فإنه يأمره بأن يقبله، ففي تقبيله تخليص للذات من الحظوظ الدنيوية أو ماعبَّر عنه بالكبر، ثم يأمره مرة أخرى بلثمه فلطالمت راحت به وبكرت قدم النبي صلى الله عليه وسلم جهادا لنصرة الدين وإصلاحا لأحوال المسلمين، فإذا كان المحب يقبل الأطلال الدوارس والدمن المتجرّمة لأنها تذكره بأنيسها المحبوب فمن باب أولى أن يكون حبك نعل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أكثر وأشد.

ويشيع في وصفه ضربا من الطرافة والغرابة في آن واحد، ففي تصويرة لكلة يتدثر بها خوفا من أذى البعوض يقول:

حَـمَـيْـتُ الـذي يبْغي لـدَيَّ مَنَامه
إذا كـان خـبْـرٌ أو تُـطَـوّق قِـرْقِـسُ[٥٧]
كأنـّي فُـؤادٌ حَـشْـوُهُ الـبِـرُّ والتُّقَى
ومِنْ حَوْلِه جِنُّ البَعُوضِ تُوَسْوِسُ

ويصور نفسه وهو قابع تحتها -الكلة-مطمئن الفؤاد مرتاح البال"فؤاده حشوه البر والتقى"، مع أن البعوض، بل جِنّه"المستتر"يوسوس له، والوسوسة -هنا- ازعاج طنين يؤذي أذنه، أو

ابـنُ سَعْدِ الـخَـيـرِ الـبَـلَـنْسي حياتُهُ ومَاتَبَقَّى من شعره "جمع وتوثيق ودراسة"

ربما وسواس داخلي يحرضه على الاستجابة له،أو يغويه بترك كلته الآمنة، وفي كل هو غير آبه به، ولا مستجيب له، فقلبه ملؤه البر والتقوى.

والحق أن شاعرنا يملك خيالا جامحا يطوِّف به في آفاق واسعة ورحبة، وهو على جموحه قد يبلغه شطآن المعاني، لكن أحيانا، بل أحيانا قليلة يسقط في منتصف الطريق، ومنه قوله في وصف رمانة متشققة:

وَسَاكِنَةٍ فِي ظِلالِ الغُصونِ
بِخِدْرٍ تَرُوقُكَ أفْنَانُهُ(٥٨)
تُضَاحِكُ أتْرَابَهَا فيه لَمَّا
غدا الجوُّ تَدْمَعُ أجْفَانُهُ
كما فتَحَ اللَّيثُ فاهُ وقَدْ
تَضَرَّجَ بالدَّمِ أسنانُهُ

فابن سعد الخير يرسم لنا "صورة الرمانة التي اتخذت خدرا تحت ظلال الغصون، وأخذت تتبادل الضحكات مع أترابها بينما أخذ المطر ينهمل من السماء، وإلى هنا تبدو الصورة رائعة لكن الريشة تهتز في يده حينما يريد أن يصور الرمانة، وقد تشققت وبدت حمرتها فلايجد ما يذكره بهذا المنظر غير أسنان الأسد المتضرجة بالدماء"،(٥٩) وحقا أن البيتين الأول والثاني جيدان، لكنه جاء في البيت الثالث فأفسد المنظر برمته،"إذ جعلنا نشعر بشعورين متناقضين- كما يقول حكمة الأوسي- الأول شعور الفرح والسرور وشعور النفور والفزع"(٦٠).

خصائصه الفنية:

لعل أول ما نلاحظه على شعره- الذي بين أيدينا- وباستثناء قصيدة واحدة أنه شعر مقطعات تتفاوت مابين البيتين والثلاثة والأربعة، ولعل هذا ما يجعلنا نتساءل، هل كان شاعرنا قصير النفس، أو بمعنى ثانٍ هل كان شاعر مقطعات يقصد بها التفنن في الصورة والاختراع والتوليد في المعاني المبتسرة، وأن الشعر عنده لحظة سريعة تنتهي بانتهاء المشهد القصير أو اللقطة السريعة، أم سقط من شعره الكثير. يبدو لي - والله أعلم- أن شاعرنا وإن وصفه المراكشي بالشاعر المجيد لم يكن الشعر - وإن كان شاعرا جيدا- أكبر همه، بل كان التعليم والتفهيم وإقراء العربية ثم يأتي الشعر ثانيا، ولو تفرغ له وجعله وَكَدَه وهَمَّه لبذَّ أقرانه، وهو مع القليل الذي بين أيدينا ينم عن بُعْد غور، وسعة أفق، وجموح خيال، وغوص معان. فمقطعاته يبقى صداها في ذهن المتلقي وقد تُطبع في ذاكرته.

أما ألفاظه فيغلب عليها الوضوح والبساطة، السهولة والسلاسة، فلا لفظ يستغلق عليك أو يحوجك لمعجم:

فَتَاةٌ ما بَدَتْ إلا
هَزِئْتُ بِصَفْحَةِ الْبَدْرِ(٦١)
وأيْنَ الْبَدْرُ مِنْ شَمْسٍ
تُرَى في مَطْلَعِ الخِدْرِ

وتشعرك الأبيات بسلاسة في اللفظ، وتدفق في المعني، وانثيال في العاطفة، فضلا عن حلاوة الإيقاع، وجمال الموسيقى التي يوفرها مجزوء الوافر. ويعمد إلى تقديم ما حقه أن يتأخر رتبة، كتقديم المفعول به على الفاعل في قوله:

ضَـاعَـفَـتْ حُـسْـنَـهُ ضَـفِـيـرةُ شَـعْـرٍ

هـي مـنْـهُ طِـرازُ بُـرْدِ الـشَّـبَـــابِ[٦٢]

كما يقدم اسم أضحي(قلبي) عليها نفسها:

كَمْ وقْفَـــةٍ قَلْبِيَ أضْحَى بـــها

يخفقُ في الصَّدرِ خُفوقَ السَّرابْ[٦٣]

وفي كليهما يعمد إلى لفت النظر واسترعاء الانتباه،والتركيز على مايود تسليط الضوء عليه.

ومن أساليبه اتخاذه من واو ربَّ أداة فنية ولاسيما في مقطوعاته ومنها، "ومهفهفٍ - وساريةٍ - ومخيطٍ"[٦٤]، ويبدو أنه جعلها وسيلة أسلوبية لخلع الفخامة أو لتكثيف ما يصوره.

وتقل في أشعاره المحسنات البديعية - مقارنة مع شعراء عصره - وما جاء به كان عفو خاطر، كما أنه ملائم ومناسب لما ورد فيه، انظر المقابلة البديعة بين عالمين متناقضين، الهوى والحرب في قوله:

ركِبْتُ الـهوى عُـــرْيَ السَّراةِ ورُبَّـما

رَكِـبْتُ إلـى الهيجاء أدْهَـمَ مُسْرَجَا[٦٥]

فقد قابل بين الهوى والهيجاء، وعري السراة وأدهم مسرجا، ومن البديع أيضا قوله:

بـأبي مـــن بَنِي المـُلوكِ غـَرِيرٌ

قد تـرَدَّيْـتُ فيه بُـرْدَ التَّصابي[٦٦]

تَتَلـوَّى على الـرِّداءِ مِـرَاحًـا

كـحَـبَـابِ يَـنْـسَـابُ فـوق حَـبَـابِ

ففي البيت الأول يحدث مجانسة صوتية تهش لها الأذن بين "ترديت وبرد"، وفي البيت الثاني يردد اللفظة التي استأنست بها من قبل، أعني الترديد بين "كحباب وحباب" أو مايعرف برد الأعجاز إلى الصدور.

أما فيما يخص **الصورة الفنية** قد استرعى انتباهي أن معظم صوره، بل شعره قائم على التشبيهات، وهي في الغالب مخترعة أو عجيبة، والحق أننا لسنا أول من تنبه لذلك فقد سبقنا إليها المراكشي، فقال: "كان شاعرا بديع التشبيه عجيب الاختراع والتوليد"[٦٧]، كذلك لاحظت أن مترجميه احتفوا بهذا الجانب احتفاء واختاروا معظم شعره منه. ولعل هذا الأمر يشي بأن نقاد عصره جعلوا من التشبيه أو الإصابة فيه أهمّ المعايير التي يختار بها الشعر، ومع أن القدماء قد نبهوا لأهمية التشبيه وقيمته الفنية بوصفه أحد معايير الاختيار، مثل ابن قتيبة في قوله: "وليس كل الشعر يُخْتار ويحفظ على جودة المعنى، ولكنه يختار على أسباب، منها، الإصابة في التشبيه"[٦٨]، لكن أن يكون التكلان عليه، وجعله أهم مقاييس العصر الفنية ففيه تمحل منهم، ولعل هذا قد يفسر اهتمام ابن سعد الخير البلنسي به والإبداع فيه، وكَدَّ الذهن والخاطر بلوغا لصورة جديدة أو مخترعة. فمن تشبيهاته قوله مصورا إبرة غرست في لبد بعرق في باطن اللسان:

وَمِـخْـيَـطٍ حَـــارَ فـيـه وصْـفِـي

وضَـاقَ عـن شَرْحِهِ بَيَـانِي[٦٩]

يَـكْـمُـنُ فـي لِـبْـدِهِ ويَـبْـدُو

كـالـعِـرْقِ فـي بَـاطِـنِ الـلِّـسَـانِ

ويبدع في تشبيه سَحَابة سوداء تمشي في ثقل وقد هزت جوانبها الريح وتخللها البرق بزنج يسلون سيوفهم:

ابـنُ سَعْدِ الـخَـيـرِ الـبَـلَـنْسي حياتُهُ ومابَقِّى من شعره "جمع وتوثيق ودراسة"

وَسَـــارِيَـــةٍ سَـحَـبَـتْ ذَيْـــلَـهـا

وهَـزَّتْ على الأُفُـقِ أعْطَـافَـهـا[٧٠]

تُـسَـلُّ الـبـُـروقُ بأرجـائـها

كـمـا سَـلَّـتِ الزِّنْـجُ أسْيَافَها

والحق أن الصورة جميلة ونابضة بالحياة، فضلا عن احتجانها ألوانا من الحركة، منها، الحركة الثقيلة في سَحْب السَّحَابة السوداء ذيلها لكثرة الماء فيها، والحركة القوية في اهتزاز جوانبها من شدة الريح، والحركة السريعة في سلّ السيوف سواء من البروق أو من الزِّنْج، وتتجلى عبقرية ابن سعد الخير في التشبيه، فمثلما يشابه بين السحابة السوداء والزنج في اللون، يشابه بين لمعان البرق الذي يتخلل سواد السحاب ولمعان السيف في يد الزنج. ويشبه - في نص ثان- بزوغ البدر في ليلة حالكة السواد بعروس تزف إلى أسمر[٧١]. ومن أغرب تشبيهاته ماصنعه على البديهة كما يقول ابن ظافر الأزدي:

كتابي نَجِيعٌ لاح في حَوْمَةِ الوغى

وقـارَنَـــهُ نَسْـرٌ هـنـاك وذيـبُ[٧٢]

وهو إذ يشبه كتابه بماء نمير"نجيع" في ساحة الوغى فإنه يقرن، بل يصاحب فيه بين جوارح السماء "النَّسْر" وضواري الأرض "الذئب"، أو يؤلف بين عالمين مختلفين، لكنهما مع ذلك يأتلفان عليه، فكتابه أو ماؤه وحده من يبقيهم أحياء.

وتتنوع أدوات التشبيه عنده حتى تكاد تستوعب كل أداة منه، مثل الحروف"الكاف" في قوله: "كالعرق في باطن اللسان[٧٣]، وكأنَّ في قوله: "كأن فؤادي حشوه البر والتقى"[٧٤]، والفعل شبهته في قوله"فشبهته والدجى حائل"[٧٥]، والمصدر "تمر مر السحاب وتخفق خفوق السراب"[٧٦]، وقد يحذف الأداة لعلم المتلقي بها في قوله: "كتابي نجيع لاح في حومة الوغى"[٧٧].

وتأتي الاستعارة بعد الصورة التشبيهية، وهي في الغالب استعارة مكنية، ومنها التجسيم، فها هو يمنح الصبا أنفا يتنفس من خلالها:

ومُخْضَرَّةِ الأرْجـاءِ قد طَلَّـها النَّدَى

وقَـابَـلَـهَـا أنْـفُ الـصَّـبَـا بِتَـنَـفُّـسِ[٧٨]

كما يعطي النسيم كفا يصافح بها الماء:

وهـــلوَرَدُوامَـــاءَالعُذَيْبِمَنَـــاهِـلا

إذا صافَحَتْ كَـفُّ الـنَّسِـيمِ تَـأرَّجَـا[٧٩]

وثمة صورة رأيته يلح عليها- دون أن أجد لها تفسيرا-، وهي صورة الدم التي تتكرر في كثير من المشاهد، فعندما يصور شابا يلبس ثوبا أحمر وبعينيه رمد يتذكر الدماء التي تدمى حد السيف وقِرابه[٨٠]، وعندما انتصر سقى رمحه بدم جوف الأعداء[٨١]، وحينما تشققت الرمانة وتفتحت رآها كدماء تضرجت على أسنان أسد[٨٢].

أما فيما يخص أوزانه فقد جاءت على زنة الطويل (أربعة نصوص) والكامل (ثلاثة نصوص) وكذلك المتقارب، ثم نص واحد لكل من الخفيف، ومخلع البسيط، ومجزوء الوافر.

أما قوافيه فأكثرها على روي الباء (أربع نصوص)، ثم الراء والنون بثلاثة نصوص لكل منهما، ونصان على روي السين، وواحد لكل من الجيم والفاء.

منهجنا في هذا العمل:

عمدنا في هذا البحث إلى جمع وتوثيق كل ما توافر إلينا من شعر ابن سعد الخير البلنسي سواء من المصادر الأندلسية أو المشرقية، ومن كتب التراجم وكتب الأخبار، وقد أسفر بحثنا وتنقيرنا بين المصادر عن ثلاثة وأربعين بيتا رتبناها على حروف المعجم ابتداء بالمصدر الأقدم تاريخا وصولا للأحدث مع إثبات الروايات المختلفة للأبيات، وعمدنا إلى شرح غامض اللفظ ومعمَّى المعنى- قدر المستطاع- وأسمينا الأبحر الشعرية، وضبطنا الأبيات بالشكل حتى تسهل تلاوتها للمطلع، وانتجاعها للمنتجع.

ومهما يكن الأمر فهذا كل ما بلغناه من جهد ولأي في جمع وتوثيق شعر ابن سعد الخير البلنسي، ولا شك أن هناك ما ندَّ علينا أو غفلنا عنه، فالحمد لله الذي جعل الكمال له والعصمة لأنبيائه.

القسم الثاني:

شعره:

حرف الباء

(١)

وله في مليح لبس ثيابا حمراء وبعينيه رمد:

من الكامل

ومُـهَـفْـهَـفٍ يَـجْـري بِـصَـفْـحَـةِ خَـدِّهِ
وَلَـــمَـاهُ مِـنْ مـاءِ الـحـيَـاةِ عُـبَـابُـهُ
مــازال يَـهْـتِـكُ باللحاظِ قُلُوبَنَا
حتَّى تَـضَـرَّجَ طَـــرْفُهُ وثِيابُهُ
فغدا بـحُـمْـرَةِ ذا وحُـــمْـرَةِ هــذه
كـالـسَّـيـفِ يَـدْمـي حَـــدُّهُ وقِـرابُـهُ

التخريج:

زاد المسافر:١٠٥، تحفة القادم:٧٠، المقتضب:١٠٥،فوات الوفيات:٤٦٢/٢، الوافي بالوفيات:٩/٢٠

الروايات:

في الوافي: تجري بدلا من يجري

في تحفة القادم وفوات الوفيات والوافي بالوفيات: فبدا بدلا من فغدا

(٢)

ومن شعره وقد اقترح عليه بعض الأمراء أن يصنع بيتين، أول أحدهما كتاب وآخره ذئب، وأول الثاني جوارح وآخره أنابيب فصنع بديها:

من الطويل

كتابي نَجِيعٌ لاح في حَوْمَةِ الوغى
وقــارَنَـــهُ نَسْـــــرٌ هـنـاك وذيـبُ
جَـــوارحُ أهليه حُـروفٌ وربـَّما
تَـوَلَّـتْـهُ مـن نَـقْـطِ الـطِّـعـانِ أنابيبُ

التخريج:

بدائع البدائه:٣١٢،نفح الطيب:٣٣٠/٣

الروايات:

في نفح الطيب: كتاب بدلا من كتابي، وهنالك بدلا من هناك، أو ذيب بدلا من وذيب.

المعاني:

نجيع هنا بمعنى ماء نمير

قارنه:اقترن به وصاحبه

(٣)

من الخفيف

بـأبي مـــن بَنِي المُلوكِ غـَرِيرٌ
قـد تـرَدَّيْـتُ فيـه بُـرْدَ التَّصابي
ضَـاعَـفَـتْ حُـسْـنَـهُ ضَـفِـيـرةُ شَـعْـرٍ
هي مـنْهُ طِـرازُ بُـرْدِ الـشَّبَـــابِ
تَتَلـوَّى عـلـى الـرِّداءِ مِـرَاحًـا
كـــحَـبَـابٍ يَـنْـسَـابُ فـوق حَـبَـابِ

التخريج:

تحفة القادم:٧٠، المقتضب:١٠٥،فوات الوفيات:٤٦١/٢، الوافي بالوفيات:٨/٢٠،البدر السافر:٥٤٢/١

الروايات:

في الوافي بالوفيات: عزيز بدلا من غرير

في البدر السافر يتلوى بدلا من تتلوى

(٤)

من السريع

جَـزَى إلـــهُ الْعَـرْشِ يَـوْمَ النَّوى
بـشَـرٍّ مـا يـجـزيه يَوْمَ الـحِسَـابْ
كَمْ وقْـفَـــةٍ قَـلْـبِيَ أضْـحَـى بـــها
يخفقُ في الـصَّـدرِ خُفوقَ السَّرابْ
والعِـيْسُ قـد وَلَّـتْ بأحْبَابِنَا
تَمُرُّ فـي الـبيداءِ مَرَّ الـسَّحَـابْ

التخريج:

المغرب:٢/ ٣١٧-٣١٨

حرف الجيم

(٥)

من الطويل

ألا سَائِـلِ الرُّكْبَانَ هـلْ ظَـلَّ لَعْلَـعُ
كما كان مَطْلُولَ الأصائلِ سَجْسَجَا
وهـــل وَرَدُوا مَـاءَ العُذَيْبِ مَـنَـاهِـلا
إذا صافَحَـتْ كَـفُّ الـنَّسِـيمِ تَـأرَّجَـا
وعـن حَرَجاتِ الـحـيِّ مالـي* ومالها
تُـجَـدِّدُ لـي شَـوْقًـا إذا الـرَّكْبُ عَـرَّجَا
وعن أثَلاتِ الْجِزْعِ هـل حالَ ظِـلُّها
وهل تَخِذَتْ رِيْحُ الصَّبَا فيه مَدْرَجَا
لئن ظَـمِئَتْ نـفسي إلـيها فطـالـما
وردتُ بـمَـغْـنَـاهـنَّ أشْـنَـبَ أفْـلَـجَـا
بحيثُ يَشِفُّ السِّتْرُ عن ماءِ مَبْسَمٍ
أرى بَـــابَ صَبْري عـنـهُ أبْـــهَمَ مُرْتَجَا
ركِبْتُ الـهوى عُـــرْيَ السَّراةِ ورُبَّـمـا
رَكِـبْتُ إلـــى الهيجاء أدْهَـمَ مُسْرَجَا
فـيارُبَّ يَـوْمٍ قـد صَـلِيتُ بِـحَـرِّهِ
تـراه بـنـارِ الـمُـرْهَـفَـاتِ مُـوَجَّـجَـا
غدوتُ وجَفْنُ الشَّمْسِ بالنُّورِ أزْرَقٌ
فـغَـادَرْتُـهُ بـالـنَّـقْـعِ أرْمَـدَ أدْعَـجَـا
سَـقَيْتُ الـــعَوَالي بالـنَّجِيعِ فَـنَـوَّرَتْ
بَـهَـارا يـرُى عنْدَ الطِّـــعان بَنَفْسَجَا

التخريج:

الأبيات: ١ -١٠ في تحفة القادم:٧٩-٨٠،

والمقتضب: ١٠٢-١٠٣، والأبيات: ١-٦ في فوات الوفيات: ٤٦٠/٢-٤٦١ وفي عقود الجمان (مخطوط): اللوحة ٢٣٠، وفي الوافي بالوفيات: ٧/٢٠-٨، والأبيات: ١، ٣، ٤، ٦-١٠ في زاد المسافر: ١٠٤

الروايات:

١- في المقتضب: طُلَّ، وفي زاد المسافر: طَلَّ بدلا من ظل

٣- في فوات الوفيات وفي عقود الجمان: جرعات بدلا من حرجات

٤- في زاد المسافر والوافي بالوفيات: مال بدلا من حال، ومنه بدلا من فيه

*في عقود الجمان سقطت كلمة مالي من النص

المعاني:

العذيب: ماء لبني تميم

لعلع: موضع، وقالوا ماء بالبادية معروف

الحرجات:جمع حرجة وهي الغيضة لضيقها، وقيل الشجر الملتف

حرف الراء

(٦)

من المتقارب

بـدا الـبَـدْرُ فـي أُفْـقِـهِ لابِسًـا
ثِـيَـابًـا مـن الـشَّـفَـقِ الأحْـمَـرِ
فَشَبَّهْتُهُ والـدُّجـى حَـائِلٌ
عَـرُوسًـا تُـزَفُّ إلـى أسْـمَـرِ

التخريج:

فوات الوفيات: ٤٦١/٢، الوافي بالوفيات: ٨/٢٠، عقود الجمان (مخطوط): اللوحة ٢٣٠

(٧)

مجزوء الوافر

فَـتَـاةٌ مـا بَـدَتْ إلا
هَـزِئْـتُ بِصَفْـحَـةِ الْـبَـدْرِ
وأيْـنَ الْـبَـدْرُ مـنْ شَـمْـسٍ
تُـرَى فـي مَـطْلَعِ الـخِـدْرِ

التخريج:

الوافي بالوفيات:٩/٢٠

(٨)

من الكامل

يـا لاحِظًا تِـمْثَالَ نَـعْلِ نَبِيِّه
قَبِّلْ مثَـالَ النَّـعْـلِ لا مُـستَكْبِرا
والْـثُـمْ بـه فلطالما عَـكَـفَـتْ به
قَدَمُ النَّبِـيّ مُـرَوِّحًـا ومُـبَكِّـرا
أو لا تـرى أنَّ الـمُـحِـبَّ مُـقَبِّلٌ
طَـلَـلًا وإنْ لـم يُـلْـفِ فيه مُخبِّرا

التخريج:

التكملة: ٢٧١/٢، الذيل والتكملة: مج ٣، السفر٥/١٥٧، ملء العيبة: ٢٠٣/٢، نفح الطيب:٦٥٢/٢، وصف نعال النبي:٢٨٦

الروايات:

في وصف النعال: يا مبصرا بدلا من يا لاحظا

في الذيل ونفح الطيب ووصف نعال النبي: متكبرا بدلا من مستكبرا

ابـنُ سَعْدِ الـخَـيْـرِ الـبَـلَـنْسي حياتُهُ ومابَقِّى من شعره "جمع وتوثيق ودراسة"

في النفح: والثم له، وفي وصف نعال النبي: واعكف عليه بدلا من والثم به

في ملء العيبة: ما طال ما، وفي وصف نعال النبي: فطال ما بدلا من فلطالما

في الذيل ومل العيبة ووصف نعال النبي: أو ما ترى بدلا من أو لا ترى

في الذيل والتكملة الشجي بدلا من المحب

حرف الفاء

(٩)

وله في سحابة:

من المتقارب

وَسَـــارِيَـــةٍ سَـحَـبَـتْ ذَيْـــلَـهـا
وهَـــزَّتْ علـى الأُفـــقِ أعْـطَـافَـهـا
تُـسَـلُّ الـــبـــروقُ بأرجـــائها
كـــما سَـــلَّتِ الزِّنْـــجُ أسْيَافَها

التخريج:

تحفة القادم:٧٠، المقتضب:١٠٦، الوافي بالوفيات:٨/٢٠، فوات الوفيات:٤٦١/٢

حرف السين

(١٠)

وله في كِلَّة: من الطويل

حَـمَـيْـتُ الـذي يبْغي لـدَيَّ مَـنَـامُـهُ
إذا كـــان خـبْـرٌ أو تُطَـــوّفُ قِـرْقِـسُ
كأنـّي فُـؤادٌ حَـشْـوُهُ الـبِـرُّ والتُّقَى
ومِنْ حَوْلِه جِنُّ البَعُوضِ تُوَسْوِسُ

التخريج:

الوافي بالوفيات:٩/٢٠

المعاني:

الكِلَّة: غشاء من ثوب رقيق يُتَوَقَّى به من البعوض

القِرْقِس: البَعُوض وقيل البَقُّ

(١١)

وله في حَفْلَة كِنَاز* اصطفت بها جُملة غِربان:

من الطويل

ومُخْضَرَّةِ الأرْجاءِ قد ظَلَّها النَّدَى
وقَـــابَلَهَـا أنْـفُ الـصَّبَـا بِتَنَفُّسِ
تبَدَّتْ بها الغِرْبانُ سَطرًا كما بَدَتْ
ضَفِيرَةُ شَعْرٍ فـوْقَ بُـرْدَةِ سُنْدُسِ

التخريج:

تحفة القادم:٧١، المقتضب:١٠٦، الوافي بالوفيات:٨/٢٠، فوات الوفيات:٤٦٢/٢

الروايات:

في الوافي بالوفيات وفوات الوفيات: تبدى بدلا من تبدت

في فوات الوفيات: سطرا دقيقا بدلا من الغربان سطرا

المعاني:

*الكناز: كنز التَّمْر ووضعه في وعاءٍ من خُوص.

حرف النون

(١٢)

وله في رمانة مفتَّحة: من المتقارب

وَسَاكِنَةٍ فِي ظِلالِ الغُصونِ
بِخِدْرٍ تَرُوقُك أفْنَانُهُ
تُضَاحِكُ أتْرَابَهَا فيه لَمَّا
غدا الجوُّ تَدْمَعُ أجْفَانُهُ*
كما فتَحَ اللَّيثُ فاهُ وقَدْ
تَضَرَّجَ بالدَّمِ أسنانُهُ

التخريج:

تحفة القادم: ٧٠-٧١، المقتضب: ١٠٦، الذيل والتكملة: مج ٣ السفر٥/ ١٥٨، الوافي بالوفيات: ٨/٢٠، فوات الوفيات:٤٦١/٢، لمح السحر:١٣٢

الروايات:

في لمح السحر: بروض بدلا من بخدر

في الوافي بالوفيات وفوات الوفيات: عندما بدلا من فيه لما، وفي لمح السحر إذ بدلا من لما

في الذيل والتكملة: فَغَرَ بدلا من فتح

* في البيت الثاني في تحفة القادم تدوير وبه يختل الوزن

(١٣)

وله في إبرة*:

من مخلع البسيط

وَمِخْيَطٍ حَارَ فيه وصْفِي
وضَاقَ عن شَرْحِهِ بَيَانِي
يَكْمُنُ في لِبْدِهِ ويَبْدُو
كالعِرْقِ في بَاطِنِ اللِّسَانِ

التخريج:

زاد المسافر: ١٠٤، الذيل والتكملة: مج ٣ السفر٥/ ١٥٦،الوافي بالوفيات:٨/٢٠، فوات الوفيات:٤٦٢/٢،لمح السحر:١٤٣

الروايات:

في الذيل والتكملة والوافي بالوفيات وفوات الوفيات: ضاق عنه بدلا من حار فيه

في الذيل والتكملة والوافي بالوفيات وفوات الوفيات: يعجز عن فعله اليماني، وفي لمح السحر: يقصر عن فعله اليماني بدلا من وضاق عن شرحه بياني

*في الذيل: إبرة ثُقِفَتْ بمِنْبَر من لِبْد مِسْكِيّ، وفي الفوات:إبرة في لباد أحمر بدلا من له في إبرة.

(١٤)

وله في دولاب: من الكامل

لله دُولابٌ يُفِيضُ بسَلْسَلٍ
في روْضَةٍ قد أيْنَعَتْ أفْنَانا
قد طارحَتْهُ بها الحَمَائِمُ شَجْوَها
فيُجِيبُها ويُرَجِّعُ الألْحَانا
فكأنَّهُ دَنِفٌ يدورُ بمَعْهَدٍ
يبكي ويسألُ فيه عَمَّنْ بَانا
ضاقَتْ مجاري طَرْفِه عن دمعه
فَتَفَتَّحَتْ أضْلاعُهُ أجْفَانا

التخريج:

زاد المسافر: ١٠٤ وفيه أخل بالبيت الرابع، رايات المبرزين: ٢٠٨، المغرب في حلى المغرب:٣١٧/٢، المقتضب: ١٠٦، الذيل والتكملة: مج ٣ السفر٥/ ١٥٨، الوافي بالوفيات:٨/٢٠، فوات الوفيات:٤٦٢/٢، رفع الحجب المستورة: ٦٨٦، البدر السافر: ٥٤٢/١، وفي غرائب التنبيهات البيتان الثالث والرابع: ١٦٩، نفح الطيب: ٦٠٢/٣

الروايات:

في زاد المسافر: يدور بدلا من يفيض

في رايات المبرزين والمغرب: دوحة بدلا من جنة

في رايات المبرزين: أضحت تطارحه بدلا من قد طارحته

في المغرب: فتجيبه بدلا من فيجيبها

في رايات المبرزين: وترجع بدلا من ويرجع

في رايات المبرزين: وكأنه بدلا من فكأنه

في غرائب التنيهات: صبٌّ بدلا من دنف

في رايات المبرزين والمغرب: أطاف بدلا من يدور

في رايات المبرزين والذيل والتكملة والوافي بالوفيات وفوات الوفيات وغرائب التنبيهات: جفنه بدلا من طرفه

في رايات المبرزين: فتفتقت بدلا من فتفتحت

الحواشي

(١) كنتُ قد بدأت هذه السلسلة بالحديث عن ابن الصابوني الإشبيلي وجمعت شعره وموشحاته وقد نشرته-مشكورة- مجلة آفاق الثقافة والتراث بالعدد ١٠٨، ثم وافقت مرة أخرى على نشر الحلقة الثانية عن ابن يَنَّق الشاطبي، أما الدراسة الثالثة عن الطبيب الأديب ابن عُتْبة الإشبيلي فلا زالت رهينة التحكيم.

(٢) المقتضب من تحفة القادم: ١٠٤، رايات المبرزين وغايات المميزين: ٢٠٨، المغرب في حلى المغرب:٣١٧/٢، البدر السافر عن أنس المسافر:٥٤٢/١، الذيل والتكملة: مج ٣/ السفر٥/١٥٦، صلة الصلة:٢٦٤/٣، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين:٢٠٨، المستملح من كتاب الصلة:٣١٤، تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:٤٩٣/١٢، فوات الوفيات: ٤٦٠/٢، الوافي بالوفيات: ٧/٢٠، البلغة في تراجم أئمة النحاة واللغة: ١٩٨، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:٦٥٢/٢، ٣٣٠/٣-٦٠٤، الأعلام:٢٥١/٤

(٣) يقول ابن غالب "ومن الأزد من ينتسب إلى الأنصار على العموم، وهم الجم الغفير بالأندلس" النفح: ٢٩٤/١، ويقول أيضا في الصفحة نفسها "وهم أكبر القبائل بالأندلس في شرقها وغربها "

(٤) قلتُ: تعج مدينة بلنسية بالأنصار، فقد أحصيتُ من كتاب الذيل والتكملة أكثر من خمسة وثلاثين عالما من أنصار بلنسية فيهم أكثر من اثني عشر كان معاصرا لصاحبنا.

(٥) التكملة: ٢١٢/٣، الذيل والتكملة:مج ٣ السفر١٥٩/٥

(٦) وقد وهم المراكشي فقال: إنه قشتيلي الأصل. انظر الذيل والتكملة: مج ٣ السفر١٥٦/٥

(٧) أحمد بن إبراهيم بن سعد الخير (ت٥٩٣هـ) كنيته أبوبكر، روى عن النعمة وطبقته، كان من أهل العلم بالفرائض والحساب، لا يجارى في التعاليم مع العدالة والصلاح، قعد لتعليم الحساب

والهندسة، وعنه أخذ جماعة من أهل بلده وانتفعوا به: انظر التكملة ٨١/١، الذيل والتكملة: مج ١،السفر ٢٥٤/١.

قلتُ: ويبدو أن أخاه كان يحظى بمكانة كبيرة في المجتمع البلنسي، بل كان قبلة الطلاب فيما يخص الفرائض والحساب، ذكر ابن الأبار أن محمد بن عبد الله البكري أخذ علم الفرائض والحساب منه وكان مقدما فيهما انظر: التكملة: ٢/ ١٣٤

(٨) عبد الله بن عيسى القلني(ت ٥٣٠هـ)، محدث حافظ متقن، كان يحفظ صحيح البخاري، وله اتساع في علم اللسان، وحفظ اللغة، توفى ببلنسية. انظر:الصلة:٤٤٧

(٩) يوسف بن عبد العزيز بن يوسف الدَّبَّاغ (٤٨٢-٥٤٦هـ)، من أهل أُندة، نزل مرسية، روى عن أبي على الصدفي ولازمه طويلا، يقول ابن بشكوال: كان من أنبل أصحابنا وأعرفهم بطريق الحديث وأسماء الرجال، ومن أهل العناية بتقييد العلم ".انظر: الصلة: ٩٧٨، صلة الصلة: ١١٨٣/٣

(١٠) محمد بن عبدالله بن محمد بن خيرة (٤٨٩-٥٥١هـ) من أهل قرطبة، كان من جلة العلماء الحفاظ، متفننا في المعارف كلها، جامعا لها، كثير الدراية واسع المعرفة، هرب إلى مصر من بني عبد المؤمن وتوفى بزبيد. انظر: الصلة: ٨٩٥/٣، الديباج المذهب: ٣١٥/٢، المعجم في أصحاب الصدفي: ١٧٣

(١١) علي بن عبد الله بن خلف المعروف بابن النعمة (٤٩٠-٥٦٧هـ)، تصدر ببلنسية لإقراء القرآن وإسماع الحديث وتدريس الفقه وتعليم العربية ناشرا علمه، انتهت الرئاسة إليه في الإقراء والفتوى، وكان رأس المشاوَرين، وهو خاتمة العلماء بشرق الأندلس. انظر: التكملة: ٢٠٦/٣، الذيل والتكملة: مج ٣ السفر٥ /١٩٠، المعجم في أصحاب الصدفي: ٢٩٢

(١٢) التكملة:٢١٢/٣

(١٣) الذيل والتكملة: مج ٣،السفر١٥٧/٥

(١٤)عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي (٤٤٤-٥٢١هـ)، سكن بلنسية، كان عالما بالآداب واللغات مستبحرا فيها، يجتمع الناس إليه ويقرأون عنه، ويقتبسون منه، ألف كتبا حسانا منها، الاقتضاب في شرح الكتاب، وكتاب في شرح الموطأ وغيره. انظر: الصلة: ٤٤٣/٢، بغية الملتمس: ٤٣٦/٢، المغرب: ٣٨٥/١، بغية الوعاة: ٥٥/٢.

(١٥) الذيل والتكملة: مج ٣، السفر١٥٧/٥

(١٦) السابق نفسه، الصفحة نفسها

(١٧) التكملة: ٢١٢/٣

(١٨) الذيل والتكملة: مج ٣، السفر١٥٦/٥

(١٩)التكملة:٢١٢/٣

(٢٠) انظر: تحفة القادم:٦٩، الذيل والتكملة: مج ٣، السفر١٥٩/٥. وله قصة عن غفلته حكاها صاحب نفح الطيب:٣٣٠/٣

(٢١) سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن (٥٢٢ أو ٥٥٣-٦٠٤هـ) أمير موحدي، كان شاعرا أديبا، ولد ببجاية التي كان أبوه واليا عليها، كان متميزا في قومه، عالما فيهم، بعد خروجه من بجاية تنقل في الولايات كبلنسية وسِجِلماسة، وحيثما كانت ولايته اجتمع إليه أهل الأدب، اختصر كتاب الأغاني فشُهِر به، وله ديوان شعر. انظر: الغصون اليانعة ١٣١، ومقدمة ديوانه ففيها مصادر ترجمته.

(٢٢) انظر مقدمة ديوانه:٤

(٢٣) في رواية البيان المغرب: ٣/ ١٧٨ أنه مات وهو في طريقه لمبايعة أخيه يوسف. بينما ذكر ابن سعيد أن أخاه يوسف قد دَسَّ إليه جارية جميلة سمَّته في خِرقة الجماع. انظر الغصون اليانعة:١٣١

(٢٤) البيان المغرب:٣ /١٧٨وفيه أن الخليفة يوسف بعد أن سمع نبأ وفاة أخيه عبد الله تفجع له وآوى جملته وأهله. قلتُ: ولا شك أن على رأسهم الأمير سليمان.

(٢٥) والذي يدفعنا لهذا القول إن الخليفة الموحدي أبا يعقوب يوسف ولى أخاه أبا موسى عيسى بن عبد المؤمن بجاية وأنظارها سنة ٥٧٦هـ كما جاء في البيان المغرب: ٢٤٥/٣، وأغلب الظن أن أخاه بقى

ابـنُ سَعْدِ الـخَيـْرِ الـبَلَـنْسي حياتُهُ ومَاتَبَقَّى من شعره "جمع وتوثيق ودراسة"

زمنا ثم خلفه أبو الربيع الذي ظل بها إلى أن خلعه ابن غانية سنة ٥٨٠هـ

(٢٦) انظر المعجب:١٩٢

(٢٧) التكملة: ٢١٣/٣، تحفة القادم:٦٩، المقتضب من تحفة القادم: ١٠٤، البدر السافر عن أنس المسافر:٥٤٢/١، الذيل والتكملة: مج ٣/ السفر٥/١٥٩، صلة الصلة:٢٦٤/٣، المستملح من كتاب الصلة:٣١٤، تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:٤٩٣/١٢، فوات الوفيات: ٤٦٠/٢، الوافي بالوفيات: ٧/٢٠، الأعلام:٢٥١/٤

(٢٨) ذكره صاحب التكملة: ٢١٣/٣، والمستملح من كتاب الصلة:٣١٤، تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:٤٩٣/١٢

(٢٩) يكتب أحيانا ابن الرَّنْك على نحو ما نجده في البيان المغرب:١٤١/٣. كما ضبطه محققو الذيل والتكملة بفتح الراء، بينما ضبطه عبد الرحمن حجي في التاريخ الأندلسي:٤٦٧ بكسر الراء ابن الرِّنق

(٣٠) الذيل والتكملة: مج ٣،السفر٥/١٥٧

(٣١) يقول ابن عذاري في أحداث سنة ٥٨٥هـ:" وفي هذه السنة كانت غلبة ابن الرنك"ابن الرنق" اللعين على قاعدة شلب وإخراج أهلها عنها، إلى أن فتحها المنصور عنوة وجبرها للإسلام بحد الحسام". البيان المغرب ٣٠٥/٣، وانظر أيضا: المعجب ١٩٩، والروض المعطار:٣٤٢ مادة (شلب).

(٣٢) انظر خبر استردادها في البيان المغرب: ٣١٤/٣

(٣٣) المغرب في حلى المغرب:٣١٧/٢

(٣٤) جاء في مقدمة ديوانه" وكان في الأندلس قد تولى بلنسية ومرسية وقرطبة":١٣

(٣٥) ذكر صاحب الحلل الموشية أن المنصور الموحدي جاوز الأندلس مرتين، الجواز الأول افتتح فيه مدينة شلب سنة ٥٨٧هـ ودوخ بلاد الشرك، والجواز الثاني سنة ٥٩١هـ": ١٥٩، ولعل هذا يعضد أطروحة أن صاحبنا قد التقاه.

(٣٦) ذكر ابن عذاري أن الخليفة المنصور "بعد أن استرد شلب رحل عنها ووصل إشبيلية ووعد الناس بالمواعدة ببحيرة الوادي، وبعد كمال مواعدة الناس رحل من إشبيلية" البيان المغرب:٣١٧/٣.

قلتُ: وأغلب الظن أن صاحبنا كان مع هذه الجموع.

(٣٧) انظر بدائع البدائه:٣١٢، والخبر نفسه في نفح الطيب:٣٣٠/٣

(٣٨) تحفة القادم:٦٩

(٣٩) انظر ترجمته في: التكملة ١٣٠/١

(٤٠) انظر ترجمته في: الذيل والتكملة ٣ السفر ٢٥٥/٥

(٤١) انظر ترجمته في: التكملة ٢٧١/٢، الذيل والتكملة مج ٢ السفر٤ /٢٠٦،صلة الصلة ٨٣٧/٣

(٤٢) انظر ترجمته في: التكملة ٢٠٩/٣، الذيل والتكملة مج ٣، السفر٥/١٤٣

(٤٣) انظر ترجمته في: التكملة ٩١/٢، الذيل والتكملة مج ٣، السفر٥/٥٦٨

(٤٤) التكملة ١٠٨/٢،الذيل والتكملة مج ٣، السفر٥/٥٧٨

(٤٥) التكملة٢٧٢/٢، بغية الوعاة:٣٢/٢

(٤٦) الذيل والتكملة: مج ٣، السفر٥/١٥٧. صدر هذا الكتاب بجامعة بنجاب، بتحقيق د.ظهور أحمد أظهر

(٤٧) تحفة القادم: ٦٩

(٤٨) الذيل والتكملة: مج ٣، السفر٥/١٥٧

(٤٩) تحفة القادم:٦٩، وتكرر هذا القول بحذافيره - لنقلهم من ابن الأبار- في المقتضب والوافي بالوفيات ووفوات الوفيات فلا داعي لإعادته

(٥٠) المغرب:٣١٧/٢

(٥١) الذيل والتكملة: مج ٣، السفر٥/١٥٧

(٥٢) نفح الطيب:٣٣٠/٣

(٥٣) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ١٩٨

(٥٤) النص: ١٤

(٥٥) النص: ٥

(٥٦) النص: ٨

(٥٧) النص: ١٠

(٥٨) النص: ١٢

(٥٩) الشعر في عصر الموحدين:٢٣٦

(٦٠) الأدب الأندلسي في عصر الموحدين:٧٥

(٦١) النص: ٧

(٦٢) النص: ٣

(٦٣)النص ٤

(٦٤) انظر النصوص: ١، ٩، ١٣

(٦٥) النص: ٥

(٦٦) النص: ٣

(٦٧) الذيل والتكملة: مج ٣،السفر٥/١٥٦

(٦٨) الشعروالشعراء:١/٨٥

(٦٩)النص: ١٣

(٧٠) النص: ٩

(٧١) نقصد قوله (النص ٦):

بـدا الـبَـدْرُ فـي أُفْـقِـهِ لابِسًـا
ثِـيَـابًـا مـن الـشَّـفَـقِ الأحْـمَـرِ
فشَـبَّهْتُهُ والدُّجـى حَـائِـلٌ
عَـرُوسًـا تـُـزَفُّ إلـى أسْـمَـرِ

(٧٢) النص: ٢

(٧٣) النص: ١٣

(٧٤) النص: ١٠

(٧٥) النص: ٦

(٧٦) النص: ٤

(٧٧) النص: ٢

(٧٨) النص: ١١

(٧٩) النص: ٥

(٨٠) النص: ١

(٨١) النص:٥

(٨٢) النص:١٢

المصـادر والمراجع

- الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، د. حكمت الأوسي، مكتبة الخانجي، القاهرة،د.ت.ط.
- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، لعبد الباقي اليماني، تح:عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٩٨٦
- الأعلام،للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢
- بدائع البدائه، لابن ظافر الأزدي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١٩٩٢
- البدر السافر عن أنس المسافر، للأدفوي، تح:قاسم السامرائي وطـارق طاطمي، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، ط ١،٢٠١٥
- بغية الملتمس في تاريخ رجـال أهـل الأندلس، للضبي،تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط ١،١٩٨٩
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط ١، ١٩٦٥
- البلغة في تراجم أئمة النحاة واللغة، للفيروز آبادي، تح: محمد المصري، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٠
- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، لابن عذاري، تح:بشار عواد ومحمود بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١،٢٠١٣
- تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ الذهبي، تح:بشار عـواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١،٢٠٠٣
- تحفة القادم،لابن الأبـار،تـح: إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط١،١٩٨٦
- التكملة،لابن الأبار،تح:عبد السلام الهراس،دار الفكر،بيروت،ط١،١٩٩٥
- الحلة السيراء، لابن الأبار، تح:حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٥

ابـنُ سَعْدِ الـخَيـرِ الـبَلَـنْسي حياتُهُ ومابَقِّى من شعره "جمع وتوثيق ودراسة"

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، لمؤلف أندلسي من القرن الثامن الهجري، تح:سهيل زكار و عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط١،١٩٧٩
- الديباج المُذْهَب في معرفة أعيان المَذْهَب، لابن فرحون المالكي، تح:د.محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة،١٩٧٢
- ديوان الأمير أبي الربيع، تح: محمد تاويت الطنجي وآخرون، نشر كلية الآداب جامعة محمد الخامس،المغرب، د.ت.ط.
- الذيل والتكملة،للمراكشي،تح:إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠١٢
- رايات المبرزين وغايات المميزين، لابن سعيد الأندلسي، تح:محمد رضوان الداية، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٧
- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، لأبي القاسم محمد الشريف السبتي، تح: محمد الحجوي، طبعة وزارة الأوقاف، المغرب، ط ١، ١٩٩٧
- الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، تح:إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤
- زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، لصفوان بن إدريس، اعتنى بنشره عبد القادر محداد، بيروت، ١٩٣٩
- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طبعة ١٩٧٩
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تح:أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط ٢٠٠٣
- صلة الصلة، لابن الزبير،تح:شريف العدوي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ط ١،٢٠٠٨
- عقود الجمان على وفيات الأعيان(مخطوط)، للزركشي، تركيا، مكتبة الفاتح، السليمانية، رقم ٤٤٣٤.
- غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، لابن ظافر الأزدي، تح:محمد زغلول سلام ومصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، القاهرة،ط ١٩٨٣.
- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، لابن سعيد الأندلسي، تح:إبراهيم الإبياري،دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٩٩٠
- فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، تح:إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- القرط على الكامل"ومعه الطرر والحواشي "، للوقشي والبطليوسي وابن سعد الخير البلنسي، تح:ظهور أحمد أظهر، طبعة المطبعة العربية، لاهور،ط١، ١٩٨٠
- لمح السحر في روح الشعر، لابن ليون التجيبي، دراسة وتحقيق منال محمد منيزل "رسالة ماجستير "، الجامعة الأردنية، ١٩٩٥
- المستملح من كتاب الصلة، للذهبي، تح:بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠٠٨
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، تح:خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨
- المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، لابن الأبار، تح:إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط ١، ١٩٨٩
- المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي، تح:شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٤
- المقتضب من تحفة القادم، لابن الأبار، اختيار وتقييد البلفيقي، تح:إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٩
- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، لابن رشيد السبتي، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، ط ١٩٨٢
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تح:د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.ط
- الوافي بالوفيات، للصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م
- وصف النعال"المسمى فتح المتعال في وصف النعال"، للمقري، تح: علي عبد الوهاب وعبد المنعم فرج، دار القاضي عياض، القاهرة، ط١، ١٩٩٧

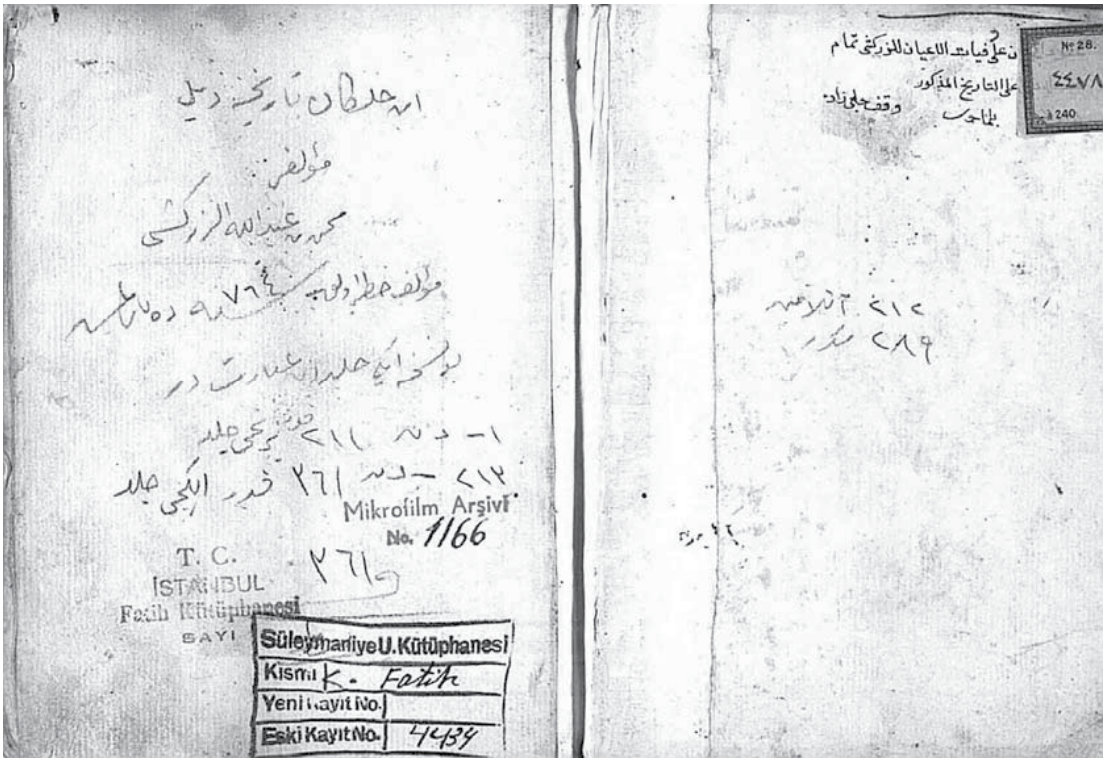

غلاف مخطوط: عقود الجمان على وفيات الأعيان للزركشي

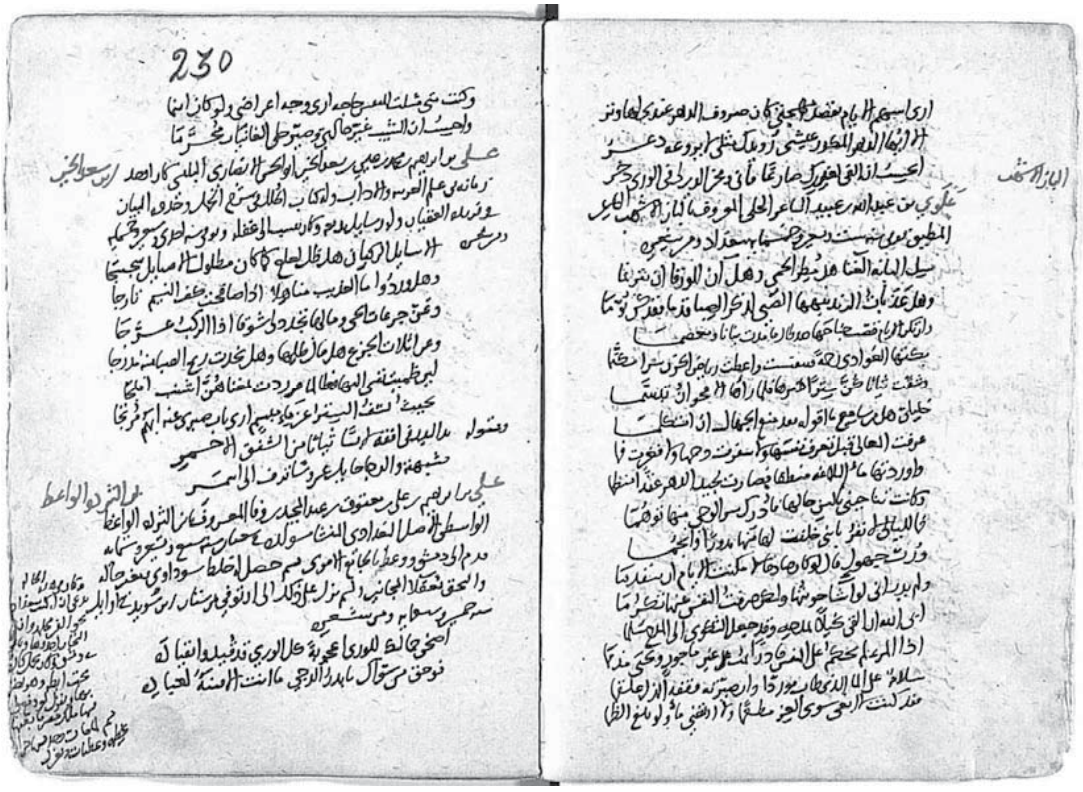

ترجمة وأشعار ابن سعد الخير بمخطوط عقود الجمان:اللوحة: ٢٣٠

تحقيقُ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ في المصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ
كِتَابُ المطالعِ البَدْرِيَّةِ فِي المَنَازِلِ الرُّومِيَّةِ أُنموذَجًا

أ. د. عَبد الرَّازق حويزي
جَامِعَةُ الأَزْهَر
مصر

لِلنَّصِّ الشِّعْريّ خصوصياتُه المُسْتَمَدَّةُ ممَّا يَحْتَشِدُ فيه فَنِّيَّاتٍ على عِدَّةِ مُستويات؛ مِنها المُسْتَوَى الإيقَاعِيُّ، والمستَوَى البَلاغِيُّ والمستوى اللُّغَوِيُّ؛ لِذا فالعِنَايَةُ به في التَّحقيق تَتَطَلَّبُ جُهْدًا وَحِرْصًا، وَإلمامًا وَاسِعًا بِعُلُومِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، بمَا يتَنَاسَبُ مَعَ قِيمَةِ هَذا النَّصِّ، وَقدِ استَقَرَّ لَدَى مُعْظَمِ المُحَقِّقِينَ عِدَّةُ قَوَاعِد مُتَّفَقٌ عَلَيهَا؛ منها[1]:

١- ضَرورةُ تَقْوِيمِ النَّصِّ عَرُوضِيًّا، وَالتَّأَكُّدُ مِن سَلَامَتِهِ وَصِحَّةِ عَزْوِه إِلَى بَحْرِهِ الشِّعْرِيّ، وَهَذا الأَمْرُ هُو السَّبَبُ الرَّئِيسُ فِي إِفْرَادِ الصَّفَحَاتِ التَّالِيَةِ.

٢- ضَرُورَةُ التَّأَكُّدِ مِنْ سَلَامَةِ النَّصِّ الشِّعْرِيّ مِنَ الأَخْطَاءِ النَّحْوِيَّةِ وَالإِمْلَائِيَّةِ.

٣- الاهْتِمَامُ بِتَخْرِيجِ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ عَلَى دَوَاوِينِ الشُّعَرَاءِ، وَفي حَالَةِ عَدَمِ وُجودِ دِيوانٍ للشَّاعِرِ يَلْزَمُ التَّخْرِيجُ عَلَى مَصَادِرِ تِلْكَ النُّصُوصِ.

٤- تَنَاوُلُ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ ذَاتِ الأَلْفَاظِ الغَامِضَةِ بالشَّرْحِ اسْتِنَادًا عَلَى المَعَاجِمِ اللُّغَوِيَّة، وَكُتب البلدانِ.

٥- ضَبْطُ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّة ضَبْطًا تامًّا مَع مُراعَاةِ الانْسِجَامِ بَين اسْتِقَامَةِ الوَزْنِ وَالقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّة مَع الإِشَارَةِ إِلَى الضَّرُورَاتِ الشِّعْرِيَّةِ.

٦- تَثْبِيتُ فُروقِ رِواياتِ النُّصُوصِ الَّتِي أَوْرَدَتْها المصَادِرُ، وَلَم تَرِدْ في النَّصِّ المخْطُوطِ.

٧- إِثْبَاتُ الكَلِمَةِ الفَاصِلَةِ فِي نِسْبَةِ النُّصُوصِ إِلَى أَصْحَابِهَا، وَعَزْوُ مَا لَمْ يَعْزُهُ المُؤَلِّفُ مِنْ نُصُوصٍ إِلَى الشُّعَرَاءِ.

٨- التَّعْرِيفُ الموجَزُ بِالشُّعَرَاءِ المغمورين أَصْحَابِ النُّصُوصِ.

وَعِلْمُ العَروضِ مِنَ العُلُومِ الجَلِيلةِ الَّتي اهتَمَّ بها العُلَمَاءُ العَربُ منذُ القَرْنِ الثَّاني الهِجريّ، بِدَايَةً مِن رَائِدِهِ (الخليل بن أحمد الفراهيديّ ت

١٧٥ هـ) حَتَّى الآن، وقدْ كَانَ لِلقُدَمَاءِ اهتمَامٌ كَبِيرٌ بهَذَا العِلْمِ، نَظَرًا لإدراكِهِم أهميَّةِ الشِّعر ومكانَته في حياتهم، وأَخَذَ نَجْمُ هذا الاهتمامِ في الأُفُولِ مع تَعَاقُبِ الأجيال، وبدأَ طلابُ العلمِ في عَصْرِنَا هَذا يَنْفُرُونَ مِنه لكثْرَةِ مُصْطَلَحَاتِهِ المتشابهةِ التي تَتَسَرَّب من الأذهانِ سريعًا، غير ملتفتين لفوائده العديدة الَّتي يُدْرِكُها كلُّ مَن تَطَرَّقَ لدراسته، أو تَصَدَّى لتحقيقِ بَعْضِ النُّصوص الشِّعرية، من هذه الفوائد:

١- مساعدةُ المحقِّق والنَّاقد على الوقوفِ عَلَى التَّصْحِيفِ وَالتَّحْرِيف في النُّصوص.

٢- إعانَةُ المحقق والباحث على كِتَابَةِ الشِّعر بطريقةٍ مُنَسَّقَةٍ وَفْقَ القواعد المرساة لهذا العلم.

٣- المساعدةُ في ضَبْطِ الشِّعْرِ ضَبْطًا صَحِيحًا.

٤- تَمييز النُّصُوص الشِّعْرِيَّة من النَّثْرِيَّة خصوصًا في المخطوطات التي لم تُفْصَلْ هَذه عن تلك.

٥- معرفةُ صحيح الشِّعر من زائفه.

٦- المُسَاعَدَةُ على فَهم النَّصِّ وَتَذَوُّقِهِ.

وهذا العِلمُ ضَرُوريٌّ لِكُلِّ مَنْ يَتَصَدَّى لِتَحْقِيقِ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ وَغَيْرِهَا، أَوْ نَقْدِهَا، لِكَي تَخْرُجَ كَمَا أَرَادَهَا الشُّعَرَاءُ، فَإِذَا قَصَّرَ المُحَقِّقُ فِي الإِحَاطَةِ بِقَوَاعِدِه جَاءَ عَمَلُهُ نَاقِصًا، تَعْتَرِيهِ الأَخْطَاءُ، وَتَحُطُّ مِنْ قَدْرِهِ الأَوْهَامُ، بَلْ إِنَّ المُحَقِّقَ بِتَقْصِيرِهِ هَذَا يُسَاعِدُ فِي نَشْرِ العَبَثِ بِالشِّعْرِ وَالتَّلاعُبِ بِقِيمَتِهِ، وَالشِّعرُ - لا شكَّ - جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ مِنَ النَّصِّ المُحَقَّقِ إِنْ لَمْ يَكُنِ النَّصَّ كُلَّهُ كَمَا هُوَ الحَالُ فِي الدَّوَاوِينِ الشِّعْرِيَّةِ.

إِنَّ اهتِمَامَنَا بِهَذا العِلْمِ هُوَ فِي حَقِيقَةِ الأَمْرِ اهْتِمَامٌ بِجُزْءٍ أَصِيلٍ مِنْ تُرَاثِ أَجْدَادِنَا، وَثَقَافَتِنَا العَرَبِيَّةِ، وَأَصَالَتِنَا، بَل وَهُوِيَّتِنَا، وَهُوَ فِي الوَقْتِ نَفْسِه مُحَاوَلَةٌ لِوَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ فِي نِصَابِهِ، وَهَذَا مَا يَسْعَى إِلَيْهِ التَّحْقِيقُ العِلْمِيُّ، وَتَقْوِيمُ النُّصُوصِ.

فَلا بُدَّ لِلمُحَقِّقِ وَلِلنَّاقِدِ العَرُوضِيّ مَعًا مِنَ الوُقُوفِ عَلَى دَقَائِقِ هَذَا العِلْمِ؛ إِذْ لَا تَخْلُو مُعْظَمُ مُصَنَّفَاتِ التُّرَاثِ العَرَبِي مِنْ مَادَّةٍ شِعْرِيَّةٍ دَاعِمَةٍ لِلحَقَائِقِ اللُّغَوِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ، وَهَذا يُفْصِحُ عَنْ مَكَانَةِ الشِّعْرِ عِنْدَ العَرَبِ، وَلَمَّا كَانَ عِلْمُ العَرُوضِ حَجَرَ الزَّاوِيَةِ فِي نَظْمِ الشِّعْرِ عَرَفْنَا قِيمَةَ هَذا العِلْمِ وَمَكَانَتَه عِنْدَ القُدَمَاءِ، فَقَدْ مَنَحُوه العِنَايَةَ الفَائِقَةَ وَالاهْتِمَامَ الكَبِيرَ، فَتَدَارَسُوا مَسَائِلَهُ، وَحَفِظُوا مُصْطَلَحَاتِهِ، وَأَتْقَنُوا قَوَاعِدَهُ، وَحَثُّوا طُلابَهُم عَلَى تَعَلُّمِهِ.

إِنَّ النَّاقِدَ العَرُوضِيَّ لِلنُّصوصِ الشِّعْرِيَّةِ لَا يَعْدَمُ الوُقوفَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الأَخْطَاءِ الَّتِي تُفْسِدُ الشِّعْرَ، وَتَذْهَبُ بِجَوهره في كثيرٍ مِنْ كُتبِ التُّرَاثِ العَرَبِيِّ المُحَقَّقَةِ، وَسَأُحَاوِلُ فِي الصَّفَحَاتِ التَّالِيَةِ تَصحيحَ بعضِ الأوهامِ العَروضِيَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي تحقيقِ مصدرٍ مُهِمٍّ من مَصَادِرِ التُّرَاثِ العَرَبِيِّ، أَلَا وَهو كتاب المطالع البدرية في المنازل الرومية، لبد الدين الغزي (ت ٩٨٤ هـ)، الذي نهض بتحقيقه والتقديم له: (المهدي عيد الرواضية)، وصدرت طبعته الأولى عام ٢٠٠٤ م عن المؤسَّسة العربية للدِّراسَات والنَّشر، وقد قالت الشاعرة الناقدة الدكتورة (سلمى الخضراء الجيوسي) عن تحقيقه: "وقد قام المهديّ بهذا العمل بدقَّة وعناية كبيرة عرفتهما عنه منذ البدء"[٢]. وقدِ اخترتُ هَذا الكتابَ ليكونَ أُنموذجًا عَلَى كَيْفِيَّةِ تَحْقِيقِ النُّصوصِ الشِّعْرِيَّةِ فِي المصادرِ التَّاريخيَّة الَّتي يَتَصَدَّى لِتَحْقِيقها مُؤَرِّخون غيرُ مُتَخَصِّصين

فِي دِرَاسَةِ عُلومِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة، وَمِنْها عِلْمَا العَرُوضِ وَالقَافِيَةِ، وَمِنْ ثَمَّ تَفْسُدُ النُّصوصُ، وَتَذْهَبُ قِيمتُها، وَتَفْقِدُ تَأْثِيرَهَا، وَيَغِيبُ الغَرَضُ مِن تَوْظِيفِهَا لِخِدْمَةِ النَّصِّ العَامِّ.

وفي الحقيقةِ أَنَّ على تحقيقِ الكِتَابِ مَلحوظَاتٍ مُختلفَةً، وَهِي في الوقتِ نَفْسِه غيرُ قليلةٍ، غيرَ أَنِّي سَأُرَكِّزُ عَلَى أَبْرزِ هَذه الملحُوظاتِ في تحقيقِ نَصِّ الكِتاب، وَهي تَتَّصِل بِالجَانِبِ العَرُوضِيّ في تَحقيق النَّصِّ الشِّعْرِيّ، أَمَّا الملحوظاتُ الأُخرى فَيَكفِي أَنْ أُشِيرَ إِلَى نَمَاذِجَ مِنْهَا لِإِمْكَانِيَّةِ تَدَارُكِها في طبعةٍ لاحقةٍ لهذا الكتاب، فَمِنَ الملحوظاتِ المتنوّعةِ الأخطاءُ الإملائيَّةُ في البيت الآتي: ص٣٧:

تَـشْـدُوا بِـعِـيـدَانِ الأَرَاكِ حَـمَـائِـمُ
شَـــدْوَ الـقِـيَـانِ عَـزَفْـنَ بِـــالأَعْـوَادِ

والصواب: "تَشْدُو".

• والبيتُ الوَارِدُ في ص ٢٢٧:

عُـذْرًا سَلِيلَ المَجْدِ عَنْ نَظْمِ امْـرِءٍ
قَـدْ رَقَّ مِـنْ جَـوْرِ الـزَّمَـانِ القَاسِي

الصَّوَابُ: "امْرِئ".

• وَمنها النَّحْوِيَّةُ كما في ضبط البيت الوارد في ص ٣٦:

محلٌّ كَـأَنَّ الـشَّـمْـسَ تَـخْـجَـلُ كُلَّمَا
نَضَتْ ثَوْبِهَا عَـنْ مِعْطَفَيْهِ مَغِيبًا

الصَّوَاب: "محلٌّ ... ثوبَها".

• والبيت الوارد في ص ٢٣١:

وَإِنْ تُـرَخِّـمْـهُ بِـتَـصْـحِـيفٍ فَـذَا
عُـضْـوًا لِأَعْـضَـاءٍ يَـكُـونُ حَـاوِيَـا

الصَّواب: "عضو ... لِأَعْضَاءٍ" على ما ورد في الأصل المخطوط. ١٢٢ ب

وَإِنْ ترخمه بتصحيف فذا ... عضوا لعضاء يكون حاويا

وَمِنْهَا عَدَمُ تَخْرِيجِ النُّصوصِ الشِّعْرِيَّةِ عَلَى دَوَاوِيـنِ الشُّعَرَاءِ، أَوِ التَّسَاهُلِ فِي التَّخْرِيجِ مِنْ حَيْثُ الإفصاحُ عن الأَبياتِ المذْكُورَةِ فِي الدَّوَاوِينِ وَالَّتِي لَمْ تُذْكَرْ، مِثل أَبْيَاتِ (البَهَاء زُهَير) المذكورة في ص ٧٧ والَّتي لم تُخَرَّجْ عَلَى دِيوانِه، وكذلك نَصّ (الحَاجِرِيّ) في الصفحة نفسها، لم يخرج على ديوانه، ونصّ أبي فراس الحمداني المذكور في ص ٧٩ لم يخرج على ديوانه، ونصّ (الصَّنَوْبَرِيّ) المذكور في ص ٧٥ لم يُخَرَّجْ على ديوانه، ولم يُشْرَحْ مَا بِهِ مِن أَلْفَاظٍ غَامِضَةٍ، وهناك أمثلة على هذا يصعبُ حصرُها.

• وَمِنْهَا التَّصْحِيفُ في بعضِ أَبياتِ النُّصُوص، كَمَا فِي البيتِ الوارِدِ في ص ٩٦:

صَـبْـرًا فَعَسَى سَـمَـاوُهُ أَنْ تَصْحَى
لَا بُـدَّ لِـكُـلِّ لَـيْـلَـةٍ مِـنْ صُـبْـحِ

البيت من وزن الدوبيت، وليس من بحر البسيط، والصَّوَابُ: "تَضحى" على ما وردَ في الأصلِ المَخْطُوطِ.

• وَمِثالُ التَّحْرِيف البيت الوارد في ص ٩٥:

أَحـبـائِـي مَـا لِـيْ بِـحَـيَـاتِـيْ نَـفْـعُ
مُـذْ عَـزَّ لِـشَـمْـلِـنَـا بِـشَـتٍّ جَـمْـعُ

نسب هذا البيتُ إلى الطَّويل، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الدّوبَيت، والصَّواب: "أحبابيَ" عَلَى مَا وَرَدَ في الأَصْل المخطوط.

• ومثالُ التَّحريف أيضًا البيتُ الوارد في ص ٩٤:

ضَـاعَ قَلْبِي فَأنشُدْه لِي بَيْنَ جَمْعٍ
وَهَـى عِنْـدَ بَـعْـضِ تِـلْـكَ الـحِـدَاقِ

الصَّواب على ما ورد في الأصل المخطوط ٤٢ ب:

ضَـاعَ قَلْبِيْ فَانشُدْه لِي بَيْنَ جَمْعٍ
وَمِـنًـى عِـنْـدَ بَـعْـضِ تِـلْـكَ الـحِـدَاقِ

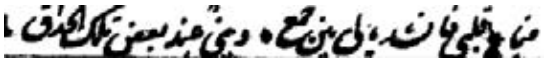

• ومثاله كذلك البيت الوارد في ص ١٠٣، وهو:

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرْشُفَ شَمْسُ الضُّحَى
رِيـقَ الـفُـؤَادِ مِـنْ ثُـغُـورِ الأَقَـاحِ

البيت من السَّريع، والصَّواب على ما ورد في الأصل المخطوط، الورقة ٤٨ ب، وديوان ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيّ ٥٦، وديوان ابن حمديس ٨٩، ولم يخَرَّجْ النصُّ على هذين المصدرين.

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرْشُفَ شَمْسُ الضُّحَى
رِيـقَ الـغَـوَادِي مِـنْ ثُـغُـورِ الأَقَـاحْ

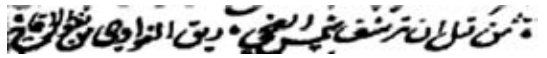

• وورد في ص ٥٥ – ٥٦ نصٌّ لابن نُباتة المِصْرِيّ، منه:

أَرْضُ الـسَّـنَـاءِ وَالـهَـنَـاءِ وَالـمَـرَحْ
وَالأَمْـنِ وَالـيُـمْـنِ وَرَايَـاتُ الـفَـرَحْ
ذَاتُ الـنَّـوَاعِـيـرِ سُـقَـاه الـرَّبِ
وَأُمَّـهَـاتُ عَـصْـفِـهِ والأبِّ
إِذَا نَـظَـرْتَ لِـلـرُّبَـا وَالـنَّـهـر
فَـارِد عَـنِ الـرَّبِـيـعِ أَوْ عَـنْ جَعْفَرِ

يُلْحَظُ عَلَى هَذا النَّصِّ:

١- لم تُضْبَطْ أَلْفَاظُهُ.

٢- لَمْ يُخَرَّجْ عَلَى ديوان الشاعر، وهو فيه ٥٨٥.

٣- التَّعريفُ بصاحبه، وهو مَشْهُورٌ، ليس بحاجة إلى تعريف.

٤- اشتمالُه على التَّصحيفِ والتَّحريف. وَصَوابُ الأبيات السَّابقة على ما ورد في الأصل المخطوط، وديوان ابن نُباتة المصريّ:

أَرْضُ الـسَّـنَـاءِ وَالـهَـنَـاءِ وَالـمَـرَحْ
وَالأَمْـنِ وَالـيُـمْـنِ وَرَايَـاتُ الـفَـرَحْ
ذَاتُ الـنَّـوَاعِـيـرِ سُـقَـاةُ الـتُّـرْبِ
وَأُمَّـهَـاتُ عَـصْـفِـهِ والأبِّ
إِذَا نَـظَـرْتَ لِـلـرُّبَـا وَالـنَّـهـرِ
فَـارْوِ عَـنِ الـرَّبِـيـعِ أَوْ عَـنْ جَعْفَرِ

والملحوظاتُ الَّتِي تَخُصُّ جَوانبَ التَّحقيقِ المختَلِفَة كثيرةٌ، ومتنوعة، وأكثرُها يتَّصِلُ بالجَانِبِ العَروضي كَمَا ذَكَرتُ من قبل؛ لذا سأركز عليه هنا، وما سَأُثْبِتُه لا يغُضُّ أَبَدًا من الجُهْدِ المشكور الذي بذلَه المحقِّقُ الفاضلُ، فالنَّقَدَاتُ والنَّظَرَاتُ تَتْمِيمٌ لِنَصّ الكتاب، وتنويهٌ بهذا الجهد المبذول في التحقيق. وَالملحوظاتُ العَرُوضِيَّةُ الَّتِي عَنَّتْ لِي في التَّحْقِيقِ مُتَنَوِّعَةٌ، وَزَّعْتُهَا عَلَى نِقَاطٍ وَفْقَ تَنَوُّعِهَا كَالآتِي:

١- تَصْحِيحُ أوهامِ تَحْدِيدِ البُحُورِ الشِّعْرِيَّةِ.

٢- التَّفَاوتُ في المنهجِ المتَّبَعِ.

٣- إصلاحُ كسر بعضِ الأبيات.

٤- عَدَمُ الالتزامِ بِتَوْزِيع التَّفْعِيلاتِ وَفْقَ صُوَرِ البُحور.

٥- عَدَمُ مُراعاةِ التَّدْويرِ وَالتَّشْطِير.

٦- الخَلَلُ فِي تَنْسِيق بَعْضِ الأَبْيَاتِ فِي الطَّبْعِ.

٧- تَرْكُ ضَبْطِ مَا يَلْزَمُ ضَبْطُهُ.

٨- عد الشِّعر نثرًا والعكس.

١- تصحيح أوهامِ تَحْدِيدِ البُحُورِ الشِّعْرِيَّةِ.

مِن تمامِ تحقيقِ النُّصوصِ الشِّعْرِيَّة الإفصاحُ عن وزنِهَا عَلَى الوجه الصَّحِيح، وَإهمالُ هذا الأَمْـرِ، أَوِ التَّقْصيرُ أَوِ الـوَهْمُ فيه ينالُ من قِيمةِ التحقيقِ، ويجعلُ النَّصَّ بِحَاجةٍ مَاسَّةٍ إلى التَّصْحِيح، وَمِن ثَمَّ سأَتَنَاوَلُ بَعْضَ النُّصوصِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتي تَمَّ الإفصاح عن وَزْنِهَا عَلَى الوَجْهِ المُجَانِبِ للصَّوَاب. مِن ذَلِكَ:

• النَّصُّ الوارد في ص ٢٢، ومَطلعُهُ:

لَـمْ يَـبْـقَ صَـافٍ وَلَا مُـصَـافِ

وَلَا مَـعِـيـنٌ وَلَا مُـعِـيـن

مَنْسُوبٌ إلى مجزوء البسيط، والأفضل أن يقال: إنَّه من مخلَّعِ البسيطِ.

• النَّصُّ الوارد في ص ٢٨، ومَطلعُهُ:

إنْ يَكُنِ لِلصَّبَاحِ فَضْلٌ عَلَى اللَّيْـ

ـلِ بِتَـنْـوِيـرِهِ دُجَـى الأَحْـلَاكِ

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والصَّوَابُ أَنَّـهُ مِنَ الخفيف، ونهاية الشطر الأول حرف الياء من كلمة الليل، وقد كُتِبَ البيتُ في الكتاب دونَ تدوير.

• النَّصُّ الوارد في ص ٤٨، ومَطلعُهُ:

وَالـغُـبَـارُ الـكَـثِـيفُ أَلْـبَـسَ عِطْفَي

عَـسَـلِـيًّـا وَدِيـنِـيَ الـتَّـوْحِـيـدُ

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والصَّوَابُ أَنَّـهُ مِنَ الخفيف.

• النَّصُّ الوارد في ص ٤٩، ومَطلعُهُ:

وَمُـجَّـدِيـن في الـسُّـرَى قَـدْ تَـعَـاطَـوْا

خَـمْـرَاتِ الـكَـرَى بِـغَـيـرِ كُـؤُوسِ

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والصَّوَابُ أَنَّـهُ مِنَ الخفيف، وصوابُ الضَّبط: "ومجدِّينَ".

• النَّصُّ الوارد في ص ٥٢، ومَطلعُهُ:

وَلِـوَجْـدِيْ مِـنَ الـعَـرُوضِ بَسِيطٌ

وَمَـدِيـدٌ وَوَافِـرٌ وَطَـوِيـلٌ

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والصَّوَابُ أَنَّـهُ مِنَ الخفيف.

• النَّصُّ الوارد في ص ٦٢، ومَطلعُهُ:

مُـلَـحٌ كَـالـرِّيَـاضِ غَـازَلَـتِ الشَّمْـ

ـسُ رُبَـاهَـا وَافْـتَـرَّ عَنْهَا الرَّبِيعُ

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والصَّوَابُ أَنَّـهُ مِنَ الخفيف.

• النَّصُّ الوارد في ص ٧٢، ومَطلعُهُ:

رُبَّ مَـنْ تَـرْجُـو بِـهِ دَفْـعَ الأَذَى

عَـنْـكَ يَـأْتِـيـكَ الأَذَى مِـنْ قِبَـلِـه

مَنْسُوبٌ إلى الرجز، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الرمل.

• النَّصُّ الوارد في ص ٧٨، وهو:

بِاللهِ عَرَفْتَ مَا بِحَالِي صَنَعُوا
خَلُّوهُ بِنَارِ شَوْقِهِمْ يَنْصَدِعُ
مَا لَمْ أَرَ شَمْلِي بِهِمُ يَجْتَمِعُ
مَا أَحْسَبُنِي بِعَيْشَتِي أَنْتَفِعُ

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، وهي من الدوبيت.

• النَّصُّ الوارِدُ في ص ٧٨، وهو:

لَمْ تَجِدْ هَمِّيْ وَلَا وَلَهِي
أُمُّ مَفْقُودٍ لَهَا وَلَهُ
مَا بَقَاءُ الرُّوحُ فِي جَسَدِي
غَيْرُ تَعْذِيبٍ لَهَا وَلَهُ

مَنْسُوبٌ إلى السريع، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ المديد، وصواب ضبط الروح بالكسر "الروحِ".

• النَّصُّ الوارد في ص ٨١، ومَطْلَعُهُ:

فِي بَسِيطٍ مِنَ الفَيَافِي إِذَا مَا
سَابَقَ الطَّرْفُ فِيهِ عَادَ حَسِيرًا

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الخفيف.

• البيتُ الوارد في ص ٨٧، وهو:

حِينَ شَابَ الدُّجَى وَخَافَ مِنَ الهَجْـ
ـرِ فَغَطَّى المَشِيبَ بِالزَّعْفَرَانِ

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الخفيف. البيت مدور ولم يُكْتَب في الكتاب كذلك.

• النَّصُّ الوارد في ص ٩١، ، ومَطْلَعُهُ:

وَحَدَائِقُ تَشْبِيكَ وَشْيُ بُرُودِهَا
حَتَّى تُشَبِّهَهَا شَبَائِبَ عَبْقَرِ

مَنْسُوبٌ إلى الوافر، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الكامل، وهو مكسور، والصواب: "وحدائقٍ" بصرف الممنوع ضرورة لاستقامة الوزن. والبيتُ مصحَّف، وصوابُه على ما ورد في ديوانِ السَّرِيّ الرَّفاء ١٦٤/٢:

وحدائقٍ يَسْبِيكَ وَشْيُ بُرُودِهَا
حَتَّى تُشَبِّهَهَا سَبَائِبَ عَبْقَرِ

• النَّصُّ الوارد في ص ٩٣، ومنه:

أَيُّهَا الرَّائِحُ المُجِدُّ تَحَمَّل
حَاجَةً لِلمُتَيَّمِ المُشْتَاقِ

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الخفيف

• النَّصُّ الوارد في ص ٩٥، وهو:

أحبائي مَا لِي بِحَيَاتِي نَفْعُ
مُذْ عَزَّ لِشَمْلِنَا بِشتٍّ جَمْعُ
فِي اللَّيْلِ إِذَا أَرَّقَنِي ذِكْرُكُمُ
أَبْكِي أَسَفًا، جُهْدُ المُقِلِّ الدَّمْعُ

مَنْسُوبٌ إلى الطويل، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الدوبيت، والصواب: "أحبابيَ".

• النَّصُّ الوارِدُ في ص ٩٣، وهو:

الشَّوْقُ إِلَيْكُمْ شَدِيدُ البَرْحِ
وَالوَجْدُ يَجِلُّ شَرْحُهُ عَنْ شَرْحِ
صَبْرًا فَعَسَى سَمَاؤُهُ أَنْ تَصْحَى
لَا بُدَّ لِكُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ صُبْحِ

مَنْسُوبٌ إلى مجزوء البسيط، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الدوبيت.

• النَّصُّ الوارِدُ في ص ٩٩، وهو:

أَقُـــولُ وَالـلَّـيْـلُ فِـي امْـتِـدَادْ

وَأَدْمُـــعُ الـغَـيْـثِ فِـي انْـسِـفَـاحْ:

أَظُـــنُّ لَـيْـلِـي بِـغَـيْـرِ شَـكٍّ

قَـدْ بَـاتَ يَـبْـكِـي عَـلَـى الـصَّـبَـاحْ

مَنْسُوبٌ إلى مجزوء البسيط، والأفضل أن يُقالَ: إنَّه مِنَ مخلع البسيط، وصواب الضبط: "امتدادٍ... انسفاحِ، الصباحِ".

• النَّصُّ الوارد في ص ١٠٠، وهو:

جَـــادَتْ لَـنَـا الأَنْـــوَاءُ مُـغْـدِقَـةً

وَالـصَّـيْـفُ أَقْـبَـلَ مُـسْـرِعَ الـجَـرْيِ

فَـكَـأَنَّـمَـا شَـمْـسُ الـضُّـحَـى خَـرِّفَـتْ

فَـتَـشَـبَّـهَ الـسَّـرَطَـانُ بِـالـجَـدْيِ

مَنْسُوبٌ إلى السريع، والـصَّـوَابُ أَنَّـهُ مِنَ الكامل. وصـواب الضبط: "خَـرِفَـتْ" حتى لا ينكسر الوزن.

• النَّصُّ الوارد في ص ١١٢، ومطلُعُه:

وَمَـهَـامِـهٍ كَـالـبَـحْـرِ لَا أَثَـرٌ

لِـلـمُـقْـتَـفِـي فِـيـهَـا وَلَا سَـنَـنُ

مَنْسُوبٌ إلى السَّريع، والـصَّـوَابُ أَنَّـهُ مِنَ الكامل. والصواب: "ومهامه".

• البيتُ الوارد في ص ١٢٦، وهو:

هَـلْ إِلَـى أَنْ تَـنَـامَ عَـيْـنِـيْ سَبِيلُ

إِنَّ عَـهْـدِيْ بِـالـنَّـوْمِ عَـهْـدٌ طَـوِيـلُ؟!

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والـصَّـوَابُ أَنَّـهُ مِنَ الخفيف.

• النَّصُّ الوارد في ص ١٢٩، ومطلُعُه:

يَقْضِي بِنَفْعِ الـنَّـاسِ سَـائِـرَ يَـوْمِـهِ

وَيَجْفُوهُ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ مُضَاجِعُ

مَنْسُوبٌ إلى الكامل، والـصَّـوَابُ أَنَّـهُ مِنَ الطويل.

• النَّصُّ الوارد في ص ١٤١، ومطلُعُه:

سَائِلِي عَـنْ قَضِيَّتِي فِـي الـبَرَاغِيـ

ـثِ خُـذِ الشَّرْحَ إِنْ أَرَدْتَ التَّقَصِّي

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والـصَّـوَابُ أَنَّـهُ مِنَ الخفيف. والبيت مدور، وقد كتب من دون تدوير.

• البيتُ الوارد في ص ١٤١، وهو:

جَـمَـاعَـةٌ كُـلُّـهُـمْ قُـشُـورُ

مَـا فِـيـهِـمُ وَاحِـــدٌ لُـبَـابُ

مَنْسُوبٌ إلى مجزوء البسيط، والأفضل أن يُقَالَ: إنَّه مِن مُخَلَّع البسيط.

• النَّصُّ الوارد في ص ١٤٢، وهو:

لَـمَّـا رَأَيْـتَ الـبَـدْرَ سَـائِـرَ أَسْـودًا

فِـي مَـوْكِـبٍ مُـتَـلَاطِـمِ الأَمْـوَاجِ

نَـادَيْـتُـهُـمْ لَا تَـعْـجَـبُـوا مِـنْ شَـأْنِـهِ

الـبَـدْرُ يَـسْـرِي مَـعْ ظَـلَامٍ دَاجِ

مَنْسُوبٌ إلى الرجز، والصواب أنه من الكامل. ولا بد من وضع سكون على عين "مع" لسلامة الوزن.

• النَّصُّ الوارد في ص ١٤٤، ومطلُعُه:

افْـعَـلْ جَـمِـيـلًا وَانْـسَـهُ تُحصِه

مِـنْ سِـرِّه يَـدْرِي وَنَـجْـوَاهُ

مَنْسُوبٌ إلى مجزوء الرجز، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ السريع.

• النَّصُّ الوارد في ص ١٤٧، ومطلُعُه:

يَـا عَظِيمًا دُونَـهُ شَمْسُ الضُّحَى

بِـدَلِـيـلٍ قَـطِ مَـا فِـيـهِ خِـفَـا

مَنْسُوبٌ إلى الخفيف، والصَّوَابُ أَنَّـهُ مِنَ الرَّمل، وصواب الضَّبط: "قطُّ".

• النَّصُّ الوارد في ص ١٧٩، ٣١٦، وهو:

شَـكَـرْتُ سَـعْـيَ الـصَّـبَـاحِ لَـمَّا

وَقُـلْـتُ: غَـفْـرًا لِـمَـا جَـنَـتْـهُ

وَافِـى بَـشِـيـرًا بِـالاجْـتِـمَـاعِ

يَـدَاكَ فِـي حَـالَـةِ الـوَدَاعِ

منسوب في ص ١٧٩ إلى مجزوء البسيط، وفي ص ٣١٦ إلى المضارع، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ مخلع البسيط. ولم يُشَر إلى تَكرارِ النُّتْفة.

• النَّصُّ الوارد في ص ١٧٩، وهو:

يَـا رَبِّ يَـا رَحْـمَـنُ يَـا الـلـهُ

يَـا مُـنْـقِـذَ الـمِـسْـكِـيـنِ مِـنْ بَـلْـوَاهُ

امْـنُـنْ عَـلَـيَّ وَجُـدْ بِـمَـا تَـرْضَـاهُ

بِـجَـمِـيـلِ فَـضْـلٍ مِـنْـكَ يَـا الـلـهُ

مَنْسُوبٌ إلى الرجز، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الكامل.

• النَّصُّ الوارد في ص ١٨١، ومطلُعُه:

يَـا إِمَـامًـا لَـهُ الـفَـضَـائِـلُ تُـعْـزَى

وَهُـمَـامًـا أَضْـحَـى لِـرَاجِـيـهِ كَـنْـزَا

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والصَّـوَابُ أَنَّـهُ مِنَ الخفيف

• النَّصُّ الوارد في ص ١٨٢، ومطلُعُه:

زَادَكَ الـلـهُ بِـالـدِّرَايَـةِ عِـزًّا

فَـلَـقَـدْ قُـمْـتَ لِـلـهِـدَايَـةِ كَـنْـزَا

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والصَّـوَابُ أَنَّـهُ مِنَ الخفيف.

• النَّصُّ الوارد في ص ١٨٣، ومطلُعُه:

يَـا مَـنْ غَـدَا وَكَـوْاكِـبُ الـجَـوْزَاءِ

تَـعْـنُـو لِـرُتْـبَـتِـهِ لَـدَى الـعَـلْـيَـاءِ

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الكامل.

• النَّصُّ الوارد في ص ١٨٩، ومطلُعُه:

إِنِّـي مِـنَ الـلـهِ فِـي رِعَـايَـةْ

مُـذْ لَاحَـظَـتْـنِـي عَـيْـنُ الـعِـنَـايَـةْ

مَنْسُوبٌ إلى مجزوء البسيط، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ مخلع البسيط.

• النَّصُّ الوارد في ص ١٩٤، ومطلُعُه:

أَخِـي خَـلِّ حَـيِّـزَ ذَوِي بَـاطِـلٍ

وَكُـنْ بِـالَـحـقَـائِـقِ فِـي حَـيِّـزِ

مَنْسُوبٌ إلى المتدارك، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ المتقارب، والبيت على هذا النحو مكسور، والـصـواب: "ذي" على ما ورد في الأصل المخطوط، الورقة ١٠٠ أ:

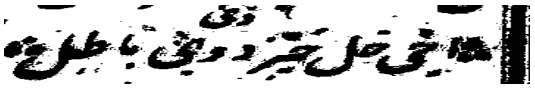

أَخِـــي خَـــلِّ حَـــيِّـــزَ ذِي بَـــاطِـــلٍ

وَكُـــنْ بِـــالَـحـقَـائِـقِ فِـــي حَـيِّـزِ

• النَّصُّ الوارد في ص ١٩٥، ومطلُعُه:

أَوْجَـبَ جُـمْـهُـورُ الـثِّـقَـاتِ الـظِّـرَافْ

عَـنْـدَ الـتَّـوضـيءِ نِـيَّـةَ الاغْـتِـرَافْ

مَنْسُوبٌ إلى الرجز، والـصَّـوَابُ أَنَّـهُ مِنَ السريع، والبيت مكسور، والصواب على ما ورد في الأصل ١٠١ أ:

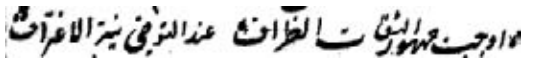

أَوْجَـبَ جُـمْـهُـورُ الـثِّـقَـاتِ الـظِّـرَافْ

عِـنْـدَ الـتَّـوَضِّـي نِـيَّـةَ الاغْـتِـرَافْ

• النَّصُّ الوارد في ص ٢٠٧، ومطلُعُه:

إِذَا مَـا كُـنْـتَ فِـي قَـوْمٍ غَـرِيـبًـا

فَـخَـاطِـبْـهـمْ بِـقَـوْلٍ يُـسْـتَـطَـابُ

مَنْسُوبٌ إلى الهزج، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الوافر.

• النَّصُّ الوارد في ص ٢٠٧، ومطلُعُه:

يَـا مَـنْ بَـنَـى دَارَهُ لِـدُنْـيَـا

عَـادَ بِـهَـا الـرِّبْـحُ مِـنْـهُ خُـسْـرَا

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ مخلعه.

• النَّصُّ الوارد في ص ٢٠٨، ومطلُعُه:

يَـا مُـنْـكِـرًا فِـعْـلَ الـجَـمِـيـل

ـلِ إذ مـت بِـأَعْـظَـمِ خِـزْيَـةِ

مَنْسُوبٌ إلى الكامل، والـصَّـوَابُ أَنَّـهُ مِنَ مجزوئه، وهو محرف، وقد كتب من غير تدوير، والصواب على ما ورد في الأصل المخطوط:

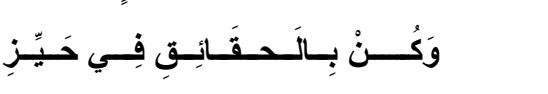

يَـا مُـنْـكِـرًا فِـعْـلَ الـجَـمِـيـل

ـلِ اذْهَـبْ بِـأَعْـظَـمِ خِـزْيَـةٍ

• النَّصُّ الوارد في ص ٢٠٨، ومطلُعُه:

أَرَى الـدَّهْـرَ يُـسْـعِـفُ جُـهَّـالَـهُ

فَـأَوْفَـرُ حَـظٍّ بِـهِ الـجَـاهِـلُ

مَنْسُوبٌ إلى السريع، والـصَّـوَابُ أَنَّـهُ مِنَ المتقارب

• البيتُ الوارد في ص ٢١٠، وهو:

قَـدْ كَـانَ بَـحْـرًا قَـبْـلَ ذَلِـكَ زَاخِـرًا

فَـغَـدَا بِـذَلِـكَ وَهْـوَ بَـرٌّ مُـقْـفِـرُ

مَنْسُوبٌ إلى الطويل، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الكامل

• النَّصُّ الوارد في ص ٢٤٢، ومطلُعُه:

يَـا أَوْحَـدَ الـعَـصْـرِ يَـا

مَـنْ عَـلَـيْـهِ شُـكْـرِيْ وَقَـفْ

مَنْسُوبٌ إلى مجزوء الرجز، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ المجتث. وكتابته الصحيحة هي:

يَـا أَوْحَـدَ الـعَـصْـرِ يَـا مَـنْ

عَـلَـيْـهِ شُـكْـرِيْ وَقَـفْ

• النَّصُّ الوارد في ص ٢٤٢، ومطلُعُه:

يَـا مَـنْ لِـمَـجْـدٍ عُـلاهُ

بِـكْـرُ الـمَـعَـانِـي تُـزَف

مَنْسُوبٌ إلى مشطور البسيط، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ المجتث.

• النَّصُّ الوارد في ص ٢٧٥ - ٢٧٦، ومنه:

وَالسُّفْنُ تَعْدُو فِي العُبَابِ بِنَا
وَالمَاءُ مُرْتَفِعٌ وَمُنْحَدِر

مَنْسُوبٌ إلى السريع، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الكامل

• النَّصُّ الوارد في ص ٢٧٦، ومطلُعُه:

فِي رِيَاضٍ مِنَ الشَّقَائِقِ أَضْحَتْ
يَتَهَادَى بِهَا نَسِيمُ الرِّيَاحِ

مَنْسُوبٌ إلى البسيط، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الخفيف

• والبيتُ الواردُ في ص ٢٨٠، وهو:

وَمُدَّتْ أَكُفٌّ لِلْوَدَاعِ فَصَافَحَتْ
وَكَادَتْ عُيُونٌ لِلْفِرَاقِ تَسِيلُ

مَنْسُوبٌ إلى الكامل. والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ الطويل.

٢- التَّفَاوتُ في المنهجِ المتَّبَعِ.

إنَّ النَّاظرَ في تحقيق هذا الأثرِ النَّفِيس من الوِجْهَةِ العَرُوضِيَّة ليلحظُ أَنَّ ثمَّةَ تَفَاوتًا في مُعَامَلَةِ النُّصوص، ممَّا يخالِفُ المنهجَ العِلْمِيَّ، حيث وردت معظم النُّصوص معزوة إلى بحورها عَلَى سَبيلِ الصَّواب أوِ الخَطَأ ، المهم أَنَّها مَعْزُوَّةٌ إلى بحورٍ بعينها، على حين لم تُعْزَ نصوصٌ أخرى إلى بحورها ربما لعدم المعرفة ببعضها مثل الدوبيت، وإتمامًا للجانب العَرُوضيِّ في تحقيقِ هذا المصدر سأقوم بِعَزْوِ النُّصوصِ الَّتي تَمَّ إغفالُ عَزْوِهَا إلى بحورها.

• النَّصُّ الوارد في ص ١٩٠، ومطلُعُه:

اللهُ حَسْبِي عَلَى قَوْمٍ عَلَيَّ بَغَوْا
وَبِالأَبَاطِيلِ فِي عِرْضِيْ المَصُونِ لَغَوا

من البسيط.

• النَّصُّ الوارد في ص ١٩٥، وهو:

أَيُّهَا الشَّيْخُ الفَقِيهُ أَجِبْ
عَنْ سُؤَالِي وَأَبِنْ مَا خَفَى
أَيُّ شَيْءٍ بَيْعُهُ جَائِزٌ
وَهْوَ لَا يُضْمَنُ إن أُتْلِفَا؟

وجوابي عنه بإشارته - رضي الله تعالى عنه - بقولي:

يَا إِمَامًا فِي العُلُومِ غَدَا
رَاقِيًا مِنَ العُلاَ غُرَفَا

من المديد.

• النَّصُّ الوارد في ص ٢٥٦، وهو:

بِاللهِ عَلَيْكَ أَيُّهَا المُرْتَحِلُ
بَلِّغْ عَنِّي أَحِبَّتِي مَا فَعَلُوا
قُلْ مَاتَ! فَإِنْ قَالُوا: مَتَى؟ قُلْ لَهم:
مِنْ يَوْمِ فِرَاقِكُمْ أَتَاهُ الأَجَلُ

من الدوبيت.

• النَّصُّ الوارد في ص ٢٥٩، وهو:

تَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ بِالدَّوْحِ أَنِينْ
وَرْقَاءَ تُنَادِي بِنَحِيبٍ وَحَنِينْ
الإِلْفُ مَجَاوِرِي وَهَذَا كَلَفِي
مَا حَالَ قَرِينٍ قَدْ نَأَى عَنْهُ قَرِينْ

من الدوبيت.

• النَّصُّ الوارد في ص ٢٦٤، وهو:

إِنْ تَكُنْ عَنْ حَالِ الَّذِينَ اجتَبَاهُم

رَبُّهُمْ عَاجِزًا وَتَطْلُبُ قُرْبَا

حِبَّ مَوْلَاكَ وَالَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ

تَبْقَ مَعْهَمْ فَالمَرْءُ مَعْ مَنْ أَحَبَّا

من الخفيف.

• النَّصُّ الوارد في ص ٣١٧، وهو:

هَبَّتْ سَحَرًا فَنَبَّهَتْ وَسْوَاسِي

نَشْوَى خَطَرَتْ عَلِيلَةَ الأَنْفَاسِ

أَهْدَتْ أَرَجَ الرَّجَاءِ بَعْدَ اليَأْسِ

مَا أَحْسَنَ بَعْدَ وَحْشَتِي إِينَاسِي

من الدُّوبيت.

• النَّصُّ الوارد في ٣١٧، وهو:

عَيْنِيَّ دَمِعَتْ مَسَرَّةً بِالجَمْعِ

قَالُوا: مَهَلًا مَا فِي البُكَاءِ مِنْ نَفْعِ

دَعْ عَيْنَكَ تَسْتَغْنِمُ مِنْهُمْ نَظَرًا

مَا ذَا زَمَنٌ تُشْغِلُهَا بِالدَّمْعِ

من الدُّوبيت. البيت الأول مكسور في صدره وعجزه، والصواب "عَيْنِي ... البكا" بقصر الممدود، و"ذا" في عجز البيت الثاني اسم إشارة.

٢- إِصْلاحُ كسر بعض الأبيات

وردت في الكِتَابِ بَعْضُ الأَبْيَاتِ المكْسُورَةِ لِأَسْبَابٍ مختلفَةٍ، منها الأَخطاءُ الطِبَاعِيَّةُ، وأَخطاء الضبط، وأخطاء التَّحريفِ والتَّصحيفِ، أو غير ذلك، منها:

• البيتُ الوارد في ص ٥٦، وهو:

فَاغْتَاظَ نمور دمَشْقَ لِذَا

فَقُلْتُ: لَا أُفكرُ فِي غَيْضَتِه

البيت مكسور لما به من تحريف، وهو من السَّريع. ولم يخرج، وهذا حال معظم المادة الشعرية في الكتاب. المهم أنَّني صَحَّحت البيتَ اعتمادًا على كتابِ خزانة الأدب لابن حِجَّة الحَمَوِيِّ ٢٣١/٢، وفيه النمروذ: نوع من الأزهار.

فَاغْتَاظَ نَمْرُوذُ دِمَشْقٍ لِذَا

فَقُلْتُ: لَا أُفكرُ فِي غَيْظَتِهْ

والبيتُ الوارد في ص ٥٧، وهو:

وَصوب حدْيثَيَّ ماءها وَهَوَائِهَا

فَإِنَّ أَحَادِيثَ الصَّحِيحَيْنِ مَا تُخْطِي

لم يضبط من حروف البيت إلا ما أدى إلى كسر وزنه، وهو من الطَّويل، وصوابه:

وَصَوِّبْ حَدِيثَيْ مَائِهَا وَهَوَائِهَا

فَإِنَّ أَحَادِيثَ الصَّحِيحَيْنِ مَا تُخْطِي

• والبيتُ الوارد في ص ٨٦، وهو:

وحَقِكَ ما هذا خضابٌ خضيبةٍ

سوى أنت بالهنان والروم متهم

لم يضبط من حروف البيت إلا ما أدى إلى كسره، وهو من الطويل، وهو محرف، وصوبته اعتمادًا على كتاب تزيين الأسواق ٢٥٤/٢:

وحَقِّكَ مَا هَذَا خِضَابُ خَضِيبَةٍ

فَلَا تَكُ بِالبُهْتَانِ وَالزُّورِ مُتَّهِمِي

• والبيتُ الوارد في ص ٩٠، وهو:

لا زلـت مخضلة الأغصـان يانعة

يسقيك كـل مـلـت الـقَـطْـرِ هـتّـانِ

البيت من البسيط، وهو مكسور، وصوابه:

لا زِلْـتِ مُخْضَلَّةَ الأَغْصَـانِ يَانِعَةً

يَسْـقِـيكِ كُـلُّ مُـلِـثٍّ الـقَـطْـرِ هَـتَّـانِ

الملث: المطر الدائم. هتان: ممطر. ينظر تاج العروس ٣٣٩/٥، ٢٧٢/٣٦.

• والبيتُ الوارد في ص ٩٢، وهو:

فـالـنّـور عقد والـغـصـون سـوالـفٌ

والـجَـزْعُ زَنَـدٌ والـسَـرى سـوار

ضبط البيت أدى إلى كسره، وفيه تصحيف، وصواب البيت:

فَـالـنَّـوْرُ عِـقْـدٌ وَالـغُـصُـونُ سَـوَالِـفٌ

والـجَـزْعُ زَنْـدٌ وَالـسّـرى سِـوَارُ

رجعت إلى الأصل المخطوط، فوجدت النص في الورقة ٤٢ أ، وليس في ٢٤ أ كما قال المحقق، ففي رصده لأرقام هذه الورقة والسابقة عليها خطأ، ولم يخرج النص على ديوان ابن خفاجة الأندلسي، وهو فيه ص ٢٨١، برواية: "والخليج سوار".

• والبيت الوارد في ص ٩٤، وهو:

وإذا مـا سـئـلـت عـنّـي فـقـل

مـا أَظُـنُّـهُ الـيَـومَ بـاقِ

البيت مكسور بسبب ما به من تحريف، والصواب على ما ورد في الأصل المخطوط الورقة ٤٢ ب، وديوان الشريف الرضي ٧٩/٢:

وَإِذَا مَـا سُئِلتَ عَنِّي فَقُلْ: نَضْـ

ـوُ هَـوًى مَـا أَظُـنُّـهُ الـيَـومَ بَـاقِ

• والبيتُ الوارد في ص ٩٤، وهو

ضـاع قلبي فَـأنـشُـدهُ لـي بين جمعٍ

وَهَـى عند بعض تـلـكَ الـحـدّاقِ

والصواب على ما ورد في الأصل المخطوط، الورقة ٤٢ ب، وديوان الشريف الرضي ٧٩/٢:

ضـاعَ قَلبي فَـانـشُـدْهُ لي بَيْنَ جَمعٍ

وَمِـنًـى عِـنْـدَ بَـعْـضِ تِـلْـكَ الـحـدَاقِ

• والبيتُ الوارد في ص ١١٦، وهو:

ولقد نزلتُ به وكفُ ربيبِهِ

في نسجِ حُلَةِ نوره يتأنقُ

البيت من الكامل، وهو بهذا الضبط مكسور، والصواب:

وَلَـقَـدْ نَـزَلْـتُ بِـهِ وَكَـفُّ رَبِـيـبِـهِ

فِـي نَـسْـجِ حُـلَـةِ نَـوْرِهِ يَـتَـأَنَّـقُ

• والبيتُ الوارد في ص ١٤٤، ومنه:

اغـسـل رجـلـي فـإنـك

نـويـت رفـع الـحـدث

البيت مكسور، ولم يضبطه المحقق كالعادة المتبعة في عدم الاهتمام بضبط النصوص الشعرية في الكتاب، ولم يفصل شطريه، وهو من مجزوء الرجز، وصوابه:

أَغْسِلُ رِجْلَيَّ فَقَدْ
نَوَيْتُ رَفْعَ الحَدَثِ

• والبيتُ الوارد في ص ١٤٥، ٢٠٨، وهو:

وانظر حَظِي به ناقصًا
أيحسَبُني أنني فاضلُ

البيت من المتقارب، وهو بهذا الضبط مكسور، وصوابه:

وَأَنْظُرُ حَظِّيْ بِهِ نَاقِصًا
أَيَحْسَبُنِي أَنَّنِي فَاضِلُ ؟

• والنَّصُّ الوارد في ص ١٥١، وهو:

فهنالك الآمالُ يذهبُ عينُها
ويفوت وسواسٌ بها ويزولُ
وأرى محيّاه رضيًا كاسمه
عني وبرغمِ حاسدٍ وجهولُ

النص من الكامل، وزنه مضطرب بسبب التصحيف، وفيه إقواء بسبب الضبط، والصواب على ما ورد في الأصل المخطوط، الورقة ٨٠ أ

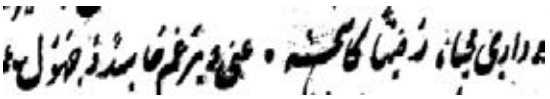

فَهُنَالِكَ الآمَالُ يَذْهَبُ عَينُهَا
وَيَفُوتُ وَسْوَاسٌ بِهَا وَيَزُولُ
وَأَرَى مُحَيَّاهُ رَضِيًا كَاسْمِهِ
عَنِّي وَيُرْغَمُ حَاسِدٌ وَجَهُولُ

• والبيت المذكور في ص ١٥٢، وهو:

ويهزُّني عند إذكاري لطفها
طربٌ كما هزَّ الحكيمَ شمولُ

البيت مكسور، والصواب على ما ورد في الأصل المخطوط الورقة ٨٠ أ:

وَيَهُزُّنِي عِنْدَ ادِّكَارِي لُطْفَهَا
طَرَبٌ كَمَا هَزَّ الحَكِيمَ شَمُولُ

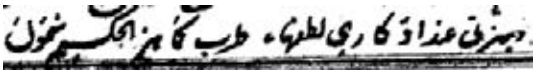

• والبيتُ الوارد في ص ١٥٥، وهو:

قد أمكنتْ فُرص الإقبال فانتهز
وحُلْ موعَدها بالسَّعدِ فانتجزِ

ضبط البيت أدى إلى كسره، وصوابه:

قَدْ أَمْكَنَتْ فُرَصُ الإِقْبَالِ فَانْتَهِزِ
وَحَلَّ مَوْعِدُهَا بِالسَّعْدِ فَانْتَجِزِ

• والبيتُ الوارد في ص ١٨٥، وهو:

يا شيخ الإسلام الذي ألفاظه
زين الدروس وحلية الإفتاءِ

البيت من الكامل، وهو بتحقيق همزة كلمة "الإسلام" مكسور، وصوابه:

يَا شَيْخَ الاسْـ ـمِ الَّذِي أَلْفَاظُهُ
زَيْنُ الدُّرُوسِ وَحِلْيَةُ الإِفْتَاءِ

• والبيتُ الوارد في ص ١٩٢، وهو:

قد بانَ بالكشف أن لا بغير السد
ـتر والصفح الجميل اعتصامْ

البيت مكسور، وكتابته هكذا غير دقيقة، والصواب: "بان لي"، ورسم التدوير خطأ.

قَدْ بَانَ لِي بِالكَشْفِ أَنْ لَا بِغَيـ
ـرِ السِّتْرِ وَالصَّفْحِ الجَمِيلِ اعْتِصَامْ

• والبيتُ الوارد في ص ٢٠٦، وهو:

رأنـــــي لا بـعـيـنـي أدمـــي

فـأدبـر مُـعْـرضًـا عـنـي وَوَلـى

والصواب:

رَأَنِـــي لَا بِـعَـيْـنَـيْ آدَمِـــي

فَـأَدْبَـرَ مُـعْـرِضًـا عَـنِّـي وَوَلَّـى

• والبيتُ الوارد في ص ٢٠٦، وهو:

إنّ العبد ليس بشاكر لك نعمة

والحرّ يحمد ما فعلت ويشكر

الصواب: حذف "إنّ" من بداية البيت على ما ورد في الأصل المخطوط، الورقة ١٠٩ ب

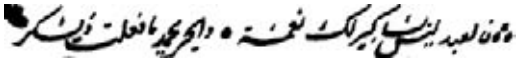

فَالعَبْدُ لَيْسَ بِشَاكِرٍ لَكَ نِعْمَةً

وَالحُرُّ يَحْمَدُ مَا فَعَلْتَ وَيَشْكُرُ

• والبيتُ الوارد في ص ٢١١، وهو:

كـــأن الـشـعـاع عـلـى مـتـنـه

فـرنـدٌ مـصـفـحـة سـيـفٍ صـدي

البيت من المتقارب، والصواب: الورقة ١١٢أ

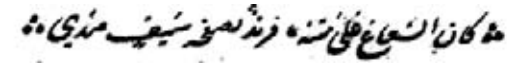

كَـــأَنَّ الـشُّـعَـاعَ عَـلَـى مَـتْـنِـهِ

فِـرِنْـدٌ بِـصَـفْـحَـةِ سَـيْـفٍ صَـدِ

• والبيتُ الوارد في ص ٢٢٤، وهو:

ولـمـجـده ظـل الـسـيـادة وارف

مـا أمـتـدّ ظـل فـي ريـاض الآسِ

البيت مكسور، وصوابه:

وَلِـمَـجْـدِهِ ظِـلُّ الـسِّـيَـادَةِ وَارِفٌ

مَـا امْـتَـدَّ ظِـلٌّ فِـي رِيَـاضِ الآسِ

• والبيتُ الوارد في ص ٢٤٨

إنّ يـقـل الـمـريـض ثـلـث مـالـي

لا نـــذل الـنـســاءِ والـرجـال

لم يضبط من حروفه إلا ما أدى إلى كسره، وهكذا كل الأبيات الشعرية في الكتاب لم تضبط، وصواب البيت هكذا:

إِنْ يَـقُـلِ الـمَـرِيـضُ ثُـلْـث مَـالـي

لِأَنْـــذَلِ الـنِّـسَـاءِ وَالـرِّجَـالِ

• والبيتُ الوارد في ص ٢٨١، وهو:

فـمـا يُـــرى مـــن زفـرتـي

دخـــــان الـمـرتـفـع

من مجزوء الرجز، والصواب، ١٥٤ أ

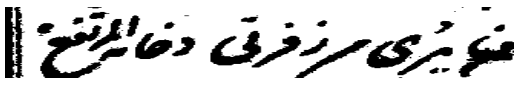

فَـمَـا يُـــرَى مِـــنْ زَفْـرَتِـي

دُخَـــانُـــهُ الـمُـرْتَـفِـعُ

٥- عَدَمُ مُراعاةِ بالتَّدْويرِ وَالتَّشْطِيرِ:

مِن المُسَلَّمِ بِهِ ضرورةُ الاهتمام بكتابةِ الشِّعرِ عَلَى الوَجْهِ الصَّحِيح، من حيث توزيعُ أحرفِ الكلمةِ الوَاحِدَةِ عَلَى شَطْرَي البيت وَفْقَ ضَوابطِ

التَّفعيلات، وَصُوَرِ البحور، وهذا يُسَمَّى بالتَّدوير، أي اشتراك الكلمة الواحدة في تفعيلة العَرُوض، والتفعيلة الأولى من الشَّطر الثَّاني، فلا بد من مراعاةِ كِتَابَةِ التَّدْوِيرِ عَلَى الوَجْهِ الصَّحِيح، لِصَوَابِ الإنشادِ الشِّعريّ، وأكثر من هذا مراعاة الدِّقَّة في توزيع الألفاظ وَفْق التَّفعيلات على شَطْرَي البيت، والالتزام التَّامّ بِعَدَدِ التَّفْعيلات في الأشطر وَفْقَ المعتمد في أوزانِ البُحورِ الشِّعْرِيَّة وَصُوَرها، وَسَوْف أُعالج بعض الشَّوَاهِدِ:

• البيت الوارد في ص ٥٣، وهو:

إن قلبي لكم لكالكبد الحرّا

وقلبي لغيركم كالقلوب

صواب كتابته هكذا:

إنَّ قَلْبِيْ لَكُمْ لَكَالْكَبِدِ الحَرْ

رَى وَقَلْبِيْ لِغَيْرِكُمْ كَالقُلُوب

• والبيت الوارد في ص ٩٤، وهو:

وابكِ عني فطالما كنت

من قبل أُعير الدموع للعشّاق

صواب كتابته هكذا:

وَابْكِ عَنِّي فَطَالَمَا كُنْتُ مِنْ قَبْـ

ـلُ أُعِيرُ الدُّمُوعَ لِلعُشَّاقِ

• والبيت الوارد في ص ٩٤، وهو:

بالله يا حادي القلوب

إذا رجعتَ مع السلامَهْ

صواب كتابته هكذا:

بِاللهِ يَا حَادِي القُلُو

بِ إِذَا رَجَعْتَ مَعَ السَّلَامَةْ

• والبيت الوارد في ص ١٠٦، وهو:

وجهه في نظري

كلّ صباحٍ وعشي

صواب كتابته هكذا:

وَجْهُهُ فِي نَظَرِي كُلْـ

ـلَ صَبَاحٍ وَعَشِيّ

• كتب النَّص التَّالي دون فصل صدور الأبيات عن أعجازها في ص ١٤٤ هكذا:

في الدهر قومٌ ملئت نفوسُهم من خبثِ

أجدُّ في فراق ما قد ألِفوا من رفثِ

اغسل رجلي فإنك نويت رفعَ الحدثِ

صواب كتابته هكذا:

فِي الدَّهْرِ قَوْمٌ مُلِئَتْ

نُفُوسُهُمْ مِنْ خَبَثِ

أَجِدُّ فِي فِرَاقِ مَا

قَدْ أَلِفُوا مِنْ رَفَثِ

أَغْسِلُ رِجْلَيَّ فَقَدْ

نَوَيْتُ رَفْعَ الحَدَثِ

• والبيت الوارد في ص ١٥٣، وهو:

فأنّى وكيف ومن أين

للدنوّ سَبيلُ إذا يُقْصَدُ

صواب كتابته هكذا:

فَأَنَّى وَكَيْفَ وَمِنْ أَيْنَ لِلدْ

دُنُوِّ سَبِيلٌ إِذَا يُقْصَدُ

• كتب النَّصُّ التالي في ص ١٨٧ هكذا

قال محمد رسول الله قولاً صادقا

تركتُ فيكم واعظين صامتاً وناطقا

الموت والقرآن كُنْ بصدق هذا واثقا

صواب كتابته هكذا:

قَـــالَ مُـــحَـــمَّـــدٌ رَسُـــو

لُ الـلـــهِ قَـــوْلًا صَـــادِقًـــا:

تَـــرَكْـــتُ فِـيـكُـم وَاعِـظَـيْـــ

نِ صَـــامِـــتًـــا وَنَـــاطِـــقًـــا

الـــمَـــوْتَ وَالـــقُـــرآنَ كُـــنْ

بِـــصِـــدْقِ هَـــذا وَاثِـــقًـــا

• والبيت الوارد في ص ١٩١، وهو:

إنـــي مـــن حـيـث الـجـسـوم

والـــرســـومُ والـــصـــورْ

صواب كتابته هكذا:

إِنِّـــيَ مِـــنْ حَـيْـثُ الـجُـسُـو

مُ وَالـــرُّسُـــومُ وَالـــصُّـــوَرْ

• والبيت الوارد في ص ١٩٤، وهو:

وهـل نـحـن إلاّ خـطـوطٌ وقَـعْـنَ

عـلـى نـقـطـةٍ وقْـعَ مُـسـتَـوفِـزِ

صواب كتابته هكذا:

وَهَـلْ نَـحْـنُ إِلَّا خُـطُـوطٌ وَقَـعْـ

ـنَ عَـلَـى نُـقْـطَـةٍ وَقْـعَ مُـستَـوفِـزِ

• والبيت الوارد في ص ٢٤٢، وهو:

ألـغـزت شـيـئًـا بـديـعًـا لـه

الـــقـــلـــوب تـــرف

صواب كتابته هكذا:

أَلْـــغَـــزْتَ شَـيْـئًـا بَـدِيـعًـا

لَـــهُ الـــقُـــلُـــوبُ تَـــرف

• كتب النَّص التَّالي دون فصل صدور الأبيات عن أعجازها في ص ٢٨٣ هكذا:

وقد علاني وعراني بعد حبي خَبَل

وكل من خاطبني قلت له قد رَحلوا

يقول من أبصرني وسوس هذا الرجل

صواب كتابة النَّص هكذا:

وَقَـــدْ عَـــلَانِـــي وَعَـــرَا

نِـــي بَـــعْـــدَ حُـــبِّـــي خَـــبَـــلُ

وَكُـــلُّ مَـــنْ خَـــاطَـــبَـــنِـــي

قُـــلْـــتُ لَـــهُ: قَـــدْ رَحَـــلُـــوا

يَـــقُـــولُ مَـــنْ أَبْـــصَـــرَنـــي:

وَسْـــوَسَ هَـــذَا الـــرَّجُـــلُ

• والبيت الوارد في ص ٢٩٣، وهو:

وعـلـيـه الـشـمـس قـد

ألـــقـــت شـعـاعًـا كـالـلـهـب

صواب كتابته هكذا:

وَعَـلْـيـهِ الـشَّـمْـسُ قَـدْ أَلْـ

ـقَـتْ شُـعَـاعًـا كَـالـلَّـهَـبِ

٤- عـدمُ الالتزامِ بِتَوزيعِ التَّفْعِيلات وَفْقَ صُوَرِ البُحُورِ:

لِكُلِّ بَحْرٍ وزنٌ خاصٌّ به يُعَدُّ مِفْتاحًا له يميِّزُه عن غيره، وله أيضًا صورٌ تَعتمد في تنَوُّعِها على عدَدِ التَّفعيلات وما يطرأ على تَفْعِيلَتي العروضِ

والضرب من تغييرات، وهذا مثالٌ على كتابةِ الأبيات دونَ مُراعاةِ صُوَرِ بعض البحورِ.

• والنَّصُّ الوارد في ص ١٤٥، وهو:

يا واهبًا غفرانَه لمن أعزّ شأنه
هبْ لفؤادي قوةً تزِدْ به إيمانَه
حتّى يقول دائمًا لمن يرى جثمانه
سبحانه سبحانه سبحانه

كذا ورد النص، ونسب إلى الرجز، وليس من صور الرجز ما يأتي الشطر الواحد فيه مشتملا على أربع تفعيلات، والصَّوَابُ أَنَّهُ مِنَ مجزوئه، ويلزم كتابته على هذا النحو:

يَا وَاهِبًا غُفْرَانَهُ
لِمَنْ أَعَزَّ شَأْنَهُ
هَبْ لِفُؤَادِيْ قُوَّةً
تَزِدْ بِهِ إِيمَانَهُ
حَتَّى يَقُولَ دَائِمًا
لِمَنْ يَرَى جُثْمَانَهُ
سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ
سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ

• والنَّصُّ الوارد في ص ١٩١، وهو:

إِنِّيَ مِنْ حَيْثُ الجُسُو
مِ وَالرُّسُومُ وَالصُّوَرْ
كَأَسْطُرٍ دَلَّتْ عَلَى
آي المَعَانِي وَالسُّوَرْ
وَهْيَ حُرُوفٌ مَا لَهَا
مَعنًى سِوَى عَيْنِ الأَثَرْ
لَوْ كُنْتَ رُوحًا لَمْ أَزَلْ
عَطَّلْتَ كُلَّ مُعْتَبَرْ
وَمَا عَرَفْتَ أَزْلًا
بِالعَقْلِ أَيْنَ المُسْتَقَرْ؟

الأبيات من مجزوء الرجز، والعروض فيها مجزوءة صحيحة "مستفعلن" إلا في البيت الأخير، فهي "متفعل". والأزْل: الضيق. ينظر تاج العروس ٤٤١/٢٧.

• والنَّصُّ الوارد في ص ١٩٦ هكذا:

يا سيدًا هو بفقه في الورَى يشتهر
أوضح لنا ما نجس لنجس يطهر

وأني أجبته بقولي:

هذا الذي سألت عنه هو فيما يظهر
نجس دبغٍ دابغٌ بهِ الإهاب يطهر

ويمكن الجواب عنه أيضا إذا لم يقيد النجس بنجس العين بمّا أشرت إليه في قولي:

إذ خلط ماء نجس بمثله فيطهر
إن قلتين بلغا ولم يكن تغير

النصّ من مجزوء الرَّجَز، وفيه اضطراب حاولت تصحيحه، ويلزم كتابته الرَّجَز على الصورة التَّالية:

يَا سَيِّدًا بِفِقْهِهِ
فِي الوَرَى مُشْتَهَرُ
أَوْضِحْ لَنَا مَا نَجِسٌ
بِنَجْسِهِ يُطَهَّرُ

وَأَنّي أَجَبْتُهُ بِقَولي:

هَذَا الَّذِي سَأَلْتَ عَنْ
هُ هُوَ فِيمَا يَظْهَرُ

نَـــجْـــسٌ بِـــدَبْـــغٍ دَابِـــغٍ
بِـــهِ الإِهَـــابُ يَـطْـهـرُ

ويمكن الجواب عنه أيضًا إذا لم يقيد النجس بنجس العين بما أشرت إليه في قولي:

أَوْ خَـلْـطُ مَـاءٍ نَـجِـسٍ
بِـمِـثْـلِـهِ فَـيَـطْـهُـرُ
إِنْ قُـلَّـتَـيْـنِ بُـلِّـغَـا
وَلَـمْ يَـكُـنْ تَـغَـيُّـرُ

وَقَدْ رَسَمَ المحقِّقُ الشِّعْرَ كَمَا وَجَدَهُ فِي الأَصْلِ المَخْطُوطِ، وَنَسْخ الأَصْلِ غَيْرُ مُتَّسِقٍ مَعَ قَوَاعِدِ عِلْمِ العَرُوضِ العربي:

• والنَّصُّ الوارد في ص ٢٠٨

إذا مـا تـصـدّى ظـالـم لـلأذى
فكن على ما تبدى منه أجر صابر

البيت مكسور، وهو من الطويل، ولم يراع أساس توزيع التفعيلات على شطري البيت، وصواب رسمه واستقامة وزنه أن يكون هكذا:

إِذَا مَـا تَـصَـدَّى ظَـالِـمٌ لِـلأَذَى فَكُنْ
عَلَى مَـا تَـبَـدَّى مِـنْـهُ أَصْـبَـرَ صَابِرِ

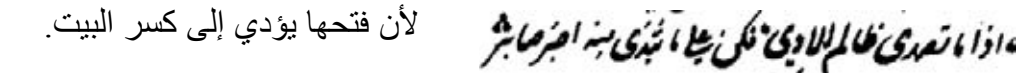

٥- تَرْكُ ضَبْطِ مَا يَلْزَمُ ضَبْطُهُ:

من تمام التَّحقيق العلميّ مراعاةُ ضبطِ ما يلزم ضبطُه لإنشادِ الأبياتِ مُستقيمة عَرُوضيًّا، فهناك ضَرُوراتٌ شِعْرِيَّةٌ معروفة، منها المقبولة، ومن القبيحة، ويتَعَلَّق بَعضُها بضبطِ الألفاظ مثل تسكين المتحرك، والعكس، وهناك أيضًا ياء المتكلم يحتاج الشَّاعر أحيانًا إلى تحريكها بالفَتْحِ ليستقيمَ له الوزن، فهذه لا بدَّ من وضعِ الضَّبط عليها لينشد القارئ الشِّعرَ على وضعِه المستقيم، ولا ريب في أن ضبط ما يُشْكَلُ عَرُوضيًّا أمام القارئ يخدم النَّص والمتلقي معًا، وسأُورِدُ الأمثلة لبعض الحروف التي كان يلزمُ ضبطُها:

• البيت الوارد في ص ٢٩، وهو:

وَدَّعْـتُ قَـلْـبِـي يَـوْمَ وَدَّعْـتُـهُـمْ
وَقُـلْـتُ لِـلـنَّـوْمِ: انْـصَـرِفْ رَاشِـدًا

من الأفضل وضع سكون على ميم الجمع في "ودعتهمْ"، احترازًا من إشباعها، فيختل الوزن.

• والبيت الوارد في ص ٣٠، وهو:

مَـوْقِـفٌ لِـلْـوَدَاعِ يُـنْـثَـرُ فِـيـهِ
دُرَرٌ نُـظِّـمَـتْ مِـنَ الآمَـاقِ

يلزم إظهار تشديد حرف الظاء في الضبط لاستقامة الوزن.

• والبيت الوارد في ص ٥٣ وهو:

الـمَـاءُ فَـوْقَ كِـتْـفِـهَـا
وَهْـيَ عَـلَـيْـهِ دَائِـرَةْ

يلزم وضع سكون على هاء الضمير "هي"؛ لأن فتحها يؤدي إلى كسر البيت.

• والبيت الوارد في ص ٦٤ وهو:

فَـضَـائِـلٌ مِـثْـلُ الـحَـصَـا كَـثِـيـرَةٌ
وَخَـاطِـرٌ يَـغْـرِفُ مِـنْ بَـحْـرِ

وردت كلمة "فضائل" في الكتاب غير

مضبوطة، ويلزم ضبطها، وهي ممنوعة من الصرف، وضبطها بالمنع من الصرف مخل بالوزن؛ لذا يلزم ضبطها مصروفة "فضائلٌ" لاستقامة وزن البيت. وهو من الرجز.

• والبيت الوارد في ص ١٨٠ وهو:

فَقُلْتُ: حَسْبِي خِدْمَةُ المُصْطَفَى

وَحُبُّهُ، فَالمَرْءُ مَعْ مَنْ أَحَبْ

يلزم وضع السكون على العين في "مع" احترازًا من نطقها مفتوحة فيختل وزن البيت.

• والبيت الوارد في ص ٢٢٠ وهو:

شَوْقٌ وَحُزْنٌ وَاغْتِرَابٌ مَعْ ضَنى

جَسَدٍ وَبُعْدِ الدَّارِ وَالإفْلاَسِ

يلزم وضع السكون على العين في "مع" احترازًا من نطقها مفتوحة فيختل وزن البيت.

• والبيت الوارد في ص ٢٦٤ وهو:

حِبَّ مَوْلاَكَ وَالَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ

تَبْقَ مَعْهَمْ فَالمَرْءُ مَعْ مَنْ أَحَبَّا

يلزم وضع السكون على العين في "معهم"، و "مع" احترازًا من نطقها مفتوحة فيختل وزن البيت.

• والبيت الوارد في ص ٣٠٧ وهو:

وَمَا زِلْتُ فِي الأَخْبَارِ أَسْمَعُ عَنْكُمُ

حَدِيثًا كَنَشْرِ المِسْكِ إِذْ يَتَضَوَّعُ

لا بد من إشباع ميم الجمع ووضع ضمة عليها في "عنكم" لاستقامة إنشاد البيت.

• والبيت الوارد في ص ٣١٤ وهو:

لَا تَسْأَلُونِيَ إِلَّا عَنْ أَوَائِلِهِ

فَإِنَّ آخِرَ لَيْلِيْ مَا لَهُ خَبَرُ

يلزم هنا وضع فتحة على ياء المتكلم في "تسألونيَ" لإتمام الوزن، وعدم وضعها يؤدي إلى نشاز في وزن البيت، وهو من البسيط.

٦- الخَلَلُ فِي تَنْسِيق بَعْضِ الأَبْيَاتِ فِي الطَّبْعِ:

حَدَثَ خَلَلٌ في كِتَابَةِ البَيْتَيْنِ الأَخِيرينِ مِن المَقْطُوعَةِ الآتِيَةِ، فَحَدَثَ اضْطِرَابٌ فِي نِظَامِ القَافِيَةِ، وَالمقْطُوعة واردة في الكتاب ص ٩٢، وهي:

لِلَّهِ دُولَابٌ يَفِيضُ بِسَلْسَلٍ

فِي رَوْضَةٍ قَدْ أَيْنَعَتْ أَفْنَانَا

قَد طارَحَتْهُ بِهَا الحَمَائِمُ شَجْوَها

فَيُجِيبُها وَيُرَجِّعُ الأَلْحَانَا

فَكَأَنَّهُ دَنِفٌ يَدُورُ بِمَعهَدٍ

ضَاقَتْ مَجَارِي طَرْفِهِ عَنْ دَمْعِهِ

يَبْكِي وَيَسأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَا

فَتَفَتَّحَتْ أَضْلاَعُهُ أَجْفَانَا

وصواب كتابتها:

لِلَّهِ دُولَابٌ يَفِيضُ بِسَلْسَلٍ

فِي رَوْضَةٍ قَدْ أَيْنَعَتْ أَفْنَانَا

قَدْ طَارَحَتْهُ بِهَا الحَمَائِمُ شَجْوَهَا

فَيُجِيبُها وَيُرَجِّعُ الأَلْحَانَا

فَكَأَنَّهُ دَنِفٌ يَدُورُ بِمَعهَدٍ

يَبكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَا

ضَاقَتْ مَجَارِي طَرْفِهِ عَنْ دَمْعِهِ

فَتَفَتَّحَتْ أَضْلاَعُهُ أَجْفَانَا

٧- عد الشعر نثرًا والعكس.

• من ذلك النص المكتوب في ص ٥٢ على هذا النحو:

"من قسي ونبال، **وفارقت من فارقت لا عن ملالة، وودعت من ودعت لا عن تعوض،** وصدروا من الوداع ووردت، واجتمعوا في تلك البقاع وانفردت"

في هذا النص شعر من الطويل، ينبغي أن يفصل عن النثر، ويكتب على شطرين هكذا:

وَفَارَقْتُ مَنْ فَارَقْتُ لَا عَنْ مَلَالَةٍ

وَوَدَّعْتُ مَنْ وَدَّعْتُ لَا عَنْ تَعَوُّضِ

• والنص المكتوب في ص ١٢٤ على هذا النحو:

"ولا يناسبه، فما كل صهباء خمرة، ولا كل حمراء جمرة، ولا كل سوداء تمرة".

في هذا النص شعر من المتقارب، والصواب أن يكتب الشعر هكذا:

فَمَا كُلُّ صَهْبَاءَ خَمْرَةْ

وَلَا كُلُّ حَمْرَاءَ جَمْرَةْ

وَلَا كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةْ

• والنص الوارد في ص ٢٠١، والمكتوب على هذا النَّحو:

"**حسب البليغ العجز عن أوصافه لو جاء بالزهر الزواهر تزهر، أو حاول الشعرى لدى أشعاره قالت علاه إنه لا يشعر،** لا زالت فوائده غررًا في جبهات الطروس، وفرائده درًرا تتقلد".

كتب هذا النص كما يكتب النثر، وهو شعر من البحر الكامل، والصواب أن يكتب هكذا:

حَسْبُ البَلِيغَ العَجْزُ عَنْ أَوْصَافِهِ

لَوْ جَاءَ بِالزّهْرِ الزَّوَاهِرِ تَزْهَرُ

أَوْ حَاوَلَ الشِّعْرَى لَدَى أَشْعَارِهِ

قَالَتْ عُلاَهُ: إِنَّهُ لَا يَشْعُرُ

• أما اعتبار النثر شعرًا فمثاله البيت الأول من النص الوارد في ص ٢٦١، فهو نثر، وليس شعرا، أما البيت الثاني فهو شعر من الطويل:

وَأَنْتَسِمُ نَوَاسِمَ تِلْكَ المَعَالِمِ

فَيَفُوحُ لِي كَالعَنْبَرِ المُتَنَفّسِ

وَنَمْشِي حُفَاةً فِي ذُرَاهَا تَأَدُّبًا

نَرَى أَنَّنَا نَمْشِي بِوَادٍ مُقَدَّسِ

• ومثاله أيضًا البيت الأول من المقطوعة المذكورة في ص ٩٢: والمنسوبة للشريف الرَّضيّ الموسويّ:

وَالدَّمْعُ تَنْحَدِرُ مِنَ الآمَاقِ

وَتَفُورُ مِنْ جَوَانِبِ الأَحْدَاقِ

أَيُّهَا الرَّائِحُ المُجِدُّ تَحَمَّل

حَاجَةً لِلمُتَيَّمِ المُشْتَاقِ

وَاقرِ عَنِّي السَّلامَ أَهْلَ المُصَلَّى

وَبَلاَغُ السَّلَامِ بَعْضُ التَّلاَقِي

وَإِذَا مَا مَرَرْتَ بِالخِيفِ فَاشْهَدْ

أَنَّ قَلْبِي إِلَيْهِ بِالأَشْوَاقِ

فالبيت الأول هنا نثرٌ، وليس شعرًا، وقد تم

تخريج النص كاملا على ديوان الشريف الرضي ٧٩/٢ مع أن البيت الأول ليس فيه، ولولا التساهل في التخريج ما وقع مثل هذا. أضف إلى هذا إهمال تثبيت الروايات، فلبعض ألفاظ هذا النص روايات أخرى في الديوان لم تذكر في الهامش.

الخاتمة:

نخلصُ من الصَّفحات السَّابقة إلى ما يأتي:

١- تَكْثُرُ الأَخْطَاءُ العَرُوضيَّةُ فِي تَحْقِيقِ المَصَادِرِ التَّارِيخيَّةِ كَمَا رَأَينَا في أحدِهَا، وقدْ أَشَارَ إلى هَذِه الظَّاهِرَةِ أَيضًا الأستاذ (هلال ناجي) في مقالِه الموسومِ بـ "تحقيق النُّصوص إلى أين؟ المؤرِّخون المعَاصِرُون وتحقيقُ الشِّعر"(٣)، ولا شَكَّ في أنَّ كثرةَ مثلِ هذه الأخطاءِ تَحُطُّ مِن قِيمَةِ النَّصِّ الشِّعْرِيّ، وتَذْهَبُ برُوحِهِ وأبعادِ تَأثيرِهِ.

٢- غِيابُ النَّقْدِ العروضِيّ، والمتابعَةِ النَّقديَّة ممَّن يُجيدون هذا الأمرَ لِمَا يُنْشَر يسَاعدُ على التَّساهُلِ في العِنَايَةِ العَرُوضيّة في إخراج النُّصوص الشِّعريَّة.

٣- للأَخْطَاءِ الطِّبَاعِيَّة دَوْرٌ كَبيرٌ في انتشارِ مثلِ هذه الأخطاءِ، خصوصًا في سقوطِ حُروفٍ أو كلماتٍ من البيتِ الشِّعري، أَو أَخْطَاءِ الضَّبْطِ.

٤- يَنبغِي ممَّن لا يَعرفُ أسسَ عِلْمَي العَروضِ وَالقَافِيةِ، ويريدُ أن يَتَصَدَّى لِتَحْقِيقِ المَصَادِرِ التَّاريخيَّة المشتملة على نصوصٍ شِعريَّةٍ أن يَعْرِضَ هذه النُّصوصَ عَلَى أهلِ الاختصاصِ عَلَى غِرار ماَ يَفْعَلُ بَعْضُ كبارِ المحقِّقِينَ، قال الأستاذ (هلال ناجي): "سألتُ عَلَمَينِ من كبارِ محقِّقِي النُّصوصِ التَّاريخيَّة مِنْ أَصْدِقَائِي عَن مَوْقِفِهِمَا مِن تحقيقِ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ، فقالَ المرحوم د. صالح أحمد العليّ، رئيس المجمع العلميّ العراقيّ: إنَّه لا يقربُ الشِّعرَ، ولا علم له بالعَروضِ، وَقال الثَّاني، وهو الدكتور بَشَّار عوَّاد معروف: إنَّه لا يَعْرِفُ هذا العِلْمَ لكنه اعتَادَ أن يعرضَ النُّصوصَ الشِّعْرِيَّة التي تَعْتَرِضُه في تحقيقاتِهِ عَلى قَريبِهِ الحاج وليد الأعظمي الشَّاعِر فَيُصَوِّبُهَا لَهُ"(٤).

الهوامش

(١) تنظر مجلة البيان الكويتية ص ٥٧، ع ٥٨٨، يوليو ٢٠١٩م، مقال الأستاذ يوسف السناري الموسوم بـ"وحشيات أبي تمام من النسخ إلى النشر".

(٢) كتاب المطالع البدرية في المنازل الرومية ص ١٠.

(٣) مجلة العرب ص ص ٢٤٣ – ٢٥٧، ج ٥، ٦، مج ٤٥، ٢٠٠٩ م.

(٤) مجلة العرب ص ص ٢٤٣، ج ٥، ٦، مج ٤٥، ٢٠٠٩ م

المصـادر

١- **تاج العروس**: للمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق: نخبة من المحققين، سلسلة التراث العربي، الكويت، نشر على سنوات متعددة.

٢- **تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق**: لداود الأنطاكي (ت ١٠٠٨ هـ)، تحقيق: محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٩٣ م.

٣- **خزانة الأدب وغاية الأرب**، ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ)، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤ م.

٤- **ديوان ابن حمديس الصقلي** (ت ٥٢٧ هـ)، صححه وقدم له: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

٥- **ديوان ابن خفاجة الأندلسي** (ت ٥٣٣ هـ)، تحقيق: مصطفى غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ١٩٦٠ م.

٦- **ديوان ابن رشيق القيرواني** (ت ٤٦٣ هـ)، جمع وترتيب: عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة، بيروت، د. ت.

٧- **ديوان السَّريّ الرفّاء** (ت ٣٦٢ هـ)، تحقيق: حبيب حسين الحسني، دار الرشيد، العراق، ١٩٨١ م.

٨- **ديوان الشريف الرَّضيّ** (ت ٤٠٦ هـ): صححه وقدم له: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤ م.

٩- **ديوان ابن نباتة المصري** (٧٦٨ هـ) بعناية: محمد القلقيلي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ٢٠٠٧م.

١٠- **مجلة البيان الكويتية** ع ٥٨٨، يوليو ٢٠١٩م، مقال الأستاذ يوسف السناري، الموسوم بـ "وحشيات أبي تمام من النسخ إلى النشر".

١١- **مجلة العرب**: ج ٥، ٦، مج ٤٥، ٢٠٠٩ م مقال الأستاذ هلال ناجي الموسوم بـ" تحقيق النصوص إلى أين ؟ المؤرخون المعاصرون وتحقيق الشعر.

١٢- **المطالع البدرية في المنازل الرومية**، بدر الدين الغزي ، محمد بن محمد الدمشقي، (ت ٩٨٤ هـ)، حققها وقدم لها: المهدي عيد الرواضيّة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط ١، ٢٠٠٤م ومخطوطه نسخة مكتبة فاضل أحمد، المحفوظة في مكتبة كوبريلي، رقم ١٣٩٠.

تاريخ استعمال المواد الثمينة في تزيين المباني الدينية

– الكعبة المشرفة أنموذجًا –

أ. م. د. مها الشعار

معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب – سوريا

أحب الإنسان الأحجار الكريمة والمعادن الثمينة منذ أن اكتشفها، إذ جذبه بريقها وطبيعتها التي تبقى ثابتة لا تتغير لآلاف السنين، فبدت خالدة في عالم تذبل فيه الكائنات الحية وتموت؛ لذا رغب باقتنائها لقناعته بدورها في العلاج النفسي والجسدي وعلاقتها بمصير حامليها، وكان لابد له من تعلم تقنيات تصنيعها رغم صعوبتها لإظهار أجمل صفاتها؛ لذا أصبحت الهدايا المصنوعة من هذه المواد من أغلى الهدايا التي يمكن أن يقدمها الإنسان لمن يحبه، وكان لدور العبادة نصيب كبير من هذا الحب، فعُدَّ الذهب في الديانة المصرية القديمة معدنًا سماويًا مقدسًا ذو تداعيات سحرية قوية، وباتت الأحجار الثمينة مثل الفيروز والزبرجد واللؤلؤ تزين معابد المصريين القدماء وقبور موتاهم(٢)، وارتبط الذهب بعبادة إله السماء الذي عبده الكنعانيين باسم ملكة السماوات أو السيدة الذهبية(٣)، كما كشفت التنقيبات الأثرية في حضارات بلاد الرافدين عن تطور تقنيات التصنيع التي ظهرت في التخريم وتطعيم الأحجار الكريمة والمينا(٤)، وفي الإسلام ورد حديث للرسول الكريم ﷺ يصف فيه بناء الجنة: "لَبِنَةٌ ذهبٍ ولبنةٌ فضةٍ، ومِلاَطُها المسكُ، وحَصباؤها اللؤلؤُ والياقوتُ، وترابَها الزَعفرانُ، مَنْ يدخلُها ينعمُ ولا يبأسُ، ويخلُدُ ولا يموتُ، لا تَبْلَى ثيابه ولا يَفْنى شبابُه"(٥)؛ لذا كان إكساء وتزيين الكعبة المشرفة – بيت الله الحرام – بهذه المواد الثمينة من أكثر الأعمال تحببًا إلى قلوب الخلفاء والأمراء تقربًا لله وابتغاء لمرضاته.

١-أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه يخطو خطوة جديدة في مجال تأريخ علم مواد البناء الذي يشمل جميع المواد الداخلة في جميع مراحل بناء منشأة ما، ابتداء من وضع الأساسات وصولًا إلى آخر مرحلة وهي مرحلة الإكساء الداخلي والخارجي للمنشأة وتزينها، وهذه المرحلة من المراحل الهامة جدًا؛ لأن الإكساء المتقن الذي استعمل فيه

مواد ذات نوعية ممتازة وغالية الثمن يعبر عن القيمة العالية للمنشأة (ماديًا ومهنيًا).

إن استعمال المواد الثمينة كمواد لإكساء وتزيين المباني عامة، والدينية خاصة، يدل على الرقي العلمي والعملي التقني وتقدمه في الحضارة العربية /الإسلامية، ويعطينا فكرة عن الإسهامات العملية التي قدمها حرفيو هذه الحضارة العريقة في تطوير جوانب مهمة من العمارة الدينية العربية.

لقد كتب العديد من المؤرخين عن تاريخ الكعبة الشريفة ومكانتها المقدسة إلا أننا لم نعثر وفق المصادر والمراجع المتوفرة بين أيدينا على بحث سابق اختص بذكر المواد الثمينة التي زينت بها الكعبة وتقنية تطويعها، وإنما كان يتم ذكر ذلك بشكل عابر أثناء الحديث عن أحداث معينة.

٢-هدف البحث:

دراسة مرحلة هامة من مراحل تطور صناعة المعادن الثمينة ورقيها عند الحرفي العربي الذي طوع معارفه العملية المتراكمة المكتسبة من أسلافه، وأضاف عليها من خبرته العملية في استخدام المواد الثمينة كمواد لإكساء وتزيين المباني الدينية، وقد تم اختيار الكعبة المشرفة كأنموذج للدراسة كونها أول وأهم مبنى ديني عند المسلمين كافة، مما أسهم في توفير المعلومات الكافية التي تصف التجديدات والتغيرات التي تمت عليها عبر العصور، فأمكن تتبع التطور التقني المتعلق بإكسائها وتزينيها بالمواد الثمينة.

٢-تاريخ تطور تعدين المعادن الثمينة:

استعمل الإنسان قديمًا المواد الطبيعية المحيطة به لبناء منشآته المتعددة وإكسائها وتزينها، ويُعد الحجر والطين والخشب من أهم المواد التي استعملها، إلا أنه قام في بعض الأحيان باستخدام بعض المواد النادرة والثمينة ذات الأصول المختلفة (عضوية-معدنية-...) في الإكساء والتزيين الداخلي والخارجي لتميز المبنى وعلو مكانته، ويعد الذهب والفضة من أكثر المعادن المستعملة لهذا الهدف منذ أقدم العصور.

كان الذهب والفضة من أوائل المعادن التي قام العرب القدماء بتعدينها واستخلاصها من الشوائب وتصنيعها بأشكال متنوعة، وقد ازداد الإقبال على الصناعة بمختلف أنواعها بعد أن شجع الإسلام على العمل ورفع من قدر العمال، وقد شهدت الصياغة نشاطًا كبيرًا في العهود الإسلامية اللاحقة نتيجة الفتوحات الواسعة وكثرة الغنائم والأموال، وكان إطلاع العاملين في مجال الصياغة على ما قدمته الحضارات الأخرى في هذا المجال حافزًا لتقديم مصنوعات جديدة مبتكرة تحمل الطابع الإسلامي من نقوش وزخارف واستعمالها في مجالات أوسع، فانتعشت مهنة الصياغة في العصر العباسي حتى أصبح لصناع العراق شهرة واسعة في كثير من أقاليم الدولة العباسية[٦]، وكان الذهب والفضة يستعملان لتزيين القاعات أحيانًا كما صنعت محاريب للصلاة من الذهب، واستعمل الذهب كمادة لإكساء وتزيين السقوف والجدران، وقد وصف أبو الوفاء علي بن عقيل شيخ الحنابلة في وقته (ت٥١٣هـ/١١٣٥م) سوق الصاغة

على عهده بأنه أحسن ما شاهد أبنيةٍ من حيث علوها وجمال منظرها حيث زينت واجهات السوق بأساطين ساج وعليها غرف مشرفة على السوق[٧].

٢-١-تصنيع الذهب والفضة:

تمر المعادن الثمينة بعدة مراحل ابتداء من استخراجها من الطبيعة حتى وصولها إلى الشكل المُصنع النهائي، سندرس هذه المراحل بشكل مختصر لتوضيح التقنيات التي كان العمال والصناع يقومون بها لتصنيع وصياغة هذه المعادن:

٣-١-١- تعدين وتنقية الذهب:

أشار نص قديم عثر عليه في مدينة أور في بلاد الرافدين يعود تاريخه إلى الألف الثاني ق.م إلى استخلاص الذهب من الصخر المطحون[٨].

يوجد أغلب الذهب في الطبيعة شبه خالص غير أنه لا يوجد نقيا أبدا، بل يحتوي على نسبة صغيرة من الفضة أو من النحاس أو من الحديد، ويتواجد إما في الحصى والرمال الطفيلية الناتجة عن تفتت الصخور المحتوية على الذهب ثم كسحتها الأمطار إلى مجاري المياه التي أصبح معظمها جافا في الوقت الحاضر.

حبيبات من الذهب المستخرج من المناجم

وكـان يتم استخلاص الذهب من شوائبه، بطريقتين، وهما:

الطريقة الأولى: وهي المُعتمدة في استخلاص الذهب من الحصى والرمال الطفيلية، وتبدأ بغسل حبيبات الرمال المجروش بالماء الجاري بعد أخذ كمية من تلك الخامات ووضعها في آنية أو وعاء، فيحمل الماء الجاري المواد الخفيفة تاركًا حبيبات الذهب الثقيلة في الوعاء، فتُجمع تلك الحبيبات في أواني خاصة، ثم تُسخن على النار لدرجة الانصهار فتكون كتل صغيرة من الذهب.

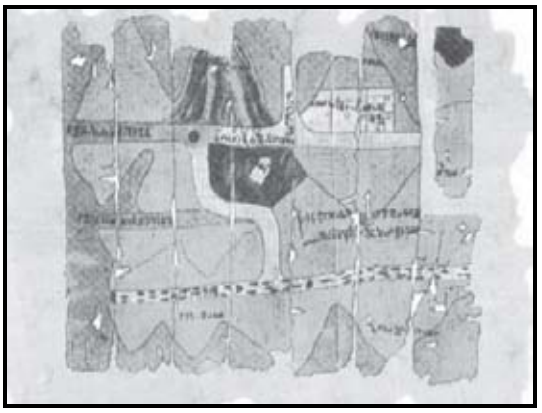

خريطة منجم قديم للذهب في مصر

الطريقة الثانية: وهي المُعتمدة في استخلاص الذهب من عروق الكوارتز، فكان الصخر الذي يمثل عروق الكوارتز يُشقق ويُكسر بواسطة النار، ثم يُحطم بالمطارق والمعاول، ثم تُؤخذ الصخرة الناتجة خـارج المنجم، فتُجرش في أهوان من الصخر حتى تتكسر إلى قطع صغيرة الحجم بحجم الحمصة، ثم تُسحق إلى مسحوق ناعم بواسطة طواحين يدوية (الرحى)، وبعد ذلك يُغسل المسحوق بالماء الجاري على سطح منحدر أملس لفصل الذهب، ثم يُصهر في أواني خاصة، فيحصل على قطع صغيرة من الذهب[٩].

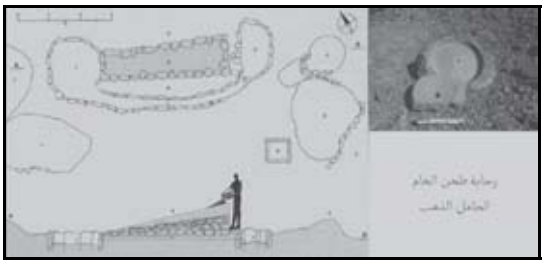

صورة توضح طريقة استخلاص الذهب من الصخر المطحون بالماء على مائدة مائلة

تأتي بعدها عملية **التنقية** التي كانت تجرى على مرحلتين:

المرحلة الأولى: وهي "التحسين بالتسخين"، ويُقصد بها عملية المعالجة الأولى في الفرن (للتخلص من الشوائب المتسامية أو المتطايرة والتي تتواجد في خامات الذهب بنسبة متفاوتة قد تصل إلى حوالي ٣٥٪)، أما **المرحلة الثانية**: فهي عملية الصهر أو الصب، وهي العملية الثانية في الفرن (الغرض منها التخلص من الشوائب الأخرى غير المتطايرة، إذ يتم انصهار الذهب بعد إضافة الملح ومواد عضوية مختزلة كفحم الخشب إليه داخل الفرن ويتم نفاذ الشوائب الأخرى إلى داخل مسامات البوتقة)[١٠].

٣-١-٢- تعدين وتنقية الفضة:

توجد الفضة في الطبيعة فلزًا خالصًا وأحياناً غير خالص: فالفلز الخالص يكون نقيًا خاليًا من الشوائب، ويوجد ذلك الفلز بكميات ضئيلة جدا، ويكون على شكل بلورات إبرية أو سلكية أو شجرية، ونادرًا على شكل كتل صغيرة أو صفائح رقيقة صغيرة الحجم، كما توجد الفضة أحيانًا مختلطة بالذهب الموجود في الطبيعة وبنسب مختلفة فتكون ما يعرف باسم الذهب الفضي، أما الفلز غير الخالص فيكون على نوعين، هما: كبرتيت الفضة، وكلوريد الفضة، كما توجد الفضة بنسب صغيرة مع كل من الرصاص والذهب والنيكل[١١].

تدل بعض النصوص السومرية بأن الفضة المخلوطة بالرصاص كانت تُنقى عن طريق غسل الخامات بالماء، مما يعني أن العراقيين القدماء عرفوا إحدى طرق التعدين المائية المستخدمة حاليًا بكثرة في إنتاج عدد كبير من المعادن كالنحاس والألمنيوم والذهب والرصاص والخارصين والنيكل وغيرها، المرحلة الأساسية في التعدين المائي هي عملية الخُلْب[١٢] باستخدام الماء، وعملية الخلب نوعان: الأولى هي الخلب الموقعي حيث تخلب الخامات في المنجم، والثانية هي عملية خلب الأكوام، وفيها يتم تجميع الخام المتكون من قطع صغيرة بهيئة أكوام على سطوح من الطين وذات ثقوب، ثم ترش الأكوام بالمادة المذيبة، وبعدها تُرسل خامات الفضة المركزة للتنقية[١٣].

أما عملية **التنقية** فقد كشفت بعض الرقم أو الألواح الطينية عن تنقية الفضة بالصهر بعملية البوتقة التي كانت تعتمد على اختلاف درجات الحرارة التي يتعرض لها فلز الفضة، ففي البداية توضع البوتقة في فرن درجة حرارته منخفضة، مما يؤدي إلى تطاير بعض أوكسيد الرصاص (وهو مادة متسامية) من البوتقة، ويتم التخلص منه بفتح باب الفرن بين الحين والآخر، ثم ترفع درجة حرارة الفرن فتتم عملية صهر الشوائب المعدنية الأخرى، ولا ينبغي التخلص من كل أكسيد الرصاص؛ لأن الباقي منه يبقى ليمتص أكاسيد المعادن الأخرى معه في مسامات البوتقة[١٤].

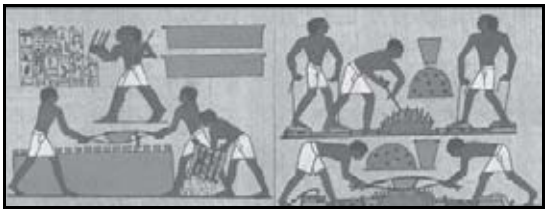

صورة طريقة صهر الخامات المعدنية واستخلاصها

ومن أهم **الأدوات المستعملة** في تعدين فلزات المعادن الثمينة:

أ-الأوانـي والأوعية: المستخدمة لأغراض التسخين والخزن، وكانت تصنع من الطين، أو الخشب، أو الأحجار القاسية، أو المعادن.

ب-المطاحن والمدقات: كانت الهاونات الحجرية تستخدم لطحن الـخـامـات، وكـان هناك مطاحن تدار باليد وأخرى تدار بواسطة الحيوانات.

ج-المصافي والمرشحات: عُرفت المصافي الخزفية في العصور القديمة، ولأغراض الترشيح كانت المصفاة تُغطى بالصوف أو الشعر، كما استخدمت أوعية الطين الفخارية التي ينفذ منها السائل لأغراض الترشيح أيضًا.

د-البواتق الحرارية: كانت بواتق التسخين تصنع من الطين المفخور أو المعادن.

هـ-الأفران والوقود: استخدمت أنواع عديدة من والمواقد والأفران، منها ما يمكن حمله ونقله بسهولة، ومنها ما يشبه التنور المعروف في الوقت الحاضر، ولكنه يحتوي على ثقوب عديدة لمرور تيار الهواء وفتحة في الأسفل لإدخال الوقود، ومن الأجهزة المرافقة للأفران المنفاخ المصنوع من جلود الحيوانات، إضافة إلى قصبة المنفاخ لتوجيه الهواء، أما الوقود فكان الفحم النباتي الذي يستحصل من الأشجار[١٥].

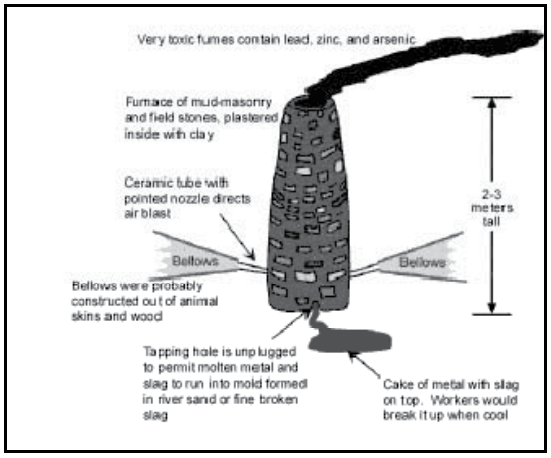

فرن لصهر المعادن يعود لـ٤٠٠ق.م

٣-١-٣- صياغة الذهب والفضة:

ترافق ظهور حرفة الصياغة مع اكتشاف المعادن الثمينة، والصائغ هو من يعمل في الذهب والفضة، ويغيره من صفة إلى صفة على حسب رغبة الطالب، وصاحب هذه الصنعة مستعد لكافة ما يلزم لصنعته من مكاوي وبوتقة ومنفاخ وفراشي وما يلزم لأجل لحام الفضة والذهب[١٦]، إذ تحول المعادن الثمينة على يديه إلى قطع من الحلي والمشغولات، وقد يضيف الصائغ إلى تلك المعادن قطعًا من مواد أخرى لزخرفتها مثل إضافة الأحجار الثمينة كالعقيق والياقوت والزمرد واللؤلؤ وأحيانا الزجاج إلى تلك المشغولات الذهبية[١٧].

ومن الأعمال المعروفة ضمن مراحل إنجاز صياغة الذهب هو عملية النفخ الذي يتم بواسطة قصبة خاصة لرفع درجة حرارة النار وتليين المعدن قبل تقطيعه وشغله، وقد ورد في أحد النصوص البابلية أن الملك حمورابي قد أصد ر أوامره لأحد حكامه ليرسل وبسرعة الأخشاب اللازمة لتمكين الصاغة من إنجاز أعمالهم وذلك لعدم وجود ما يكفيهم منه[١٨].

ومن أهم **الأدوات المستعملة** في صياغة المعادن الثمينة :

١- الحماليج: وهي المنافيخ وكان تستخدم في إيقاد النار واستمرار لهبها كي يتمكن الصائغ من صهر وتشكيل المعادن أو جعلها لينة فيسهل تشكيلها.

٢- الأتون: وهو الفرن وقد استخدم في إذابة المعادن لصبها إلي الشكل المطلوب قالبا، إذ كان السائل يسيل من فتحة في جانب الفرن بينما يخرج الدخان من فتحة تكون في نهاية موقد النار، كما تقوم هذه المدخنة بتهوية الموقد في الوقت نفسه.

٣- الجفنة: وهو الوعاء الذي يصهر فيه المعدن المراد صهره وتكون الجفنة في الغالب من المعدن وخاصة المعادن التي تكون درجة انصهارها عالية بدرجة كبيرة في الغالب أعلى من درجة انصهار معدني الذهب والفضة.

صورة لجفنة صهر لمعادن الثمينة

٤- الماشة: وهي ماسكة من الحديد يمسك بها الوعاء أو الجفنة الذي يحتوي على المعدن المنصهر لصبه في القالب لتشكيله[١٩].

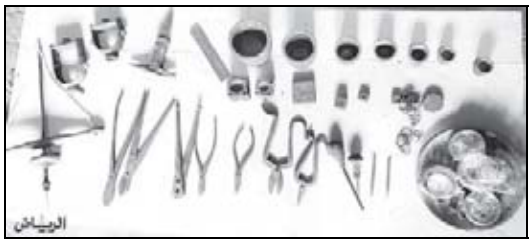

صورة للأدوات التي كان الصائغ يستخدمها قديما في صياغة المعادن الثمينة

٢-٢-تاريخ إكساء وتزيين الكعبة المشرفة:

الكعبة المشرفة هي أقدم بيت للعبادة وجد على وجه الأرض، ومازال موجودًا حتى وقتنا الحاضر، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[٢٠]، ولقدسية الكعبة وأهميتها عند الملايين من المسلمين انصب اهتمام الحكام على تجديد بنائها وصيانتها وكسوتها على مر العصور التاريخية.

والثابت أن أول بناء للكعبة ذُكر في القرآن الكريم هو بناء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[٢١]، ثم تتالى بناؤها عدة مرات في العصور المتتالية نتيجة ما تعرضت له من تشققات وانهيارات، فظهرت بعض التجديدات والتغيرات على بعض أجزائها، وسنناقش في بحثنا هذا الأجزاء المجددة التي استعملت فيها المواد الثمينة في العصور الإسلامية التاريخية.

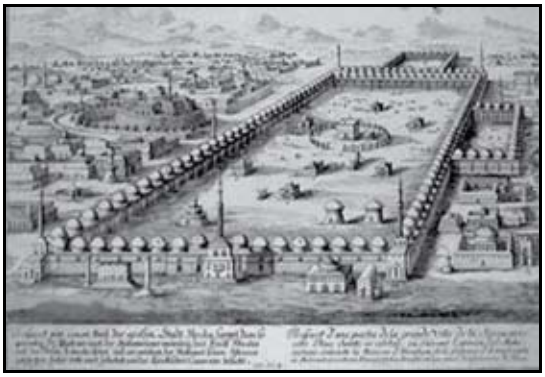

خريطة لمكة المكرمة والكعبة المشرفة تعود لعام ١٧٢١م

٣-٢-١- باب الكعبة:

أولًا- حتى نهاية العهد الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦٢-٧٥٠م):

ذكر المسعودي (٢٨٣-٣٤٦هـ/ ٨٩٦-٩٥٧م) عندما تحدث عن أول بناء للكعبة -البيت الحرام- على يد سيدنا إبراهيم عليه السلام فقال: "وجعل له بابًا، ولم يسقف"[٢٢]، إلا أنه لم يذكر المادة التي صُنع منها الباب، وحسب ما تذكر المصادر إن أول من زين الكعبة بالذهب هو عبد المطلب بن هاشم، فأثناء قيامه بالحفر بحثًا عن بئر زمزم التي اختفت لفترة من الزمن تحت الرمال، وجد كنزًا خبأه بعض من سكن مكة قديمًا "حفر عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بئر زمزم، وكانت مطوية، فاستخرج منها غزالتي ذهب عليهما الدر والجوهر، وغير ذلك من الحلي، وسبعة أسياف قلعية، وسبعة أدرع سوابغ، فضرب من الأسياف بابًا للكعبة، وجعل إحدى الغزالتين صفائح ذهب في الباب، وجعل الأخرى في الكعبة"[٢٣]، وأكد ابن كثير هذا الخبر، فقال: "فضرب عبد المطلب الأسياف بابًا للكعبة، وضرب في الباب الغزالين من ذهب، فكان أول ذهب حلية للكعبة فيما يزعمون"[٢٤].

إن النص السابق يدل على أن العرب عرفوا عملية طرق الذهب لتحويله إلى صفائح ذهبية استعملت في إكساء باب الكعبة، ولكن للأسف لم يُذكر اسم الحرفي الذي قام بهذا العمل.

أغرى بريق الذهب بعض اللصوص "فتسللوا في جنح الظلام إلى الكعبة وجردوها مما كانت تتحلى به من نفائس ذهبية"[٢٥]، وقد كان هذا الحدث عندما "هدم السيل الكعبة، فسُرق منها لما انهدمت غزالٌ من الذهب وحلي وجواهر"[٢٦]، فقررت قريش إعادة بنائها، وكان ذلك قبل بعثة النبي الكريم بخمس سنوات في عام ٦٠٦م "والمشهور أن هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمره خمس وثلاثون سنة"[٢٧]، وكان من ضمن التغيرات التي طرأت على الكعبة في هذا البناء أن قريشًا "رأوا تعليتها، وكان بابها لاصقًا بالأرض منذ عهد إبراهيم فقال أبو حذيفة ابن المغيرة: يا قوم، ارفعوا باب الكعبة حتى لا يدخلها أحد إلا بسلم، فإنه لا يدخلها حينئذ إلا من أردتم، فإن جاء أحد ممن تكرهونه رميتم به فسقط وصار نكالًا لمن يراه، فرفعت بابها، وجعلت لها سقفًا ولم يكن سقف، وزادت ارتفاعها"[٢٨].

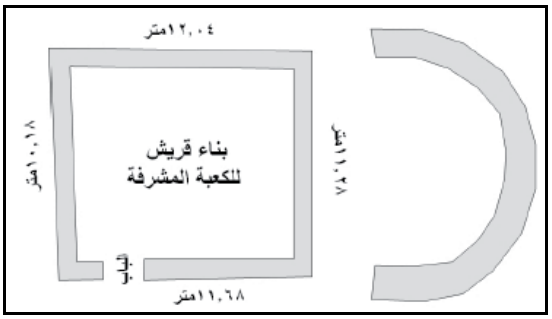

مسقط للكعبة المشرفة بعد بناء قريش لها

بقي البناء على حاله حتى عام (٦٤ هـ/ ٦٨٣م) عندما أرسل الخليفة يزيد بن معاوية

(حكم ٦٠-٦٤هـ/٦٨٠- ٦٨٣م) جيشًا لقتال عبد الله بن الزبير (١-٧٣هـ/ ٦٢٣-٦٩٢م) فحاصر الجيش مكة ورماها بالمنجنيق، فتأثرت الكعبة واحترقت، وضعفت جدرانها، وبعد وفاة يزيد وعودة الجيش إلى الشام، قرر عبد الله بن الزبير إعادة بناء الكعبة مرة أخرى، فجعل لها بابين ملتصقين بالأرض أحدهما في الجهة الشرقية والآخر في الجهة الغربية: باب يدخل منه، وباب يخرج منه[٢٩]؛ أي أن عبدالله فتح بابًا جديدًا في البناء الجديد، وغير من شكل الباب وأبعاده "وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعًا واحدًا، فجعل لها ابن الزبير مصراعين طولهما أحد عشر ذراعًا[٣٠] (حوالي ٥٤٢سم) من الأرض إلى منتهى أعلاها، وجعل الباب الآخر الذي في ظهرها بإزائه على الشاذروان الذي على الأساس مثله"[٣١].

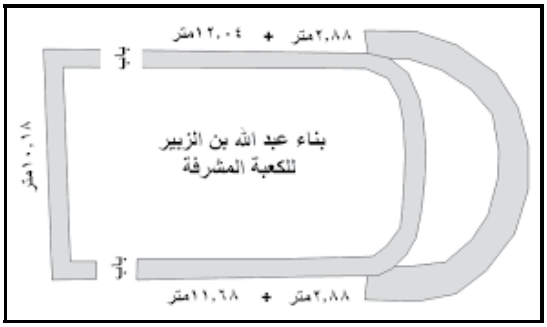

مسقط للكعبة المشرفة بعد بناء عبد الله بن الزبير لها

في عام (٧٤هـ/ ٦٩٣م) أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان (حكم ٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م) جيشًا بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠-٩٥هـ/ ٦٦١-٧١٤م)، فرمى الكعبة بالمنجنيق، وقتل عبد الله بن الزبير، وأرسل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان "يعلمه بما زاده ابن الزبير في البيت، فأمره عبد الملك بهدمه، ورده إلى ما كان عليه آنفًا من بناء قريش وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن يجعل له بابًا واحدًا"[٣٢]، فعدّل الحجاج بناء الكعبة فأغلق الباب الغربي ورفع الباب الشرقي، وأنقص أبعاد باب الكعبة "كان باب الكعبة الذي عمله ابن الزبير طوله في السماء أحد عشر ذراعًا، فلما كان الحجاج نقض من الباب أربعة أذرع وشبرًا[٣٣]، وعمل لها هذين البابين وطولهما ست أذرع وشبر (حوالي ٣٢٠سم)"[٣٤]

وقد ظهرت آثار الباب الغربي المغلق عندما تم تصوير الكعبة المشرفة يوم الثامن من ذي الحجة عام (١٤٣٩ هـ /٢٠١٨م) في الوقت الذي كانت الكعبة تستعد لارتداء ثوبها السنوي، وقد تبين أن ١٨ حجرًا هي حدود الباب القديم للكعبة المشرفة، والمقابل للباب الرئيسي الحالي، بالقرب من الركن اليماني مرتفعًا بقدر الارتفاع للباب الرئيسي[٣٥].

صورة توضح حدود الباب الثاني الغربي المغلق في الكعبة

بعد وفاة الخليفة عبد الملك واستلام ولده الوليد الحكم (حكم ٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م) شهدت الفتوحات الإسلامية في عهده توسعًا كبيرًا، وكثرت الكنوز والأموال في بيت مال المسلمين، فقرر الخليفة الوليد تقديم بعض هذه الكنوز كهدية لإكساء وتزيين الكعبة المشرفة، ويمكننا القول

إن أعمال الوليد بن عبد الملك كانت هي **الحملة الأولى** لإكساء وتزيين الكعبة المشرفة بالمعادن الثمينة؛ لذا يعتبر الخليفة الوليد أول من ذهّب البيت الحرام في الإسلام، وكان بابه من ضمن ما كسي وزين بالذهب "ولما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة، بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار، فضُرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب"[٣٦].

ثانيًا - في العهد العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م):

تم تجديد إكساء الباب عدة مرات في العصر العباسي، أول تجديد كان في عهد **الخليفة الأمين** (حكم١٩٣-١٩٨/ ٨٠٩-٨١٣م) "لما تولى الخليفة العباسي الأمين بعد وفاة أبيه الرشيد، علم أن الذهب الذي حلى به الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك قد دُقّ، فبعث أحد عماله، وأعطاه ثمانية عشر ألف دينار ليضربها صفائح على باب الكعبة، وخلع هذا العامل ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها دنانير الأمين، وضرب الصفائح والمسامير وحلقتي الباب والقبة، وأصبح ما على الكعبة من الذهب ثلاثة وثلاثون ألف مثقال[٣٧] (حوالي ١٥٠ كغ)"[٣٨].

في عام (٢٤١هـ/٨٦٣م) في عهد الخليفة المتوكل (حكم ٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م)، وضمن حملة ثانية واسعة لإعادة إكساء وتزيين الكعبة –سنتكلم عنها بالتفصيل فيما بعد-"كانت عتبة باب الكعبة السفلى قطعتين من الساج، فأخرجهما وصير مكانهما قطعة واحدة من خشب الساج وألبسها صفائح فضة من الفضة التي كانت في الزاويتين التي صير مكانهما ذهبًا"[٣٩].

يصف الأزرقي الكعبة المشرفة بعد أن تم إكسائها وتزينها في الحملتين السابقتين، وكيف أن الفضة والذهب قد دخلا في إكساء وتزيين باب الكعبة حتى في أبسط أجزائه كالمسامير الحديدية التي كسيت بالفضة والذهب وقفل الباب، وعتبة الباب، والجدارين اللذين يحدان الباب، فيقول: "الجداران، وعتبة الباب العليا، ونجاف[٤٠] الباب ملبس صفائح ذهب منقوش، وفي جدران عضادتي الباب[٤١] أربع عشرة حلقة من حديد مموه بالفضة متفرقة، في كل جدار سبع حلق يُشد بها صرة جوف الباب من أستار الكعبة، وفي عتبة باب الكعبة ثمانية عشر مسمارًا: منها أربعة على الباب، وأربعة عشر في وجه العتبة، والمسامير حديد ملبسة ذهبًا مقبوة منقوشة، تدوير حول كل مسمار (أي محيطه) سبعة أصابع[٤٢] (حوالي ١٤سم)، وملبن[٤٣] باب الكعبة الذي يطأ عليه من دخلها داخل في الجدار عشرة أصابع (حوالي ٢٠,٥٥)، والملبن ساج مُلبس صفائح ذهب، وعرض وجه الملبن عشرة أصابع، وعرض وجهه الآخر أربع أصابع (حوالي ٨سم)، وفي الملبن من المسامير ستة وأربعون مسمارًا: منها سبعة في أعلى الملبن، وهي تلي العتبة، وفي الجانب الأيمن تسعة عشر مسمارًا، وفي الجانب الأيسر عشرون مسمارًا، والمسامير مقبوة ملبسة بالذهب منقوشة، تدوير حول كل مسمار منها سبعة أصابع.

وذرع طول باب الكعبة في السماء ست أذرع وعشرة أصابع (حوالي ٣٢٠سم)، وهما مصراعان، عرض كل مصراع ذراع وثمانية عشر أصبعًا (حوالي٨٦ سم)، وظهر الباب من الداخل ملبس صفائح فضة، وفي المصراع

الأيمن من الداخل غلق رومي وأم الغلق مُلبسة فضة، وطول الغلق أربعة عشرة أصبعًا (حوالي ٢٩سم)، وفي المصراع الأيسر حلقة فضة يكون فيها غلق الباب إذا أغلق، ووجه الباب ملبس صفائح ذهب منقوشة، في الباب الأيسر أنف الباب ملبس ذهبًا منقوشان، طرفاه مربعان، وعدد المسامير مائتا مسمار: منها مائة كبار، والمسامير مقبوة مُلبسة ذهبًا، وهي منقوشة تدوير كل مسمار سبعة أصابع، ورِجلا الباب حديد ملبسان ذهبًا، وفي المصراعين سلوقيتا فضة مموهتان، وفي السلوقيتين لبنتان من ذهبٍ مربعتان، وفوق اللبنتين لبنتان صغيرتان، وفي طرف السلوقتين حلقتا ذهب سعة كل حلقة ثماني أصابع (حوالي ١٦سم)، وهما حلقتا قفل الباب، وهما على ذراعين وستة عشر أصبعًا من الباب"[٤٤].

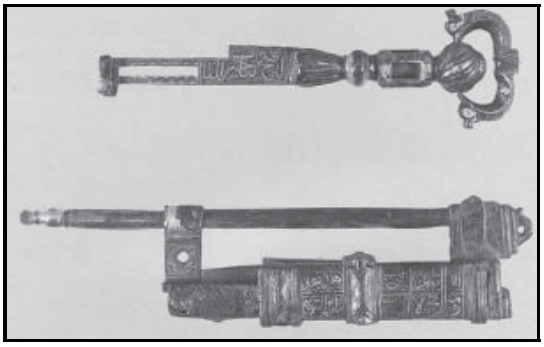

صورة لقفل ومفتاح باب الكعبة

تم تجديد إكساء باب الكعبة مرة أخرى كما ذكر ابن جبير على يد **جمال الدين** (المتوفى٥٣٦هـ/ ١١٤١م) وزير **الأتابك عماد الدين الزنكي** (تولى الحكم ٥٢١-٥٤١ هـ/١٠٨٧-١١٤٦م) "فجدد باب الكعبة المقدسة وغشاه فضة مذهبة، وجلل العتبة المباركة بلوح ذهب إبريز، فأخذ الباب القديم وأمر بأن يُصنع له منه تابوت يُدفن فيه"[٤٥]، ونجد وصف الباب المجدد عند ابن جبير "وباب البيت الكريم في الصفح[٤٦] الذي بين الركن العراقي وركن الحجر الأسود، والباب الكريم مرتفع عن الأرض بأحد عشر شبرًا ونصف(حوالي٢٥٢سم)، وهو من فضة مذهبة، بديع الصنعة، رائق الصفة، يستوقف الأبصار حُسنًا وخشوعًا للمهابة التي كساها الله بيته، وعضاداته كذلك، والعتبة العليا كذلك أيضًا، وعلى رأسها لوح ذهب خالص إبريز في سعته مقدار شبرين (حوالي ٤٤سم)، وللباب نقارتا فضة كبيرتان يتعلق عليهما قفل الباب"[٤٧].

تم التجديد الأخير في هذا العهد على يد **الخليفة المقتفي لأمر الله** (حكم ٥٣٠-٥٥٥ هـ/ ١١٦٠-١١٣٦م) فقد ذكر ابن جبير ما نُقش على الباب "وفي باب الكعبة المقدسة نقشٌ بالذهب، رائق الخط، طويل الحروف غليظها، يرتمي الأبصار برونقه وحسنه، مكتوب فيه: (مما أمر بعمله عبد الله وخليفته الإمام أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين، صلى الله عليه وعلى الأئمة أبائه الطاهرين، وخلد ميراث النبوة لديه، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين، في سنة خمسين وخمس مئة) في صفحتي البابين على هذا النص المذكور، ويكتنف البابين الكريمين عضادة غليظة من الفضة المذهبة البديعة النقش، تصعد إلى العتبة المباركة تشف عليها وتستدير بجانبي البابين، ويعترض أيضًا بين البابين عند إغلاقهما شبه العضادة الكبيرة من الفضة المذهبة هي بطول البابين متصلة بالواحد منهما الذي عن يسار الداخل إلى البيت"[٤٨].

ثالثًا - في العهد المملوكي (٦٤٨-٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م):

وصف ابن بطوطة الباب عندما زار مكة في رحلته الأولى التي بدأها سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م)، فقال: "ارتفاع الباب عن الأرض أحد عشر شبرًا ونصف شبر، وسعته ثمانية أشبار (حوالي ١٧٥سم)، وطوله ثلاثة عشر شبرًا (حوالي ٢٨٥سم)، وهو مصفح بصفائح الفضة، بديع الصنعة وعضادتاه وعتبته العليا مصفحات بالفضة، وله نقارتان كبيرتان من فضة عليهما قفل"[٤٩].

رابعًا-في العهد العثماني (٩٢٢-١٣٤١هـ/ ١٥١٧-١٩٢٢م):

في سنة ١٠٣٩ هـ / ١٦٣٠م حصل بمكة المشرفة مطر عظيم، وجرى منه سيل عظيم لم تر العين مثله، ودخل الكعبة المشرفة من بابها ووصل إلى نصف جدارها، وسقط الجدار لشامي من الكعبة المشرفة وبعض الجدارين الشرقي والغربي"[٥٠]، فأوعز السلطان مراد الرابع (حكم ١٠٣٢- ١٠٤٩هـ/ ١٦٢٣- ١٦٤٠م) إلى واليه في مصر محمد علي الألباني، لاتخاذ التدابير اللازمة والمستعجلة لإصلاح الكعبة، كما أرسل السلطان مراد مندوبًا خاصًا لمتابعة الأمور، وفعلًا بدأ المهندسون بالإصلاحات؛ حيث قرروا هدم الجدار الشرقي للكعبة، وإعادة بنائه لوهنِه وسقوطه إن لم يهدم، وبسبب هدم الجدار الشرقي تم إزالة باب الكعبة القديم بشكل تلقائي، ثم أعيد الباب "وقد كان هذا الباب من صنع السلطان الظاهر بيبرس (حكم٦٥٩-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م)، وكان الذي صفحه بالفضة المموهة السلطان سليمان القانوني (حكم ٩٢٦-٩٧٣هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) "[٥١].

باب الكعبة العثماني

٣-٢-٢-داخل الكعبة:

أولًا-حتى نهاية العهد الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦٢-٧٥٠م):

تذكر المصادر العربية ما كسيت وزينت به الكعبة من الداخل بالمواد الثمينة ابتداء من عهد عبد الله بن الزبير "حمل إلى الزبير من صنعاء الفسيفساء التي كان قد بناها أبرهة الحبشي في كنيسته التي اتخذها هنالك، ومعها ثلاثة أساطين[٥٢] من رخام فيه وشي منقوش قد حُشي النقش السندروسي وأنواع الألوان من الأصباغ، فمن رآه ظنه ذهبًا، وقد جَعل الفسيفساء والأساطين داخل الكعبة"[٥٣].

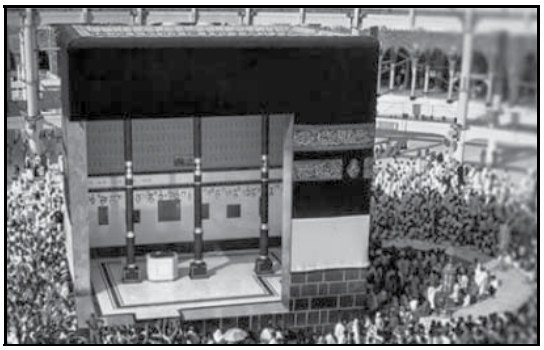

صورة بيانية لداخل الكعبة

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (حكم ٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥- ٧٠٥م) أمر بضرب "على الأسطوانة الوسطى الذهب من أسفلها إلى أعلاها صفائح"[٥٤]، ثم تابع ابنه الخليفة الوليد عمل والده وإنما بشكل موسع وأكبر، فأمر بإلباس قواعد الأعمدة (الكراسي) وبدنها ورؤوسها بالذهب "وفي الكعبة ثلاثة كراسي من ساج، طول كل كرسي في السماء ذراع ونصف (حوالي ٧٤ سم)، وعرض كل كرسي منها ذراع وثماني أصابع[٥٥] (حوالي ٦٦ سم) في مثلها، والكراسي مُلبسة صفائح ذهب، وفوق الذهب ديباج، وتحت الكراسي رخام أحمر بقدر سعة الكراسي، وعلى الكراسي أساطين متفرقة مُلبسة، الأسطوانة الأولى التي على باب الكعبة ثلثها مُلبس صفائح ذهب وفضة وبقيتها مموه، وذرع غلظها ثلاثة أذرع (حوالي ١٤٨سم)، والأسطوانة الثانية- وهي الوسطى- من الأساطين مُلبسة صفائح ذهب وفضة، وذرع غلظها ثلاث أذرع، والأسطوانة الثالثة –وهي التي تلي الحِجر- ثلثها مُلبس صفائح الذهب وبقيتها مموه، وذرع غلظها ذراعان ونصف (حوالي ١٢٣سم)، وفوق الأساطين كراسي ساج مربعة منقوشة بالذهب والزخرف، وعلى الكراسي ثلاث جوائز ساج، أطرافها على الجدار الذي فيه باب الكعبة، وأطرافها الأخرى على الجدار الذي يستقبل باب الكعبة وهو دبرها، والجوائز منقوشة بالذهب والزخرف، وسقف الكعبة منقوش بالذهب والزخرف، ويدور تحت السقف أفريز منقوش بالذهب والزخرف، وتحت الأفريز طوق من الفسيفساء"[٥٦].

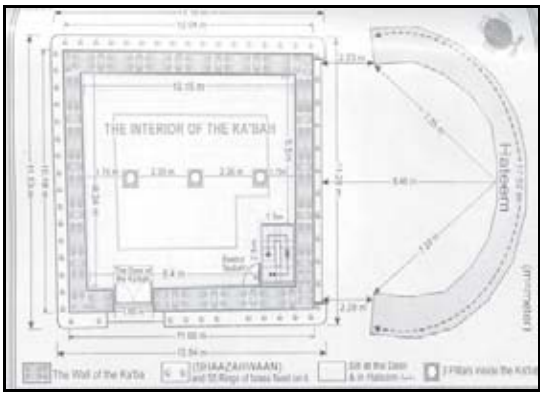

مسقط يوضح الأجزاء الموصوفة أعلاه داخل الكعبة المشرفة

كما وصف الجدار المقابل باب الكعبة "فيه جزعة سوداء مخططة ببياض، وذرع سعتها اثنا عشر أصبعًا (حوالي ٢٥سم) في مثلها، وهي مدورة وحولها طوق ذهب عرضه ثلاثة أصابع (حوالي٦ سم) وهي تستقبل من دخل من باب الكعبة، وارتفاعها ستة أذرع ونصف (حوالي ٣٢٠سم)، يقال أن النبي ﷺ صلى مقابل موضعها، وهذه الجزعة أرسل بها الوليد بن عبد الملك، فجُعلت هناك، أما جدران الكعبة الداخلية فزينت بإزارين رخاميين ملونين، ألبسا بصفائح الذهب والفضة "وبطن الكعبة مؤزرة مدارة من داخلها برخام أبيض أحمر وأخضر وألواح ملبسة بالفضة، وهما إزاران: إزار أسفل فيه ثمانية وثلاثون لوحًا، طول كل لوح ذراعان وثمانية أصابع (حوالي ١١٥سم)، وفي الإزار الأعلى اثنان وأربعون لوحًا، طول كل لوح أربعة

أذرع وأربعة أصابع (حوالي ٢٠٥سم)، ومن الألواح الملبسة الذهب والفضة التي في الأركان ستة ألواح: طول كل منها أربعة أذرع وأربعة أصابع، وعرض كل لوح ذراع وأربعة أصابع (حوالي ٥٨سم)، وحتى المسامير الحديدية المستعملة لتثبيت هذه الألواح ألبست بالذهب والفضة، وفي الألواح من المسامير ستة عشرة مسمارًا، والمسامير مفضضة، مقبوة، منقوشة، تدوير كل مسمار سبعة أصابع (حوالي ١٤سم)، والإزار إزار منقوش من رخام مدار في جوانب البيت كله، وفي نقشه حبل غير منقوش مذهب، وبين هذا الإزار الذي فيه الحبل إزار صغير كما يدور البيت، منقوش عليه بماء الذهب من تحت الأفريز الذي تحت السقف، والأفريز من فسيفساء منقوش واصل بالسقف"[٥٧].

ثانيًا-في العهد العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م):

تمت **الحملة الثانية** لإعادة إكساء وتزيين الكعبة المشرفة على يد **الخليفة المتوكل** (حكم ٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م)، وكانت البداية عام (٢٣٧هـ/٨٥٩م) عندما لفت نظر المتوكل الدرج الموجود داخل الكعبة والذي يُصعد عليه إلى سطح الكعبة "في الكعبة إذا دخلتها على يمينك درجة يُظهر عليها إلى سطح الكعبة، وبابها ساج فرد أعسر، وهو في حد جدار الكعبة، وكان ساجه باديًا ليس عليه ذهب ولا فضة حتى أمر به أمير المؤمنين المتوكل على الله فضربت على الباب صفائح من فضة، وجُعل له غلق من في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائتين، وعلى الباب ملبن ساج ملبس فضة وفي الباب حلقة فضة"[٥٨].

مخطط لأجزاء الكعبة المشرفة

يبدو أن هذا العمل شجع القائمين على خدمة الكعبة، فرفعوا كتابًا إلى الخليفة المتوكل سنة (٢٤٠هـ/ ٨٦٢م) يذكرون فيه "أن زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها ملبستين ذهبا وزاويتين فضة، وأن ذلك لو كان ذهبًا كله كان أحسن وأزين، وأن قطعة فضة مركبة على بعض جدران الكعبة شبه المنطقة فوق الإزار الثاني من الرخام تحت الإزار الأعلى من الرخام المنقوش المُذهب في زيق في الوسط فيه الجزعة التي تستقبل من توخى مصلى النبي، وتلك القطعة في الزيق مبتدأ منطقة كانت عُملت في خلافة محمد بن الرشيد، عملها سالم بن الجراح أيام عمل الذهب على باب الكعبة، ثم جاء خلع محمد قبل أن يتم فوقف عن عملها، ولو كان بدل تلك القطعة منطقة فضة مركبة في أعلى إزار الكعبة في تربيعها كان أبهى وأحسن، وأن الكرسي المنصوب المقعد فيه المقام –مقام إبراهيم عليه السلام- ملبس صفائح من الرصاص، وإن عمل مكان الرصاص فضة كان أشبه به وأحسن وأوفق له، فأمر أمير المؤمنين (المتوكل على الله) بعمل ذلك أجمع،

ووجه رجلًا من صناعه يقال له: إسحاق بن سلمة الصائغ- شيخ له معرفة بالصناعات ورفق وتجارب- ووجه معه من الصناع من تخيرهم إسحاق بن سلمة من صناعات شتى، من الصوغ والرخاميين وغيرهم من الصناع نيفًا وثلاثين رجلًا، ووجه معه بذهب وفضة وآلات لشق الرخام ولعمل الذهب والفضة، فقدم إسحاق بن سلمة الصائغ ومعه من الصناع والذهب والفضة والرخام والآلات مكة لليلة بقيت من رجب سنة إحدى وأربعين ومائتين"[٥٩]

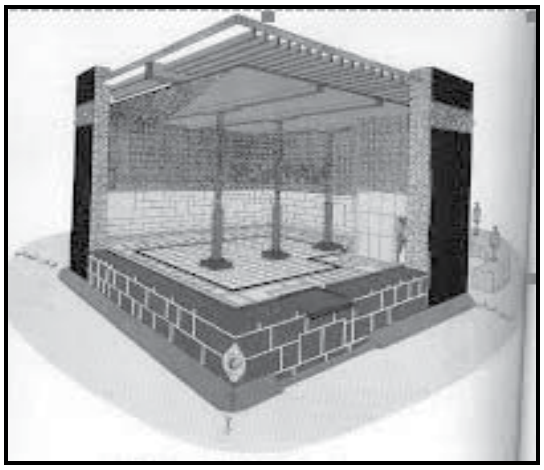

منظر للكعبة المشرفة من الداخل

كان أول عمل قام به إسحاق أن "أحضر منجنيقًا طويلًا ألصقه إلى جانب الجدار الذي يقابل من دخل الكعبة، وصعد عليه ومعه خيط وسابورة[٦٠]، فأرسل الخيط من أعلى المنجنيق، وهو قائم عليه، ثم نزل وفعل ذلك بجدارتها الأربعة فوجدها كأصح ما يكون من البناء وأحكمه"[٦١].

بدأ إسحاق العمل مع فريقه بعد أن اطمئن أن البيت الحرام آمن إنشائيًا بالعمل على مهمته الأصلية المرسل من أجلها "وابتدأ إسحاق بن سلمة عمل الذهب والفضة والرخام في الدار المعروفة بخالصة، وعمل الفضة على كرسي المقام مكان الرصاص الذي اتخذ عليه، وعمل الذهب على زاويتي الكعبة من داخلها مكان ما كان من الفضة ملبسًا، وكسر الذهب الذي كان على الزاويتين الباقيتين، وأعاد عمله، فصار ذلك أجمع على مثال واحد منقوشة مؤلفة ثابتة، وعمل منطقة من فضة وركبها فوق إزار الكعبة في تربيعها، كلها منقوشة مؤلفة جليلة ثابتة تكون عرض المنطقة ثلثي ذراع (حوالي ٣٣سم)، وعمل طوقًا من ذهب منقوش متصلًا بهذه المنطقة الفضة، فركبه حول الجزعة التي تقابل من دخل من باب الكعبة فوق الطوق المذهب القديم الذي كان مركبًا حولها من عمل الوليد بن عبد الملك، وكره أن يقلع ذلك الطوق الأول لسبب تكسر خفي في الجزعة، فتركه على حاله لئلا يحدث في الجزعة حادث، وقلع الرخام المتزايل من جدران الكعبة، وأعاد نصبه، وفي أعلى هذه المنطقة الفضة رخام منقوش محفور، فألبس ذلك الرخام ذهبًا رقيقًا من الذهب الذي يتخذ للسقوف، فصار كأنه سبيكة مضروبة عليه إلى موضع الفسيفساء الذي تحت الكعبة وغسل الفسيفساء.

ونقض ما كان من الأصباغ المزخرفة على السقف وعلى الإزار الذي دون السقف فوق الفسيفساء، ثم ألبسه ثياب قباطي، وألبس تلك الثياب ذهبًا رقيقًا وزخرفه بالأصباغ، وكان في الجدار الذي في ظهر الباب يمنة من دخل الكعبة رزة وكُلاب من صفر (نحاس) يُشد به الباب إذا فتح الكُلاب، لئلا يتحرك عن موضعه، فقلع ذلك الصفر وصير مكانه فضة، وألبس ما حول باب الدرجة فضة مضروبة، وأنزل المعاليق

المعلقة بين الأساطين فنفضها من الغبار وغسلها وجلاها، وألبس عمدها الحديد المعترضة بين الأساطين ذهبًا من هذا الذهب الرقيق، وأعاد تعليقها، وفرغ من ذلك أجمع يوم النصف من شعبان سنة اثنتين وأربعين ومائتين"[٦٢].

نستنتج من الكلام السابق أن فريق إسحاق بن سلمة كان مؤلفًا من ثلاث فئات على الأقل:

الفئة الأولى: وهي فئة المهندسين الذين شرحوا لإسحاق الصائغ كيف يمكن معرفة أن بناء الكعبة آمن إنشائيًا أم لا، وقام هو بالمهمة بنفسه بما أنه قائد الفريق المُرسل من قبل الخليفة، وبذلك أعطى للأمر مصداقية كبيرة.

الفئة الثانية: بناؤون وحرفيون مهرة لهم باع طويل بالتعامل مع مواد البناء المختلفة كالحجر والرخام والخشب والمعدن، وهذه الفئة هي التي نبهت إسحاق إلى أن الجزعة مصابة بكسر خفي؛ لذا لا يجوز قلع الطوق القديم المحيطة بها؛ لأن هذا العمل سيؤدي إلى تفتتها، ونصحوه بأن يضع الطوق الذهبي الجديد فوق الطوق القديم حفاظًا على الجزعة، وهذا ما قام به إسحاق فعلًا.

وبأيدي هذه الفئة الماهرة تم إكساء الأجزاء المختلفة الأصول (الخشب- الحجر- المعدن- الرخام-...) بالمواد الذهبية والفضية المصاغة، المنقوشة، والمزخرفة بأجمل الزخارف الإسلامية، وعلى الرغم من أن طريقة تثبيت الصفائح والألواح الذهبية على المواد المختلفة لم تصفها المصادر العربية إلا أن المراجع تذكر لنا الطريقة القديمة المعتمدة عند استعمال صفائح الذهب السميكة، المزخرفة عادة بنقوش غائرة أو بنقوش بارزة لإكساء **الأشياء الخشبية**، إذ كانت تُوضع مباشرة على السطح الخشبي وتثبت في مكانها بمسامير صغيرة من الذهب، أما إذا استعملت الرقائق الذهبية لنفس الغرض، فإن الخشب كان يُغطى بطبقة من الجص الخاص، ثم تلصق رقائق الذهب على هذه بواسطة مادة لاصقة قد تكون الغراء، أما في حالة التذهيب بأوراق الذهب الأرق، إن الخشب كان يُكسى بطبقة مماثلة من الجص، ويُظن أن بياض البيض كان المادة اللاصقة في هذه الحالة[٦٣]، وربما كانت هذه إحدى الطرق التي اعتمدوها في في إكساء الخشب.

الفئة الثالثة: وهي فئة الصاغة الذين قاموا بإذابة المعادن الثمينة (الذهب والفضة) وأعادوا صياغتها ونقشوها وزخرفوها بأجمل الزخارف العربية الإسلامية.

وبذلك حقق عمل هذا الفريق المتكامل والمتعاون الهدف المراد منه، فأُنجز عملًا رائعًا مبدعًا أثار إعجاب القاصي والداني.

٣-٢-٣-خارج الكعبة:

أولًا-في العهد العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م):

أرسل بعض الخلفاء العباسيين أشياء ثمينة لإكساء وتزيين الكعبة من الخارج، مثل **الخليفة المأمون** (حكم ١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) الذي "بعث بالياقوتة التي تُعلق كل سنة في وجه الكعبة في الموسم بسلسلة من ذهب، وبعث أمير المؤمنين **جعفر المتوكل على الله** (حكم ٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م) بشمسية عملها من ذهب، مكللة بالدر الفاخر، والياقوت الرفيع، والزبرجد، بسلسلة من ذهب تعلق في وجه الكعبة في كل موسم"[٦٤].

ثانيًا-في العهد العثماني (٩٢٢-١٢٤١هـ/ ١٥١٧-١٩٢٢م):

في فترة حكم السلطان أحمد الأول (١٠١٢-١٠٢٢هـ/ ١٦٠٣-١٦١٧م) حدث تصدعًا في بعض جدران الكعبة، فأشار عليه بعض المهندسين بعمل نطاق من النحاس يطوف بالكعبة لتمسك الجدران من التداعي، وفعلًا تم عمل نطاقين من نحاس أصفر مكسوين بالذهب ونُقش عليهما الشهادتين، ورُكب الأول في أسفل الكعبة، ورُكب الثاني في أعلاها، وكان ذلك في عام (١٠٢٢هـ/ ١٦١٧م)[٦٥].

نجد أن الحل المطروح لدرأ الصدع الذي أصاب جدران الكعبة قد طُرح من قبل بعض المهندسين الذين درسوا المشكلة، وقدموا حلًا مناسبًا منخفض الكلفة، وربما جاء هذا الطلب من السلطان نفسه مع رغبته بإظهار الاحترام الواجب من قبله للكعبة المشرفة، فكان الحل بصنع إطارين من النحاس يطوقان المبنى من الأعلى والأسفل لمنع الجدران من السقوط، مع إكسائهما بالذهب، وكأن السلطان يشرح للقاصدين البيت العتيق بذكاء الوضع المالي السيء الذي يمر به، ولكن مع إظهار التقدير والاحترام الواجبين.

بقي هذا الحل الإنشائي المؤقت قائمًا إلى سنة (١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩ م) في عهد السلطان مراد خان (حكم ١٠٣٢هـ-١٠٤٩هـ/ ١٦٢٣-١٦٤٠م) إذ نزل مطر عظيم ودخلت مياه السيل العظيم إلى الكعبة وتهدمت أغلب جدرانها، فأعاد عمارتها سنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م)، وهذه هي العمارة الأخيرة للكعبة وهي التي عليها الكعبة الآن[٦٦].

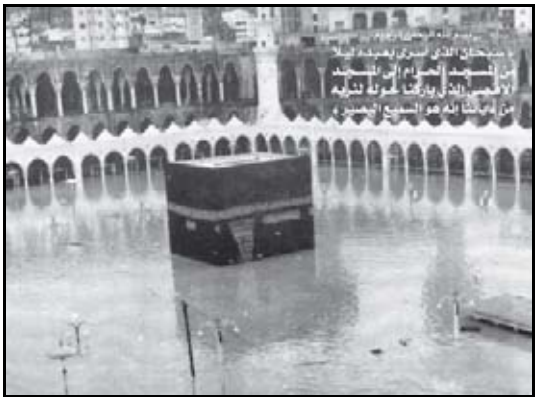

صورة نادرة للكعبة وقت السيل

٣-٢-٤- كسوة الكعبة:

أولًا- في العهد الفاطمي (٢٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧١م):

ذُكر أن أول من كسى الكعبة بالديباج كان خالد بن جعفر بن كلاب[٦٧]، ثم تتالى كسوتها على مر العصور على أيد الحكام والخلفاء، ولكننا سنفصل في شرح كسوة **الخليفة الفاطمي المعز لدين الله** (حكم٣٤١ -٣٦٥هـ/٩٥٢ -٩٧٥م) بعد فتحه مصر سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م؛ لأنه لم يُقدم مثلها للكعبة من قبل أي خليفة آخر، وقد أمر الخليفة المعز بعملها كما يزعم بعضهم لينافس خلفاء بغداد العباسيين، وكانت هذه الكسوة "مربعة الشكل من ديباج أحمر، وسعتها مائة وأربعة وأربعون شبرًا (حوالي ٣١٦م)، وكان في حافاتها اثنا عشر هلالًا ذهبيًا، في كل هلال أترجة[٦٨] ذهبية، وفي كل منها خمسون درة تشبه بيض الحمام في الكبر، كما كان فيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق، وقد نقش في حافاتها الآيات التي وردت في الحج والآية ٩٥ من سورة آل عمران والآية ٣ من

سورة براءة بحروف الزمرد الأخضر، وزُينت هذه الكتابة بالجواهر الثمينة، وكانت هذه الكسوة معطرة بمسحوق المسك"[٦٩].

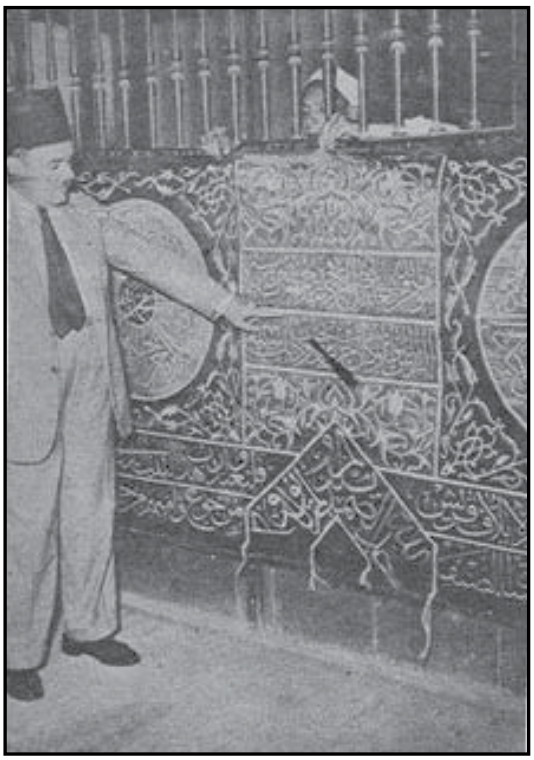

صورة قديمة لكسوة الكعبة عندما كانت تصنع في مصر

٣-٢-٥-الميزاب:

أولًا-حتى نهاية العهد الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦٢-٧٥٠م):

كانت قريش أول من عمل ميزابًا من الخشب للكعبة في منتصف أعلى الجدار الشمالي، عندما أعادت بناء الكعبة وسقفتها، والميزاب عبارة عن قناة أو أنبوب من معدن أو غيره يسيل به الماء من السطح أم من البيت إلى الأرض، ج ميازيب وموازيب[٧٠]، ويقع "ميزاب الكعبة في وسط الجدر الذي يلي الحجر بين الركن الشامي والركن الغربي يسكب في بطن الحِجر"[٧١].

ذكر الأزرقي أنه عندما بنت قريش الكعبة "جعلت ميزابها يسكب في الحِجر"[٧٢]، وعندما أعاد ابن الزبير (١-٧٣هـ/ ٦٢٣-٦٩٢م) بناء الكعبة "جعل في الكعبة ميزابًا يصب في الحِجر"[٧٣]، وأعاد الحجاج بن يوسف الثقفي (توفي ٩٥هـ/ ٧١٤م) وضع الميزاب مكانه مرة أخرى عند إعادته بناء الكعبة.

وفي عهد **الخليفة الوليد** (حكم ٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م) تم تلبيس الميزاب بصفائح ذهب من داخله وخارجه"[٧٤]، أما بالنسبة لأبعاد الميزاب فهي "ذرع طول الميزاب أربعة أذرع (حوالي١٩٧سم)، وسعته ثمانية أصابع (حوالي ١٦,٥سم) في ارتفاع مثلها"[٧٥].

ويُرجع بعض المؤرخين أصل الذهب المستعمل في إكساء وتزيين الكعبة في عهد ذكر الخليفة الوليد بن عبد الملك "زاد في حلي البيت لما فتح بلاد الأندلس فوجد بطليطلة مائدة سليمان عليه السلام كانت من ذهب ولها أطواق من الياقوت والزبرجد، فضرب منها حلي الكعبة والميزاب"[٧٦].

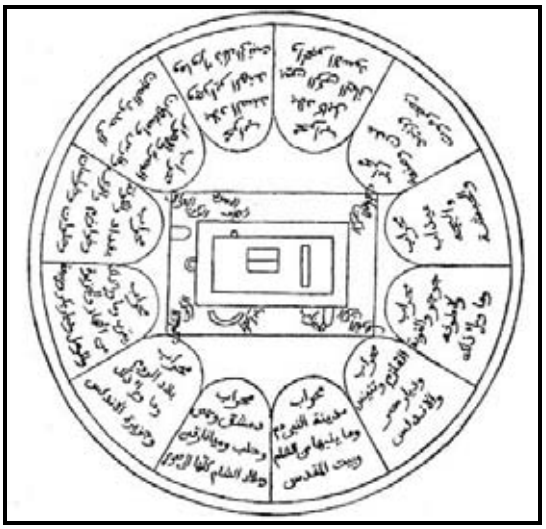

مخطط للكعبة المشرفة يوضح أجزاء الكعبة المشرفة[٧٧]

بقيت أبعاد الميزاب نفسها في فترة القزويني (٦٠٥-٦٨٢هـ/ ١٢٠٣-١٢٨٣م) "والميزاب متوسط على جدار الكعبة بارز عنه قدر أربعة أذرع، وسعته وارتفاع حيطانه كل واحد ثمانية أصابع، وباطنه صفائح الذهب"[٧٨].

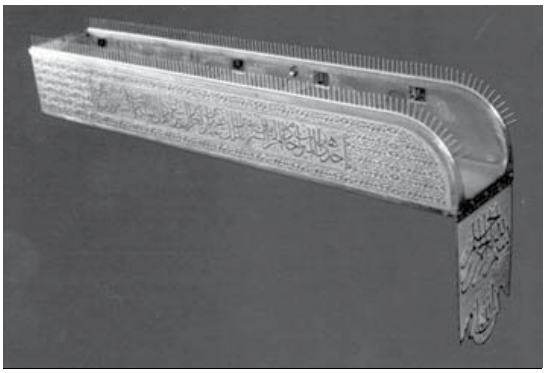

صورة للميزاب الحالي

ثانيًا - في العهد المملوكي (٦٤٨-٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م):

وصف ابن بطوطة الميزاب عندما وصل مكة حاجًا، ونلاحظ أن أبعاده قد تغيرت، فيقول: "والميزاب في أعلى الصفح الذي على الحجر، وهو من الذهب، وسعته شبر واحد (حوالي ٢٢سم)، وهو بارز بمقدار ذراعين (حوالي ١م)"[٧٩].

لا ندري أكان ابن بطوطة مخطئًا في تقدير الأبعاد، أم أن هناك تغيير في الأبعاد فعلًا، ولكن لم يُذكر متى حدث هذا التغير في الأبعاد، وعلى يد من تم هذا التغير؛ لذا نرجح أن ابن بطوطة أخطأ في القياس.

ثالثًا-في العهد العثماني (٩٢٢-١٣٤١هـ/ ١٥١٧-١٩٢٢م):

في عهد **السلطان سليمان القانوني** (حكم ٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) وفي عام (٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م) تم تغيير الميزاب الذهبي بآخر من الفضة، ثم أبدله السلطان أحمد الأول (حكم ١٠١٢-١٠٢٦هـ/ ١٦٠٣-١٦١٧م) في سنة (١٠٢١هـ/١٦١٢م) بآخر من الفضة المنقوشة بالميناء الزرقاء تتخللها النقوش الذهبية، وفي سنة (١٢٧٣هـ/١٨٥٦م) أرسل إليها السلطان عبد المجيد (حكم ١٢٥٤-١٢٧٧هـ/ ١٨٣٩-١٨٦١م) ميزابًا من الذهب وهو الموجود بها الآن[٨٠].

٣-٢-٦-الحجر الأسود:

أولًا-حتى نهاية العهد الأموي (١-١٣٢هـ/ ٦٦٢-٧٥٠م):

احتل الحجر الأسود مكانة خاصة في قلوب المؤمنين، وكان **عبد الله بن الزبير** (١-٧٣هـ/ ٦٢٣-٦٩٢م) أول من ربط الحجر الأسود بالفضة بعد أن "تصدع الحجر من الحريق بثلاثة فرق، فشده ابن الزبير بالفضة"[٨١].

لم تذكر المصادر من الشخص الذي قام بشد قطع الحجر الأسود بالفضة، أكان عبد الله بن الزبير نفسه أم بناء ماهر متخصص بالصنعة، خاصة وأن مكانة وقدسية الحجر لم تكن لتسمح بأي خطأ في عملية جمع القطع المتكسرة، كما لم تذكر كيفية عملية الجمع، هل تم ثقب قطع الحجر، ثم أدخلت الفضة المذابة في الثقوب لتعطي القطع المتكسرة تماسكًا قويًا، أم جمعت القطع بجوار بعضها، ثم صبت الفضة فوقها فكونت صبة واحدة متماسكة.

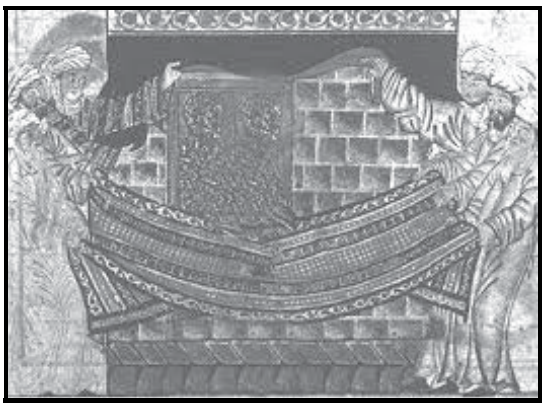

منمنمة تصور قصة حمل الحجر الأسود على ثوب لقبائل قريش استعدادًا لرده لمكانه من قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم من كتاب (جامع التواريخ للهمذاني)

ثانيًا - في العهد العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م):

مع مرور الزمن رقت الفضة المحيطة بالحجر الأسود "كانت الفضة قد رقت وتزعزعت وقلقلت حول الحجر الأسود، حتى خافوا على الركن أن ينقض، فلما اعتمر أمير المؤمنين هارون الرشيد[٨٢] في سنة تسع وثمانين ومائة، أمر بالحجارة التي بينها الحجر الأسود فثقبت بألماس من فوقها وتحتها، ثم أفرغ فيها الفضة وكان الذي عمل ذلك ابن الطحان ومولى ابن المُشمعل، وهي الفضة التي هي عليه اليوم"[٨٣].

تُظهر الطريقة السابقة في طريقة شد وتثبيت قطع الحجر الأسود ذكاء ومهارة خاصة، فقد تم ثقب الحجارة المحيطة بالحجر الأسود وبحذر شديد كي لا تصل الثقوب المعمولة إلى الحجر فتضره، ثم تم صب الفضة السائلة في هذه الثقوب لتقوي بنية الأحجار المحيطة بالحجر وتزيد من تماسكها، فتكون قادرة على حماية الحجر الأسود من أي أذى، وقد تم هذا العمل على يد صانعين اثنين خلد لنا التاريخ اسمهما، هما ابن الطحان ومولى ابن المُشمعل.

وقد ذكر الأزرقي أبعاد الإطار الفضي الذي أعيد صبه حول الحجر كإطار لتوضيح مكان الحجر وحمايته، فقال: "ذرع ما يدور بالحجر الأسود من الفضة ذراع وأربعة أصابع (حوالي ٥٢سم)، وحول الحجر الأسود من فضة مفرغ وهو يلي الجدر، ودخول الفضة التي حول الحجر الأسود ودخول الحجر الأسود في الجدار عن وجه حد الجدار أصبعان ونصف (حوالي ٤,١سم)"[٨٤]، وبقي هذا الإطار الفضي موجودًا عند زيارة ابن جبير[٨٥] وابن بطوطة لمكة[٨٦].

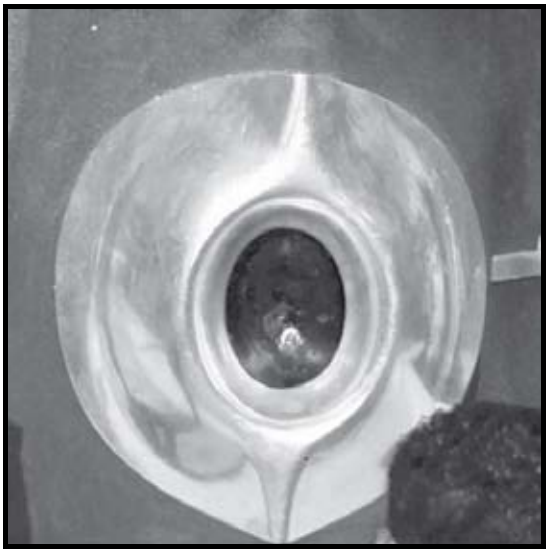

صورة مقربة للحجر الأسود والإطار الفضي المحيط به

٤ - الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن التقنية المستعملة في تصنيع وصياغة المعادن الثمينة لإكساء وتزيين أجزاء الكعبة المشرفة كانت تتطور في الحضارة العربية الإسلامية عبر العهود المختلفة على يد بنائين وحرفيين وصاغة مهرة، وتشهد على ذلك عمليات تطويع هذه المواد لاستعمالها كمواد

إكساء وتزيين لأجزاء متنوعة الأصل في الكعبة المشرفة حسب المعلومات الواردة في المصادر، ونأمل أن يكون هذا البحث خطوة أولى في إبراز الإبداعات التقنية العربية قبل وبعد الإسلام وإبراز دور الحرفيين العرب في وضع بصمة واضحة على العمارة الدينية وذلك بإدخال المواد الثمينة (الذهب والفضة) في مجال إكساء المباني على الرغم من علمنا بصعوبة العمل لقلة المعلومات وتبعثرها في المؤلفات العربية القديمة.

٥ - النتائج:

تعد صناعة المعادن الثمينة والأحجار الكريمة من أهم الصناعات المؤثرة بشكل كبير على اقتصاد البلاد لغلاء المواد الداخلة فيها والمنتجات الخارجة عنها؛ لذا كانت حملات تزيين الكعبة الواسعة بالمعادن الثمينة والجواهر النفيسة بمثابة مؤشر دال على قوة الخليفة والدولة وازدهار الاقتصاد، بينما ضعفت هذه الأعمال وقت ضعف قوة الخليفة وهيبة الدولة.

وقد استطعنا التعرف على أسماء بعض الصاغة والحرفيين المهرة المجهولين في الحضارة العربية/ الإسلامية الذين وظفوا خبرتهم للقيام بأعمال إكساء وتزيين رائعة تليق بمكانة الكعبة المشرفة، أمثال سالم بن الجراح وابن الطحان، ومولى ابن المُشمعل.

وظهرت روح الفريق الجماعية في العمل بأجمل صورة من خلال فريق إسحاق بن سلمة الذي تكاتف أفراده مع بعضهم، فقاموا بعمل رائع مازال التاريخ يذكره.

لقد أظهر استعمال المواد التزينية الثمينة مدى الدقة والإبداع عند الحرفي العربي الذي استطاع الاستفادة من مزاياها ليزين بها بيت الله الحرام بشكل أثار الدهشة والإعجاب لمشاهديها على مر العصور.

الحواشي

() **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، الآية ٩٦.

(٢) **السباهي**، عبد الإله، **كشف الأسرار عن سر الأحجار**، ط١، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ٢٠١٠م، ص٥٠.

(٣) **المرجع السابق**، ص٧٨.

(٤) **كذلك**، محمد محمد، **الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة**، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠١٨م، ص ص١٣-١٤.

(٥) **ابن قيم الجوزية**، شمس الدين (ت٧٥١هـ)، **هادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، خرج آياته وأحاديثه وكتب حواشيه زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٨م، الباب الرابع والثلاثون (في ذكر تربة الجنة وطيبتها وحصبائها وبنائها)، ص١٠٩.

(٦) **الكبيسي**، حمدان عبد المجيد، "الصناعة"، **حضارة العراق**، بغداد ١٩٨٥م، دار الجيل، بيروت، ج٥، الفصل السادس، ص ص٢٩٠-٢٩١.

(٧) **الزركاني**، خليل حسن، "الصناعة في بغداد للفترة (٣٣٤/ ٩٣٥م-٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)"، **مجلة التراث العلمي العربي**، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العدد الأول، ٢٠١٥م، ص١٥.

(٨) **كجه جي**، صباح اسطيفان، **الصناعة في تاريخ وادي الرافدين**، ٢٠٠٢م، ص٣٩.

(٩) **لوكاس**، ألفريد، **المواد والصناعات عند قدماء المصريين**، ترجمة زكي إسكندر ومحمد زكريا غنيم، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٣٦٦ وما يليها.

(١٠) **كجه جي، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين**، ص٣٩.

(١١) **عامر**، جمال سليمان علي، **الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام**، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، مصر، ص٣٠.

(١٢) **الخُلْبُ**: الطين الصلب اللازب، وقيل الأسود، وقيل طين الحمأة، وقيل هو الطين عامة، وماء مُخلب أي ذو خلب.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (٦٣٠-٧١١هـ)، **لسان العرب**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج١، حرف الباء، فصل الخاء، مادة "خلب"، ص٣٥٢.

(١٣) **كجه جي، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين**، ص٤٤.

(١٤) **المرجع السابق**، ص٤٤.

(١٥) **المرجع السابق**، ص٤٦.

(١٦) **القاسمي**، محمد سعيد **والقاسمي**، جمال الدين و**العظم**، خليل، **قاموس الصناعات الشامية**، حققه وقدم له ظافر القاسمي، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٨م، ج٢، حرف الصاد، مادة "صائغ"، ص٢٦٤.

(١٧) **عامر، الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام**، ص٣٥.

(١٨) **كجه جي، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين**، ص٤٠.

(١٩) **عامر، الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام**، ص٣٩.

(٢٠) **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، الآية ٩٦.

(٢١) **القرآن الكريم**، سورة البقرة، الآية ١٢٧.

(٢٢) **المسعودي**، أبو الحسن بن علي (٢٨٣-٣٤٦هـ/ ٨٩٦-٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصيرية، صيدا-بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ج٢، ص٣٨.

(٢٣) **المصدر السابق**، ج٢، ص٩٩.

(٢٤) **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل (٧٠١-٧٧٤هـ/ ١٣٠١-١٣٧٣م)، **البداية والنهاية**، حقق وخرج أحاديثه وعلق عليه مأمون محمد سعيد الصاغرجي، راجعه عبد القادر الأرناؤوط وبشار عواد معروف، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٣٦/ ٢٠١٥م، ج٣، ص ٩.

(٢٥) **الخربوطلي**، علي حسني، **الكعبة على مر العصور**، سلسلة اقرأ، ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر، العدد ٢٩١، ص٥٨.

(٢٦) **المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٢١٤.

(٢٧) **ابن كثير، البداية والنهاية**، ج٣، ص٩٧.

(٢٨) **ابن فضل الله العمري**، شهاب الدين أحمد بن يحيى (٧٠٠-٧٤٩هـ/ ١٣٠١-١٣٧١م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١، ص١٧٨.

(٢٩) **المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٣، ص٧٤.

(٣٠) الذراع: يعادل ٤٩,٣٢سم.

فاخوري، محمود و **خوام**، صلاح الدين، **موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية**، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١، ص٢٥.

(٣١) **الأزرقي**، محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ)،

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط١، مكتبة الأسدي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج١، ص٣٠٤.

(٣٢) **المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٣، ص٧٤.

(٣٣) شبر: يعادل ٢١,٩٢سم.

فاخوري وخوام، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، ص١٢٧

(٣٤) **الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج١، ص٣٠٧

(٣٥) **الحربي**، محمد، **قصة باب الكعبة الثاني الذي ظهر في "المشهد المهيب"**، ٢٠١٨، الموقع الإلكتروني https://www.alarabiya.

(٣٦) **الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج١، ص٣٠٧.

(٣٧) المثقال: يعادل ٤,٥٤غرام تقريبًا

فاخوري و خوام، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، ص٦٠.

(٣٨) **الخربوطلي**، علي حسني، **الكعبة على مر العصور**، ط٢، دار المعارف، سلسلة اقرأ، القاهرة، العدد ٢٩١، ص١٠٨.

(٣٩) **الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج١، ص٤٢١.

(٤٠) نِّجاف: العتبة وهي أسكفة الباب

الجوهري، إسماعيل بن الحماد (ت٣٩٨هـ)، **الصحاح**، راجعه واعتنى به محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، حرف النون، مادة "نجف"، ص١١١٩.

(٤١) عضادتا الباب: هما خشبتاه من جانبيه.

الجوهري، الصحاح، حرف العين، مادة "عضد، ص٧٧٩.

(٤٢) أصبع: الأصبع يعادل ٢,٠٥٥ سم.

فاخوري وخوام، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، ص٢٦.

(٤٣) الملبن: من اللُبن، واللبنة التي يُبنى بها، وهو المضروب من الطين مربعًا.

ابن منظور، لسان العرب، ج١٧، حرف النون، فصل اللام، مادة "لبن"، ص٢٥٨.

(٤٤) **الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج١، ص٤٢٤ وما يليها.

(٤٥) **ابن جبير**، محمد بن أحمد (٥٣٩-٦١٤هـ/ ١١٤٤-١٢١٧م)، **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ص١٠٢.

(٤٦) الصفح: الوجه، الجانب.

(٤٧) **ابن جبير، رحلة ابن جبير**، ص٦٠.

(٤٨) **المصدر السابق**، ص٦٩.

(٤٩) **ابن بطوطة**، محمد بن عبد الله اللواتي (٧٠٣-٧٧٩هـ/ ١٣٠٤-١٣٧٧م) - (بدأ رحلته ٧٢٥هـ)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)**، قدم له وحققه عبد المنعم عريان، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج١، ص١٤٧.

(٥٠) **سلامة**، حسين عبد الله، **تاريخ الكعبة المعظمة**، ط١، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ١٣٥٤هـ، ص٩٢ وما يليها.

(٥١) **المرجع السابق**، ص١١٢.

(٥٢) أساطين: أسطوان جمع أساطين، والأسطوان في المصطلح الأثري المعماري هو العمود ذو البدن الدائري قطعة واحدة من الحجر أو الرخام.

رزق، عاصم محمد، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٧.

(٥٣) **المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٣، ص٧٤.

(٥٤) **الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج١، ص٣٢٤.

(٥٥) أصبع: يعادل ٢,٠٥٥سم

فاخوري، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، ص٢٥.

(٥٦) **الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج١، ص٤٠٦ وما يليها.

(٥٧) **المصدر السابق**، ج١، ص٤١٠ وما يليها.

(٥٨) **المصدر السابق**، ج١، ص٤٠٩ وما يليها.

(٥٩) **المصدر السابق**، ج١، ص٤١٧.

(٦٠) السابورة: يريد بها المسبار الذي يسبر ويقاس به الغور ونحوه، ولعلها الآلة التي يضبط بها استقامة الجدران واستواؤها من أعلاها إلى أسفلها.

الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج١، ص ٤١٨ (المحقق).

(٦١) **المصدر السابق**، ج١، ص٤١٨.

(٦٢) **المصدر السابق**، ج١، ص٤١٥ وما يليها.

(٦٣) **لوكاس، المواد والصناعات عند قدماء المصريين**، ص ص ٣٧٠-٣٧١.

(٦٤) **الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج١، ص٣٢٥.

(٦٥) **الخربوطلي، الكعبة على مر العصور**، ص١٠٩.

(٦٦) **المرجع السابق**، ص١٠٩.

(٦٧) خالد بن جعفر بن كلاب العامري من مضر بن عدنان **الموسوعة الحرة ويكيبيديا**، مادة "خالد بن جعفر بن كلاب"، https://ar.wikipedia.org/

(٦٨) **أترجة**: (الكباد) الأُتْرُجُّ نبات معروف، واحدته تُرُنْجَةٌ وأُتْرُجَّةٌ؛ قال علقمة بن عَبَدة:

يَحْمِلْنَ أُتْـرُجَّـةً نَضْخُ العَبِيرِ بها
كَـأَنَّ تَطْيابَها، في الأَنْـفِ، مَشْمُومُ.

ابن منظور، لسان العرب، ج٣، حرف الجيم، فصل التاء، مادة "ترج"، ص٤٠.

(٦٩) **الخربوطلي، الكعبة على مر العصور**، ص١٠٣.

(٧٠) **مسعود**، جبران، **الرائد**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٩٢م، حرف الميم، مادة "ميزاب"، ص٧٨٣.

(٧١) **الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج١، ص٤٠٥.

(٧٢) **المصدر السابق**، ج١، ص٢٤٨.

(٧٣) **المصدر السابق**، ج١، ص٣٠٤.

(٧٤) **المصدر السابق**، ج١، ص٣٠٧.

(٧٥) **المصدر السابق**، ج١، ص٤٠٦.

(٧٦) **القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، ص١١٣.

(٧٧) **المصدر السابق**، ص١١٥

(٧٨) **المصدر السابق**، ص١١٥.

(٧٩) **ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة**، ج١، ص١٤٨.

(٨٠) **الخربوطلي، الكعبة على مر العصور**، ص١٢٢.

(٨١) **الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج١، ص٣٠٣.

(٨٢) حكم هارون الرشيد في الفترة (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م)

(٨٣) **الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج١، ص ٤٨١ وما يليها.

(٨٤) **المصدر السابق**، ج١، ص ٤٨١ وما يليها.

(٨٥) **ابن جبير، رحلة ابن جبير**، ص٦٦.

(٨٦) **ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة**، ج١، ص١٤٩.

المصادر العربية

١-**القرآن الكريم.**

٢-**ابـن بطوطة،** محمد بن عبد الله اللواتي (٧٠٣-٧٧٩هـ/ ١٣٠٤-١٣٧٧م) - (بدأ رحلته ٧٢٥هـ)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م-**تـحـفـة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)،** قدم له وحققه عبد المنعم عريان، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ج١، ٤٠٠صفحة.

٣-**ابن جبير،** محمد بن أحمد (٥٣٩-٦١٤هـ/ ١١٤٤-١٢١٧م)، **رحلة ابن جبير،** دار صادر، بيروت، لبنان، ٣٤١صفحة.

٤-**ابن فضل الله العمري،** شهاب الدين أحمد بن يحيى (٧٠٠-٧٤٩هـ/ ١٣٠١-١٣٧١م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،** تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج١، ٥١٢ صفحة.

٥-**ابن قيم الجوزية،** شمس الدين (ت٧٥١هـ)، **هادي الأرواح إلى بلاد الأفراح،** أخرج آياته وأحاديثه وكتب حواشيه زكريا عميرات، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢، ٣٠٤ صفحة.

٦-**ابن كثير،** أبو الفداء إسماعيل (٧٠١-٧٧٤هـ/ ١٣٠١-١٣٧٣م)، **البداية والنهاية،** حقق وخرج أحاديثه وعلق عليه مأمون محمد سعيد الصاغرجي، راجعه عبد القادر الأرناؤوط وبشار عواد معروف، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٣٦/ ٢٠١٥م، ج٣، ٥٢٣ صفحة.

٧-**ابـن منظور،** جمال الدين محمد(٦٣٠-٧١١هـ)، **لسان العرب،** وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ج١-٤٦٩صفحة، ج٣-٥١١ صفحة، ج١٧-٤٦٤صفحة.

٨-**الأزرقي،** محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ)، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار،** دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط١، مكتبة الأسدي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج١، ١١٩٥صفحة.

٩-**الجوهري،** إسماعيل بن حماد (ت٣٩٨هـ)، **الصحاح،** راجعه واعتنى به محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ١٢٨٧ صفحة.

١٠-**القزويني،** زكريا بن محمد بن محمود، **آثار البلاد وتاريخ العباد،** دار صادر، بيروت، ٦٦٧صفحة.

١١-**المسعودي،** أبو الحسن بن علي (٢٨٣-٣٤٦هـ/ ٨٩٦-٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر،** اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصيرية، صيدا-بيروت،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ط١، ج٢-٣٥٢ صفحة، ج٣-٣٥٩صفحة.

المراجع العربية

١- **الخربوطلي،** علي حسني، **الكعبة على مر العصور،** سلسلة اقرأ، العدد ٢٩١، ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٢٤ صفحة.

٢- **رزق،** عاصم محمد، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية،** ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ٩٧٧صفحة.

٣- **الزركاني،** خليل حسن، "الصناعة في بغداد للفترة (٣٣٤/ ٩٣٥م-٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)"، **مجلة التراث العلمي العربي،** مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ٢٠١٥م، العدد الأول، ٧-٣٢ صفحة.

٤- **السباهي،** عبد الإلـه، **كشف الأسـرار عن سر الأحـجـار،** ط١، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ٢٠١٠م، ٢٢٤صفحة.

٥- **سلامة،** حسين عبد الله، **تاريخ الكعبة المعظمة،** ط١، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ١٣٥٤هـ، ٤٠١صفحة.

٦- **عامر،** جمال سليمان علي، **الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام،** رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، المعهد العالي

لحضارات الشرق الأدنـى، قسم شبه الجزيرة العربية، ٢٤٣صفحة.

٧- **فاخوري**، محمود و**خوام**، صلاح الدين، **موسوعة وحدات القياس العربية الإسلامية**، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١م، ٥٠١ صفحة.

٨- **القاسمي**، محمد سعيد و**القاسمي**، جمال الدين و**العظم**، خليل، **قاموس الصناعات الشامية**، حققه وقدم له ظافر القاسمي، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٨م، ج٢، ٥٣٥صفحة.

٩- **الكبيسي**، حمدان عبد المجيد، "الصناعة"، **حضارة العراق**، دار الجيل، بيروت،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ج٥، ٤٠٣صفحة.

١٠- **كجه جي**، صباح إسطيفان، **الصناعة في تاريخ وادي الرافدين**، ٢٠٠٢م، ١٤٧صفحة.

١١- **كذلك**، محمد محمد، **الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة**، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠١٨م، ١٥٥صفحة.

١٢- **لوكاس**، ألفريد، **المواد والصناعات عند قدماء المصريين**، ترجمة زكي إسكندر ومحمد زكريا غنيم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٤١١هـ/١٩٩١م، ٨٢٢ صفحة.

١٣- **مسعود**، جبران، **الرائد**، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ٩١٢صفحة.

المواقع الإلكترونية

١- **الحربي**، محمد، **قصة باب الكعبة الثاني الذي ظهر في "المشهد المهيب"**، ٢٠١٨، الموقع الإلكتروني https://www.alarabiya.net/

٢- **الموسوعة الحرة ويكيبيديا**، مادة "خالد بن جعفر بن كلاب"، الموقع الإلكتروني https://ar.wikipedia.org/

أحمد البوني ونظمه لعقيدة أبي مدين الغوث

دراسة وتحقيق وتعليق

أ. د. مرزوق العمري
أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية
جامعة باتنة ـ ا ـ الجزائر

مقدمة:

أحمد بن قاسم البوني عالم من علماء الإسلام الكبار، اشتهر بكثرة تآليفه وتنوعها، في ظرف قل فيه المؤلفون؛ الأمر الذي ميّزه عن علماء عصره، فعلى الرغم من أن بعض مترجميه ترجموا له على أنه محدّث من المحدّثين؛ لكن المتتبع لتراث أحمد البوني يجده من العلماء الموسوعيين؛ فقد كتب في مختلف العلوم الإسلامية مثل: الفقه والحديث والتوحيد واللغة. . . . وغيرها بالإضافة إلى العلوم الطبيعية مثل علم الطب، كما تنوعت كتاباته فمنها التآليف الأصيلة ومنها الشروح ومنها الحواشي ومنها المنظومات.

من المنظومات التي تركها لنا أحمد البوني والتي تستوقف الباحث في مجال التراث منظومته في العقيدة الأشعرية وهي نظم لعقيدة أبي مدين الغوث التي هي بدورها متن أشعري مهم في تاريخ علم العقيدة والتي سبق لي أن حققتها ونشرتها في مجلة الإبانة المغربية وتيسّر لي العثور على نظم لعقيدة أبي مدين فأقبلت على تحقيقها أيضا عسى أن تكون متممة للنص الأصلي أعنى نص أبي مدين الغوث.

وفي حدود ما وقفت عليه أن هذا النظم لأحمد البوني لم يحقق بعد شأن تراثه بشكل عام الذي مازال لم يحقق بعد رغم كثرته وتنوعه، والنسخة التي اعتمدتها نسخة وحيدة عثرت عليها في المكتبة الخاصة لزميلنا في الكلية وفي الاختصاص الدكتور عبد الكريم رقيق. وهي نسخة ما تزال في حالة جيدة وخطها واضح كل الوضوح الأمر الذي يجعل من تحقيقها أمر متيسر للغاية، فاعتمدتها نسخة وحيدة وقد رمزت لها في الهوامش بالحرف **"خ"** مع مقارنتها في بعض الأحيان بنص أبي مدين.

أما عملي في هذا النص فتوزع على ثلاثة جوانب: أحدها دراسة قسمتها إلى شقين أحدهما ترجمة للناظم وهو أحمد بن قاسم البوني؛ حيث وقفت على مولده ونشأته، ورحلته في طلب العلم، وعلاقته بعلماء عصره، ووفاته وأهم آثاره العلمية. أما الشق الثاني فقد تضمن دراسة هذا المخطوط وفي هذا الشق تم التطرق إلى أصل هذا النظم فأصله نظم لعقيدة أبي مدين الغوث ومن جهة ثانية تم التطرق إلى إثبات صلته بنص أبي مدين .

أما الجانب الثاني فهو تحقيق لنظم أحمد البوني الذي يقع في ٨٤ بيت فأعدت كتابتها وفق قواعد الكتابة المعاصرة وتمت الإشارة إلى بعض الألفاظ الموجودة على الحاشية وكذا الترجمة لبعض الأسماء التي وردت في المتن مثل أبي مدين الغوث. وأما الجانب الثالث فهو تعليقات على كل ماورد في النظم وذلك بتوضيحها إن كان المقام يقتضي توضيحا أو توثيقها إن كان المقام يقتضي توثيقا أو مقارنة إن كان يستدعي المقارنة . . . وما إلى ذلك، وفي كل ذلك كنت أرجع إلى المصادر الأساسية للمذهب الأشعري خاصة بحكم أن هذا النظم في العقيدة الأشعرية أيضا. وفي النهاية ذيلت هذه الدراسة بقائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدتها.

أولا

حياة أحمد البوني

١ـ مولده ونشأته:

هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد ساسي[١] التميمي البوني، وُلد ببونة[٢] سنة (١٠٦٣هـ/١٦٥٣م)، وهو التاريخ الذي ذكره معظم مترجميه ومنهم أبو القاسم سعد الله[٣] نشأ في أسرة ميسورة الحال، معروفة بالعلم والوجاهة ولها اهتمام بالتصوف، فقد كانت عائلتُه حسب ما ذكر البوني نفسه في كتابه: **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة** تنتمي إلى مجموعة بشرية واسعة مُمتدّة غرباً إلى نواحي قسنطينة، وشرقاً إلى نواحي الكاف وباجة من بلاد تونس؛ حيث أخذ أحمد البوني العلم من هذه النواحي[٤] وهو تميمي النسب،[٥] كما كان يضيف ذلك إلى اسمه في الكتب والمخطوطات التي خطها بيده.

كما كانت أسرته ذات سمعة واشتهرت بعلاقاتها الحسنة مع الأتراك العثمانيين الذين كانوا حكاما للجزائر في ذلك الوقت، سواء الباشاوات في الجزائر العاصمة، أو بايات الشرق الجزائري، كما أسهمت هذه الأسرة مثل الكثير من الأسر العلمية الجزائرية في خدمة العلم ليس العلم الديني فقط بل حتى العلم الطبيعي مثل الطب وسنبين ذلك في ذكر تآليفه.

بدأ أحمد البوني تعليمه على يد والده قاسم بن محمد البوني الذي كان من علماء بونة المشهورين بالتقوى والصلاح، درس في جامع بونة علوم الشريعة مثل: التفسير والحديث والفقه. . . وغيرها، كما كان جدّه من مرابطي وعلماء القرن الحادي عشر في بونة، وقد اشتهر بالفقه والتصوف حتى أصبح كما يقول معاصره عبد الكريم الفكون في منشور الهداية: "مسموع القول عند الخاصة والعامة"[٦].

وقد ذكر البوني واعترف بأن جده هذا قد أثار بعض علماء زمانه ضده لمبالغته في التصوف واستعمال بعض الطرق غير السليمة لجلب المال وأضاف قائلا عنه: "إن الفقه والتصوف قد غلبا على

---

(١) وبذلك يتميز عن أحمد البوني صاحب شمس المعارف الكبرى؛ فهذا ابن قاسم والآخر ابن علي.

(٢) بونة مدينة جزائرية وهي التي تعرف الآن بمدينة عنابة إحدى مدن الشرق الجزائري. وخلال العهد الاستعماري عرفت بـ : Bône. كما هي في اللغة الفرنسية.

(٣) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٨م، ج٢، ص٦١.

(٤) أحمد البوني: التعريف ببونة بلد سيّدي أبي مروان الشريف، منشورات المجلس الشعبي البلدي، عنابة ، الجزائر ط١، ٢٠٠٠م ص٣٢.

(٥) مما يدل على أنه عربي النسب، ومما يدل أيضا على اهتمامه بالأنساب، وهذا شأن أبناء الأسر العريقة في كل جيل من الأجيال.

(٦) عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط١ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٦٥.

جدي حتى امتزجا فيه"[1]،ثم ذكر أنه ترك بعض التآليف التي كانت في التصوف بالدرجة الأولى.

٢ـ رحلته في طلب العلم:

اشتهر الشيخ أحمد البوني بكثرة الترحال طلبا للعلم وقد ساعده في ذلك وضع أسرته الميسورة الحال فقد انتقل إلى أهم العواصم العلمية في ذلك الوقت مثل: تونس والمغرب، ومصر؛ حيث أخذ العلم عن الشيخ عبد الباقي الزرقاني[2] ، والشيخ يحيى الشاوي المليانى[3]. . . وغيرهما، كما سافر إلى الحجاز واستقر هناك فترة بعد أدائه فريضة الحج يتصل بشيوخ الحجاز والعلماء الذين يقصدون البقاع المقدسة من مختلف أقطار العالم الإسلامي ليأخذ منهم وقد دون رحلته الحجازية وعنونها بـ: **الروضة الشهية في الرحلة الحجازية**. وهذا ما يدل على علو همته العلمية وسعيه المتواصل في طلب العلم وهو جهد يعد بقريحة مبدعة وأفق علمي كبير. وبالفعل تأكد ذلك في مرحلة لاحقة بما تركه من تآليف كثيرة في مختلف المجالات المعرفية.

وبعد اجتهاده في التحصيل العلمي تيسر له الإلمام بمختلف علوم الشريعة؛ ولذلك فهو يذكرنا بكبار علماء الإسلام الموسوعيين الذين اشتهروا في العصر العباسي. وعلى الرغم من الموسوعية العلمية التي اشتهر بها البوني إلا أنه كان يصنف من المحدثين لما كان له من ميل إلى هذا العلم من علوم الشريعة، وقد ترجم له أبو القاسم سعد الله ضمن علماء الحديث في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي[4]، كما ذكره الزركلي بأنه عالم بالحديث[5] ولعل كثرة احتكاكه بعلماء الحديث جعلته يهتم بهذا العلم بشكل متميز ومن ثم صنف بأنه من المحدثين.

ولم يغفل الدكتور سعد الله عن اهتمامه بالفقه والتصوف بل علّق على ما قاله أحمد البوني عن جده حينما قال بأنه غلب عليه الفقه والتصوف علق عليه قائلا: بأن ذلك يصدق عليه بشكل أكثر[6] ومن شيوخه في الحديث في الجزائر والده، ويحيى الشاوي وأحمد العيدلي الزواوي الملقب بالصديق، وأبي مهدي عيسى الثعالبي، وأبي القاسم بن مالك اليراثني الزواوي أيضا وبركات بن باديس القسنطيني وهؤلاء جميعا من الجزائريين[7]، كما ذكر غيرهم من التونسيين والمصريين والمغاربة مثل : اللقاني

(١) المصدرالسابق، ص ١٦٤.

(٢) هو أبو محمد عبد الباقي بن يوسف الزرقاني محقق وفقيه مصري كان من أبرز علماء المالكية في مصر في زمانه، من آثاره شرح مختصر خليل، توفي سنة ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م. انظر الأعلام للزركلي، ج ٣، ص ٢٧٢.

(٣) هو يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكريا الشاوي المليانى الجزائري متكلم وفقيه مالكي. ولد سنة ١٠٣٠هـ بمليانة وتوفي سنة ١٠٩٦هـ على متن قارب في مياه البحر الأحمر وهو متجه لأداء فريضة الحج ودفن بمصر، من آثاره : توكيد العقد فيما أخذه الله علينا من العهد. انظر الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، سلسلة الأنيس للعلوم الإنسانية، الجزائر ١٩٩١م، ج١، ص ٢٢١ وما بعدها

(٤) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج٢، ص٦١.

(٥) خير الدين الزركلي: الأعلام: دار العلم للملايين، ط١٦، ٢٠٠٥م، ج١، ص١٩٩.

(٦) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج٢، ص ٦٢.

(٧) المرجع نفسه، ص ٦٤.

المالكي ، والخرشي المالكي أيضا، والزرقاني . . . وغيرهم. [1]

ومن صور اهتمامه بالحديث وعلومه التأليف في هذا العلم إضافة إلى المجالس التي كان يعقدها لرواية وشرح الصحاح الستة والموطأ، كل ذلك دال على الاهتمام الكبير الذي كان يوليه للحديث الشريف رواية ودراية حتى لقب بالمحدّث والمسند والجمّاع والمطلع . . . وغيرها من الألقاب والأوصاف التي عرف بها.

من صور اهتمامه بالحديث أيضا منحه إجازات لطلبته من ذلك: إجازته لولده أحمد الزروق الذي خصه بالذكر في الدرة المصونة وأثنى عليه بأبيات منها:

بأحمد الـــزروق ولـــدي قـــوّى بـــه الله الكريم خلدي

حـوى فنونا مع تقوى الله أحـي بـــه سلفنـــا إلـــهي[2]

كما أجاز محمد بن علي الجعفري مفتي قسنطينة، وهي الإجازة التي جمع فيها أكثر شيوخه كعادة المحدثين في إجازاتهم، وهذه الإجازة كتبها في أخريات أيامه سنة ١١٣٦ هـ، وقد قال عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس والأثبات: "وقد وقفت على إجازة المترجم أحمد بن قاسم المذكور العامة لولده أحمد الملقب زروق ورفيقه محمد بن علي السعيدي الجعفري المعروف بمفتي قسنطينة وهي في نحو أربع كراريس اشتملت على فوائد وغرائب عدد فيها شيوخه وأسانيد الستة وبعض المصنفات المتداولة في العلوم[3]، وذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أنه اطلع على نسخة من هذه الإجازة التي كتبت سنة ١١٤٠هـ؛ أي: بعد وفاته بفترة قصيرة. [4]

٢ـ علاقته بعلماء وحكام عصره:

لقد أتاحت حياة الترحال هذه للبوني الاتصال بمشاهير عصره من العلماء والساسة على حد سواء فاشتهر بعلاقاته الواسعة ومراسلاته الكثيرة وتواصله مع علماء عصره، ومن هؤلاء الشيوخ:

شيخه بركات بن باديس القسنطيني، وتلامذته حسن بن سلامة الطيبي المصري، وعبد الرحمن الجامعي، وعبد القادر الراشدي القسنطيني. . . وغيرهم من الطلاب النجباء الذين أسهموا بنشاط علمي بارز، ثم برزوا كمؤلفين في مختلف مجالات العلوم الإسلامية، ويكفي ذكر ابنه المحدث المسند أحمد الزروق الذي أجاز مرتضى الزبيدي سنة ١١٧٩هـ، وكذلك أبو زيد عبد الرحمن الجامعي الفاسي

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن أحمد البوني ذكر شيوخه من الجزائريين وغير الجزائريين في منظومته الدرة المصونة، انظر الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تقديم وتحقيق: أ. د سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ١٠٥ وما بعدها.

(٢) أحمد البوني: الدرة المصونة، ص٧٩.

(٣) عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١، ص ٢٣٩.

(٤) انظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج٢، ص٦٤.

المغربي الذي نزل عنده وأخذ عنه وطلب منه الإجازة، وترجم له في رحلته المسماة بـ **نظم الدرر المديحية في محاسن الدولة الحسينية** "وفي **"التاج المشرق الجامع ليواقيت المغرب والمشرق"**؛ حيث قال عنه: " لما دخلتها[يعني بونة] أممت دار الشيخ الرباني العالم العرفاني أبي العباس أحمد ابن الولي الصالح البر الناجح أبي عبد الله قاسم بن الولي الصالح أبي عبد الله محمد المعروف ساسي فوجدته طلق المحيا، وأنزلني بمنزل لإكرام أضيافه مهيأ، فأقمت عنده ينزهني في كل يوم في رياض تآليفه الحديثة وغيرها، وينثر علي كل ساعة من فرائد فوائده ما تبخل به على الغائصين قعور بحرها، وكنت أحضر أثناء تلك المدة مجلس رواية الصحيحين بين يديه مع مشايخ بلده وولديه ومما رويت عنه فسح الله في أجله وأسهب، وإن تآليفه بلغت ما ينيف على المئة ما بين مختصر ومسهب، ولما وقفت في علم الحديث على البحر العباب والعجب العجاب سألته الإجازة فيما وقفت عليه وغيره من تصانيفه ".[1]

هذا عن العلماء أما عن الساسة والحكام فقد كانت تربطه بهم علاقات طيبة خاصة الباشوات والبايات العثمانيين، ويتجلى ذلك من خلال محاولاتهم التقرب منه وطلب وده، نظرا للمكانة العلمية والروحية التي كانت تتمتع بها الأسرة، وما اكتسبه البوني من حب الناس واحترامهم له ، فتوددوا إليه وأرسلوا له الهدايا والعطايا، وبذلك صار يصنف عند المؤرخين بأنه من أعلام بونة[2] ومما يجدر ذكره هنا أن الباشا محمد بكداش[3]عندما كان موظفا في حكومة الباشا السابق له حسين خوجة – وهذا الباشا حسين خوجة كان صديقا للبوني ولوالده من قبله - قد نُفِيَ إلى مدينة بونة، فحضر دروس الشيخ أبي القاسم البوني، وتتلمذ له وقامت بينهما صداقة دامت حتى بعد تعيين محمد بكداش في أعلى هرم السلطة، وتوليه حكم (باشوية) الجزائر.

فكانت بينهما مراسلات وسفارات، وحين استرد هذا الباشا مدينة وهران سنة ١١٢٠هـ، بعد احتلالها من قبل الأسبان، ذكر هذا الحدث أحمد البوني في درته حين قال: مهنِّئاً إياه فيها بفتح وهران،:

وفتحت على يده وهران فكمل المجد له والبرهان

أطال الله لنا أعوامه وسدد الله لنا أقوامه

(١) عبد الرحمن الجامعي: نظم الدرر المديحية في محاسن الدولة الحسينية، نقلا عن عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص ٢٣٦.

(٢) المهدي البوعبدلي: لمحة من تاريخ بونة الثقافي والسياسي ودور بعض علمائها عبر التاريخ، محاضرة قدمت في ملتقى الفكر الإسلامي المنعقد بعنابة سنة ١٩٧٦م، طبعت ضمن أعمال الملتقى، منشورات وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، الجزائر، ج١، ص٥٣.

(٣) هو محمد بن أبي الحسين نور الدين علي بن محمد النكيد نسبة إلى نكيدا من بلاد الترك، وهو الذي حرر مدينة وهران الجزائرية من حكم الإسبان، وكان ذلك يوم الجمعة ٢٦ شوال ١١١٩هـالموافق ٢٠ جانفي ١٧٠٨م، وهو أحد باشوات الجزائر أيام الدولة العثمانية، قتل على يد دالي إبراهيم يوم السبت ٢١محرم ١١٢٢هـ/ ٢٢مارس ١٧١٠م. انظر: كتاب: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تأليف محمد بن ميمون الجزائري، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ص ٣٠، ٤٤..

ثم كاتبه بعد فتح وهران مهنئا له بهذا الإنجاز وملفتا انتباهه إلى حالة بلاده بونة مشيرا إليها بهذه القرية فقال:

أريـــــــد أن أخـبـركـم أدام ربـــي نـصـركـم
بـحـال هـــذه الـقـريـــــة بـالـصـدق لا بـالـفـريـة
قـد صـــال فـيـهـا الـظـالـم وهـــان فـيـــهـا الـعـالـــم
خـــربـت الـمـساجـــــد وقـل فـيـهـا الـسـاجـــد
حـبـســـهـا قـد أســـــرفـا نـاظـــــره فـأشـــرفـا
وأهـمـــلـت أسـعـارهـا وبـــدلـت شـعـــارهـا
والـشـرع فـيـهـا بـاطـل والـظـلـم فـيـهـا هـاطـل
والـخـوف فـي سـبـيـلـهـا والـقـحـط فـي سنبلـها
وكـــم مـــن الـقـبـــائـح وكـــم مـن الـفـضـــائـح

إلى أن خاطبه قائلا:

والـلـه قـــد ولّاكـــــم حـكـمـــا وقـد علاكـم
فـــــداركـوا الإسـلامـا ونـــــوّروا الـظـــلامـا

٤ـ وفاتـه:

توفي أحمد البوني بعدما جاوز السبعين من العمر سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م، ودفن بمسقط رأسه مدينة عنابة ـ بونة ـ تاركا وراءه إرثا علميا ثمينا، هو من التركات العلمية الكبيرة في تاريخ الإسلام.

٥ـ آثـاره:

عدّ أحمد البوني في نظر المؤرخين وعند المشتغلين بتراجم الأعلام عدّ من المكثرين في مجال الكتابة والتأليف، وقد كتب عن نفسه في هذا المجال فله رسالة عنونها بـ: **"التعريف بما للفقير من التآليف"**،عرف فيها بالكتب التي كتبها، ومن الذين ذكروا تآليفه أبو القاسم الحفناوي بالاعتماد على كتابه التعريف السابق الذكر(١) ومن المعاصرين الذين اهتموا بتراثه الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي قال عنه: " فقد ألف أحمد البوني تآليف كثيرة بلغت كما أخبر بنفسه أكثر من مئة تأليف بدون المنظومات والمقطوعات"(٢)، وهـو ذات العدد الذي ذكره الزركلي في ترجمته له (٣).

(١) أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ١٩٩١م، ج٢، ص٣٧٦ وما بعدها.

(٢) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج٢، ص٦٢

(٣) خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٦ ٢٠٠٥ ، ، ج١، ١٩٩.

وفي الحقيقة ما وقفت عليه من تآليفه المختلفة يعني الكتب والمنظومات بلغت مئتين وثمانية أعمال وهو عدد كبير جدا، ولذا أشرت في بداية هذه الترجمة أنه يذكرنا بعلماء الإسلام الكبار الذين برزوا في القرون الأولى، ومما يؤسف له أنه لم يحظ تراثه بالدراسة والتحقيق وهذا سر بقائه مجهولا، وقد تنوعت أعماله العلمية هذه فتوزعت على مختلف العلوم الإسلامية والعربية مثل: الفقه، والعقيدة، والنحو، والتصوف، والحديث، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، وحتى بعض العلوم الطبيعية مثل الطب . . . وغير ذلك.

فما يلاحظ على هذه التآليف التنوع الموضوعي فقد توزعت على مختلف العلوم العربية والإسلامية، ومن جهة ثانية توزعت على مختلف أنماط الكتابة؛ فمنها الكتب ومنها الشروح والحواشي ومنها المنظومات وهو صاحب نفس طويل في نظم المنظومات مما يدل على أنه صاحب قريحة شعرية متميزة ومن الأمثلة على ذلك. نظم الخصائص الكبرى للسيوطي في نحو ثمان مئة بيت. ومن جهة ثالثة لوحظ على تلك الأعمال أنه منها ما أتمه في حياته ومنها ما لم يتمه وفي هذا يقول الدكتور سعد الله: " ومن هذه التآليف ما كمل ومنها مالم يكمل"(١) ومنها الشعر والنثر، كما أن منها ما يدخل في باب الحديث والسنة وما يتناول غير ذلك"(٢).

وعند تتبع أعماله من خلال ما ذكر مترجموه بالمقطوعات والمنظومات فقد وقفت على أكثر من مئتي عمل كلها مخطوطة باستثناء كتابين اثنين(٣)، ولكثرتها يتعذر ذكرها جميعا ولذا سأذكر نماذج من كل علم من العلوم التي كتب فيها على النحو الآتي:

ففي **الفقه** مثلا كتب: فتح الإغلاق على وجوه مسائل مختصر خليل بن إسحاق، نظم مشتمل على سنده في الفقه. ونظم فصول مختصر خليل مماثلا به نظم الأجهوري. ونظم فرائض المختصر لم يكمل.

وفي **العقيدة** كتب: نظم قواعد الإسلام، وعقيدة صغيرة. ونظم عقيدة السنوسي السادسة وهي مجهولة عند الكثير من الناس وشرحها صاحبه العلامة سيدي عبد الرحمن الجامعي، قيل: إن الشيخ السنوسي وضعها للنسوان والصبيان، ونظم عقائد النسفي. ونظم شعب الإيمان، ونظم عقيدة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني. وشرح عقيدة الوالد، لم يكتمل. ونظم صغرى السنوسي والياقوتتان الكبرى والصغرى في التوحيد، ضاهى بهما جوهرة اللقاني وإضاءة الدجنة للمقري **ونظم عقيدة سيّدي أبي مدين، دفين تلمسان**. وهي المنظومة التي بين أيدينا.

وفي **السيرة النبوية كتب**: نظم أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكرها صاحب الدلائل.، ونظم أسمائه أيضا صلى الله عليه وسلم التي شرحها الرصاع، ونظم السيرة المحمدية. وكتاب اللمحة

(١) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج٢، ص ٦٢.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

(٣) هما: الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، نشرته مؤسسة بونة للأبحاث والدراسات بعنابة ـ الجزائر ـ بتحقيق الدكتور سعد بوفلاقة، سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، والثاني هو التعريف ببونة بلد سيّدي أبي مروان الشريف طبعته نفس المؤسسة في نفس السنة.

البارقة السنية بذكر السيرة المحمدية، على نمط تنبيه الأنام.

وفي **الحديث** كتب: نظم تراجم كتاب الشمائل للترمذي. ، نظم كتب البخاري. وإظهار بعض نفائس ادخاري المهيآت لختم البخاري، والتحقيق في أصل التعليق؛ أي الكائن في البخاري، وفتح الباري بشرح غريب الإمام البخاري، والإلهام والانتباه في رفع الإبهام والاشتباه؛ أي الكائنين في البخاري.

وفي **التصوف** كتب: نظم أخلاق الصوفية التي حواها كتاب "تنبيه المغترين" للشعراني. وتعجيز التصدير وتصدير التعجيز للبردة، وآخر قريب منه لم يكمل، ونظم جامع لآداب الدعاء وشروطه وأركانه وأوقاته وغير ذلك. والفتح الموالي بشرح ألفاظ حزب النووي، نظمه في حياة والده، وبسببه مدحه بقصيدة شيخه العلامة الولي سيدي يوسف بن محمد فكيهات الأندلسي صاحب نظم الشذور. وكتاب روضة الأزهار ونفحة الأسحار في الصلاة على النبي المختار على نمط تنبيه الأنام . ومجموع في السماعين لم يكمل. وغبار نعال أهل الله تعالى. وحث الورّاد على حب الأوراد، مشتملا على ثمانية كتب هي: تلقيح الفكر بفضائل الذكر، ابتهاج الأفكار بمسائل الأذكار. اليواقيت المنشورة في أسانيد الكتب المأثورة. رفع الاشتباه عن حديث الانتباه ملء المعى بأحكام الدعا. أنفع العطر بذكر الخضر. مرود الصفا في فضائل الصلاة على المصطفى. الكنز المختبي في الصلاة على النبي المجتبي.

وفي **اللغة** كتب: نظم الأجرومية في تسعين بيتا، وشرح عليه لم يكمل، وصل فيه للنائب عن الفاعل، وتحفة الأريب بأشرف غريب، اختصر فيه غريب العزيزي للقرآن العظيم. ونظم القطر لابن هشام لم يكمل.

وفي **الطب** كتب: إعلام أرباب القريحة بالأدوية الصحيحة في الطب. ومختصر في الطب أيضا لتذكرة داود. وإتحاف الألباء بأدوية الأطباء.

وفي **الخطابة** كتب: إتحاف النجباء بمواعظ الخطباء.

وفي **السياسة** كتب: نظم اشتمل على واقع مراد باي التونسي عسكر الجزائر، وما جرى بينهما من الحروب.

وفي **التراجم** كتب: فتح المعين بذكر مشاهير النحاة واللغويين.

وفي **الشعر** له ديوان شعر لم يكتمل.

وفي **الرحلات** له الروضة الشهية في الرحلة الحجازية.

وفي **التاريخ** كتب: الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة.

هذه نماذج فقط من كل علم من العلوم التي كتب فيها، وغير هذه التآليف الكثير، لقد جاوزت تآليفه المئتين كما تمت الإشارة إلى ذلك.

الصفحة الأولى من متن عقيدة أبي مدين الغوث

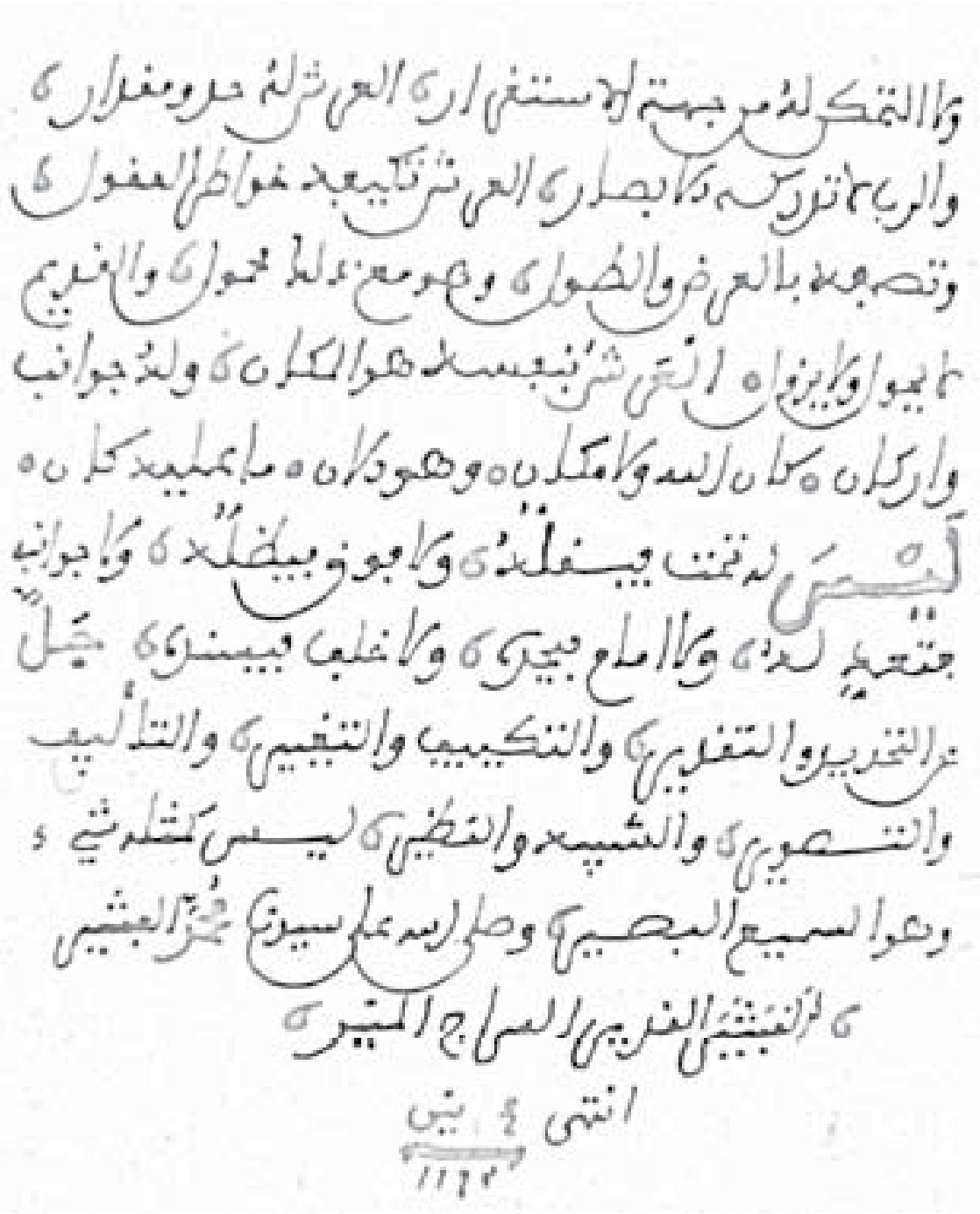

الصفحة الأخيرة من متن عقيدة أبي مدين الغوث

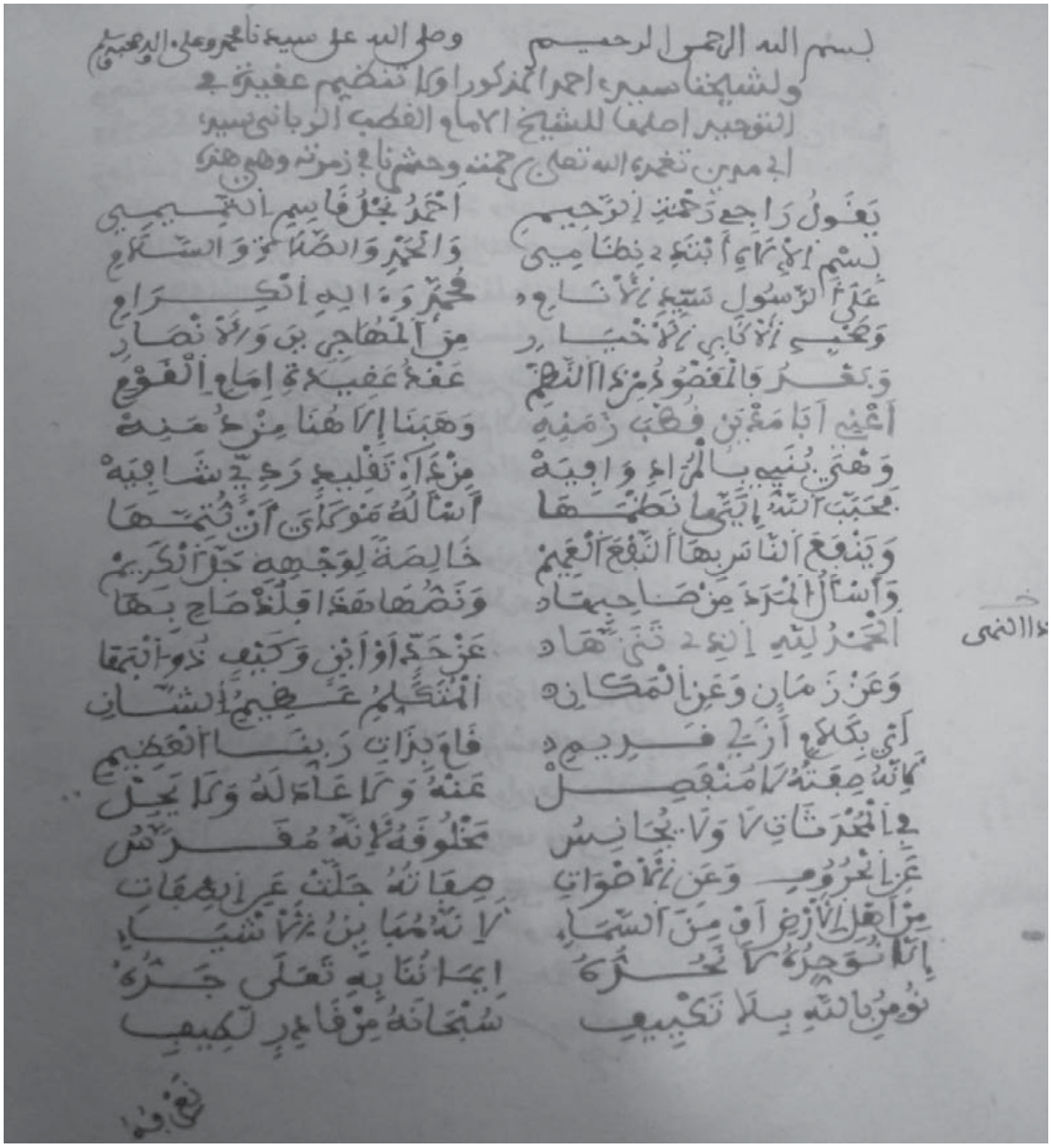

الصفحة الأولى من منظومة أحمد البوني

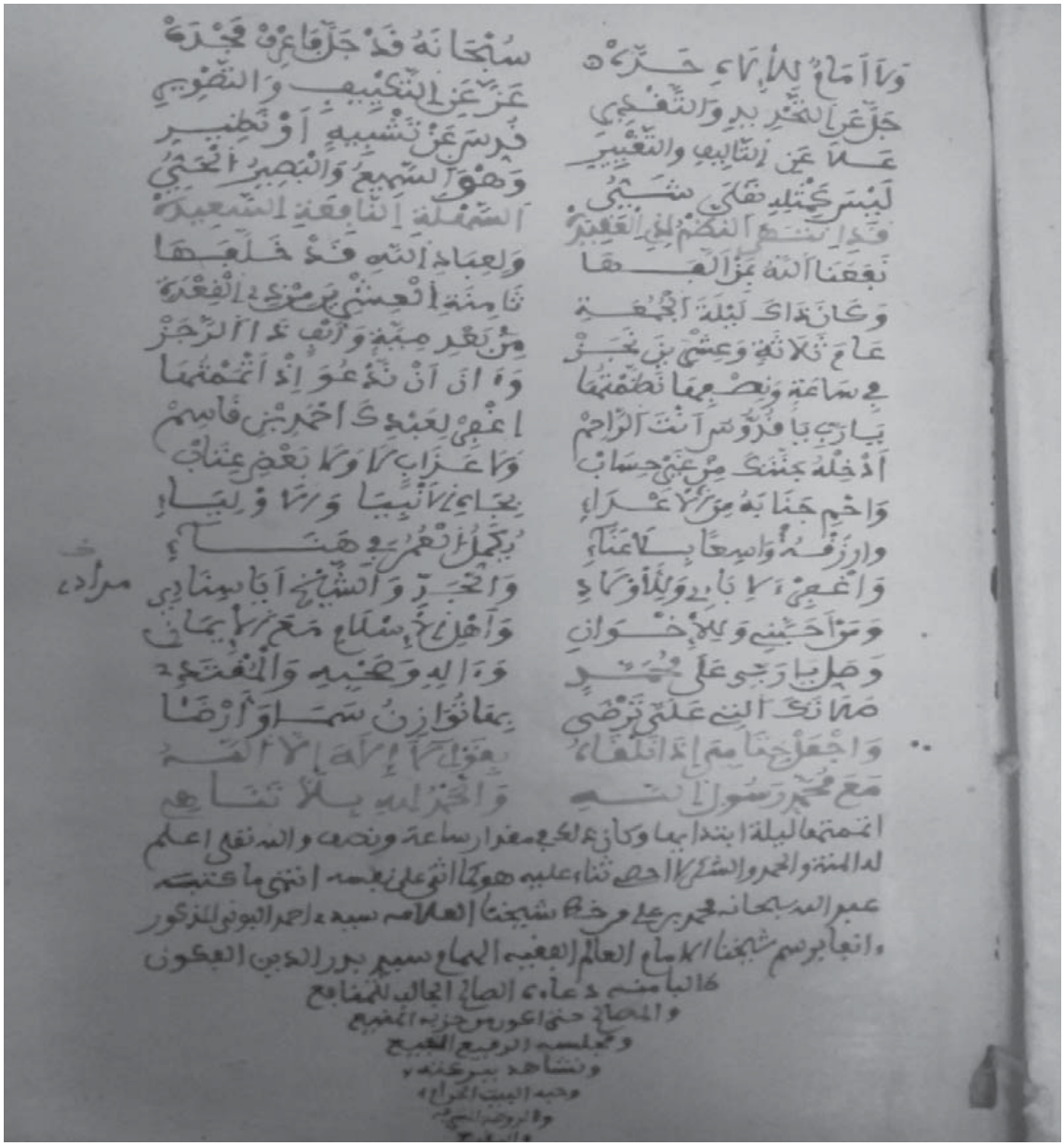

الصفحة الأخيرة من منظومة أحمد البوني

ثانيا

المخطــوط

ا- أصل النظم:

منظومة أحمد البوني على عقيدة أبي مدين الغوث نص جزائري في علم العقيدة يعود إلى الفترة العثمانية، وأعيد نسخه بعد ذلك. يتكون هذا النظم من ٨٤ بيت ومقدمة وخاتمة توزعت على أربع صفحات من الحجم المتوسط، وبالتالي يمكن تصنيفه ضمن المختصرات وليس من المتون الطويلة التي تصل أبياتها إلى المئات أو الآلاف في بعض الأحيان والتي كانت من البواعث على بروز ظاهرة الشروح في التراث الإسلامي كما هو معروف، أما الخط الذي كتبت به هذه المنظومة هو الخط المغربي، وهو خط جميل وواضح، ولا يزال هذا النص موضوع هذه الدراسة في حالة جيدة.

تبدو المقدمة من وضع الناسخ يفتتح فيها بالبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يذكر أن أحمد البوني نظم نظما في العقيدة، وأن أصل هذا النظم لأبي مدين الغوث، كما سيتم ذكره في المحور الخاص بالنص المحقق وبذلك تثبت نسبة هذه المنظومة لأحمد البوني، كما أنه مما يثبت نسبتها إليه تراجمه؛ فالذين ترجموا لأحمد البوني يذكرون أنه له منظومات كثيرة ومنها منظومة في العقيدة هي **نظم لعقيدة أبي مدين الغوث**[1]، أما الخاتمة فقد ذكر فيها ما استغرقه من وقت في تأليف هذا النظم ثم يختمها بحمد الله وشكره سبحانه، كما يذكر الناسخ أيضا في الخاتمة أن النسخة التي اعتمد عليها في إعادة نسخ هذا النظم لم تكن نسخة بخط أحمد البوني نفسه بل اعتمد على نسخة أخرى هي للشيخ بدر الدين الفكون.[2]

أما المنظومة بشكل عام فقد تكونت من ٨٤ بيت كما تمت الإشارة وهي في علم العقيدة، وقد تمحورت حول باب واحد من أبواب هذا العلم وهو باب الإلهيات؛ وهذا لأنها كانت على نص أبي مدين الغوث الذي بدوره تمحور حول باب الإلهيات. وقد يعود ذلك إلى مسايرة حركة التأليف في العقيدة التي استمرت لوقت طويل مركزة على باب الإلهيات باعتبار الشبهات التي كانت ترد على العقيدة زمن التأسيس لدرس العقيدة كانت في باب الألوهية بالدرجة الأولى، وباعتبار هذا الباب في علم العقيدة هو الباب الرئيس في هذا العلم.

ومن أهم ما تضمنه هذا النص هو التاريخ الذي كتب فيه، وهو ليلة الجمعة ٢٨ ذو القعدة ١١٢٣هـ، ولقد ذكر الناظم هذا التاريخ في قوله:

---

(١) أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج٢، ص٣٨٤.

(٢) هو الشيخ بدر الدين بن محمد الفكون. ،المتوفى سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م، وبذلك فهو من معاصري أحمد البوني، لم يترجم له، لكنه يذكر على أنه شيخ من الشيوخ، وهو ابن عائلة مشهورة في الجزائر هي عائلة الفكون التي اشتهرت في مدينة قسنطينة، قال عنها الدكتور أبو القاسم سعد الله أنها إحدى العائلات ذات التاريخ العريق، انظر أبو القاسم سعد الله في تحقيقه لكتاب منشور الهداية، ص٧

قد انتهى النظم[1] لذي العقيدة السهلة النافعة السعيدة

نفعنا الله بمن ألّفها ولعباد الله قد خلّفها[2]

وكان ذلك ليلة الجمعة ثامنة العشرين من ذي القعدة

عام ثلاثة وعشرين نجز من بعد مائة وألف ذا الرجز

وكان وضع هذا المنظومة في جلسة واحدة؛ فلاختصارها أتيح لصاحبها ذلك، ولم تكن كسائر المتون تبدأ في وقت وتنتهي في وقت، أو تبدأ في مكان وتنتهي في مكان آخر. كما فعل المقري التلمساني في منظومته إضاءة الدجنة مثلا[3]. يقول البوني:

في ساعة ونصف نظمتها وأن ندعو إذ أتممتها

وقال في خاتمة النظم: "أتممتها ليلة ابتدائها وكان ذلك في مقدار ساعة ونصف والله تعالى أعلم"

٢ ـ علاقته بنص أبي مدين الغوث[4]: منظومة البوني تشبه غيرها من المنظومات من حيث علاقتها بغيرها، فإذا كانت إضاءة الدجنة للمقري نظمت على متن أم البراهين للإمام السنوسي فمنظومة البوني نظمت على متن أبي مدين الغوث في العقيدة، النص الشهير بـ: **"عقيدة سيِّدِي أبي مدين"**[5]، هذا ما جاء في منظومته إذ يقول:

(١) النظم نمط من أنماط الكتابة عند المسلمين شاع بشكل خاص عندما تراجعت حركة التأليف فحلت محلها ظاهرة المتون هذه التي شكلت ظاهرة في التراث الإسلامي، والنظم هو طرق لمسائل علمية وتلخيص لها في قالب شعري عادة حتى يسهل حفظها ويسهل تدريسها

(٢) أي تركها فتبقى يتعلمها العباد من بعده، وهو اعتقاد عند المسلمين أنه من الصدقات الجارية توريث العلم؛ فإذا كان التصدي للتدريس من سبل توريث العلم فتأليف الكتب ووضع المصنفات وتحرير المتون من أوجه توريث العلم أيضا. لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" انظر: صحيح مسلم دار السلام الرياض/ دار الفيحاء دمشق، ط٢، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، كتاب الوصية، ص٧١٦.

(٣) لقد تولى أحمد المقري التلمساني تدريس أم البراهين في علم الكلام للإمام السنوسي في الأزهر وفي المسجد الأقصى وفي الحرمين الشريفين، وكان كلما أقرأ شيئا نظمه حتى اكتملت منظومته في ٥٠٠ بيت، وهي المنظومة المعنونة بـ: إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة.

(٤) هو الشيخ الفقيه المحقق الواصل القطب شيخ مشايخ الإسلام في عصره، إمام العباد والزهاد وخاصة الخلصاء من فضلاء العباد، سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي من ناحية إشبيلية. ومن حصن يقال له منتوجب. هكذا عرف به الغبريني في عنوان الدراية، ولد سنة ٥٠٩هـ بقطنيانة (cantalona) إحدى قرى إشبيلية؛ فاسمه شعيب أما أبو مدين فهي كنيته، فقد رزقه الله ولدا سماه مدين وبه يكنى فاشتهر بكنيته "أبو مدين". انظر: أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق الأستاذ رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (١٩٨١)، ص٥٥/٥٦.

(٥) هي رسالة في العقيدة لأبي مدين الغوث، وهي التي وضع عليها هذا النظم.

وبعد فالمقصود من ذا النظم عقد عقيدة إمام القــوم[1]

أعني أبـا مدين قطب زمنــه وهبنا إلهنا من دمنـــه

وأكد الناسخ ذلك في قوله: "ولشيخنا سيدي أحمد المذكور أولا عقيدة في التوحيد أصلها للشيخ الإمام القطب الرباني سيّدي أبي مدين تغمده الله[2] برحمته وحشرنا في زمرته وهي هذه".

من جهة أخرى فقد اهتم بعض من ترجم لأحمد البوني بذكر مؤلفاته ونجدهم يذكرون أنه ترك منظومة في العقيدة على عقيدة أبي مدين الغوث مثلما سبقت الإشارة مع أبي القاسم الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف، وبالتالي فنسبة هذا النص لأحمد البوني متحققة، وعلاقته بنص أبي مدين متحققة أيضا.

ثالثا

النــص

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ولشيخنا سيدي أحمد المذكور أولا تنظيم عقيدة في التوحيد أصلها للشيخ الإمام القطب الرباني سيدي أبي مدين تغمده الله تعالى برحمته وحشرنا في زمرته وهي هذه:

يقــول راجي رحمـة الرحيــم أحمد نجل قاســم التميمي[3]

باسم الإله[4] أبتدىء[5] نظامي[6] والحمد والصلاة والسلام

على الرســـول سيّد الأنـــام محمد وآلـــــه[7] الكـــرام

(١) سبقت الإشارة في ترجمة أحمد البوني إلى أنه صوفي وقد يكون هذا الاهتمام بأبي مدين الغوث شيء من الوفاء للخط الصوفي الذي سلكه، ولذلك نجد الإشادة بأبي مدين الغوث الذي كان من أقطاب التصوف في زمانه، يشبه في ذلك عبد الغني النابلسي الذي شرح عقيدة أبي مدين الغوث هذه.

(٢) عقيدة أبي مدين متن توجد منه نسخة مخطوطة بالزاوية القاسمية في مدينة بوسعادة بالجزائر، وقد كتبت بخط مغربي جميل وواضح جدا وتقع في ثلاث صفحات من الحجم الصغير وهي في حالة جيدة، وقد ضبط تاريخ النسخ وهو ربيع الأول سنة ١١٢٢هـ، مما يدل على أنه أعيد نسخ هذا المخطوط بعد وفاة صاحبه بأكثر من خمسة قرون؛ فإذا كانت وفاة أبي مدين سنة٥٩٤هـ والمخطوط تم نسخه سنة ١١٢٢هـ فهذا يعني أنه أعيد نسخه بعد مرور ٥٢٨سنة عن وفاة صاحبه. انظر تحقيقنا لهذه الرسالة ، مجلة الإبانة، مجلة تصدر عن مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والأبحاث العقدية، تطوان، المملكة المغربية، ٢٠١٧م، العدد ٤، ص ١٩٤.

(٣) هنا يعرف بنفسه وبذلك نتأكد بأن أحمد البوني صاحب هذا المتن ليس هو أحمد البوني صاحب شمس المعارف الكبرى، فصاحبنا متأخر، والآخر متقدم، وهذا محدّث متصوف خلاف الأول وإن اشتركا في الاسم والبلد؛ فكلاهما أحمد البوني. نسبة إلى مدينة بونة وهي مدينة عنابة الحالية إحدى مدن الشرق الجزائري.

(٤) فيـ خ ـ الإلاه.

(٥) في ـ خ ـ أبتدي.

(٦) هكذا وردت في ـ خ ـ "نظامي" وليس نظمي على الرغم من أن الشهرة لكلمة نظم وليس نظام.

(٧) في ـ خ ـ ءاله.

وصحبه الأكابـــر الأخيـــار مـن المهاجرين والأنصـار

وبعد فالمقصود من ذا النظم عقد عقيـدة إمـام القوم[١]

أعني أبا مدين[٢] قطب زمنـه وهبنا اللـــه من دمنه[٣]

وهي بنيي بالمراد وافيـة من داء تقليد رديء[٤] شافية[٥]

فحبب اللـــــه إلي نظمـــها أسألـــه مـولاي أن نتمـها[٦]

وينفع النـــاس بها النفع العميم خالصة لوجهـه جـل الكريم

وأســـأل المرد مـن صاحبها ونصهـا هـذا فلذ صاح بـها

الحمد للـه الذي تنزها عن حد وأين وكيف[٧] ذو البها[٨]

وعـن زمـــان وعـن مكان[٩] المتكلـم عظيـــم الشـــأن

---

(١) لقد كان وضع منظومات على المتون أحد أنماط الكتابة، والبوني في نظمه هذا يصرح بأنه يضع هذا النظم لعقيدة أبي مدين الغوث.

(٢) أي أبو مدين الغوث، وبذلك تتأكد صلة هذا النظم بمتن أبي مدين الغوث كما تمت الإشارة إلى ذلك

(٣) جمع دمنة وتعني الأثر. وفي لسان العرب : دمنة الدار أثرها، والدمنة آثار الدار ، انظر لسان العرب المحيط لابن منظور الإفريقي، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، دارالجيل بيروت/ دار لسان العرب بيروت (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) المجلد الثاني، ص١٠١٦.

(٤) في - خ - رديّ.

(٥) أي أنها خالية من التقليد، والتقليد في الكتابة العقدية قديما ورّث شيئا من التعصب للشيوخ أو للمذهب وهو أمر أشار إليه الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد، أنظر أبا حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص١٠٧.

(٦) أي أن خلوها من التقليد هو ما حبب للناظم الاعتناء بها والإقدام على نظمها. والتقليد أمر مذموم في العقائد؛ لأنها يجب أن تبنى على العلم ولا يكفي فيها التقليد، انظر: الإمام السنوسي، شرح أم البراهين، تحقيق: مصطفى محمد الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩م، ص ٢٥.

(٧) هذه من الصفات التي ينزّه عنها الله عز وجل عن الحد وعن الأين الذي هو سؤال دال على المكان والجهة التي هي من صفات المخلوق التي تنزه عنها الله عز وجل، انظر الإنصاف للباقلاني تقديم الحبيب بن طاهر، دار مكتبة المعارف، بيروت، ط١ ،١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ١٤٩. كما تنزه عن الكيف الذي قد يفيد التشبيه، فإثبات الحد والأين والكيف كل ذلك يفضي إلى التشبيه، والله عز وجل تنزه عن الشبيه، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى/١١).

(٨) في الحاشية ذا النهى.

(٩) الله سبحانه وتعالى منزه عن المكان والزمان؛ لأنه هو الذي خلق الزمان والمكان، ولذا تقرر عند علماء العقيدة استحالة الزمان والمكان في حق الله عز وجل، انظر: شرح أم البراهين للإمام السنوسي، ص ٤٢.

أي بكـــلام أزلي قـــديم قـــام بـــذات ربنا العظيـــم[١]

لأنـــه صفتـــه لا منفصـــل عنـــه ولا عـــاد له ولا يحـــل[٢]

فـي المـحـدثـات[٣] لا ولا يجانس مخلـوقه لأنـه مقرض

عـن الحروف وعن الأصوات صفاته جلت عن الصفات[٤]

من أهل الأرض أو من السماء لأنـــــه مباين الأشيـاء

إنا نـــوحـــده لا نحـــده إيماننـا بـــه تعـالى جـدّه

نـومن باللـه بـــلا تكييـف[٥] سبحانـه مـن قـادر لطيـف

نعـرفـــه جـــل ولا نجهلـــه[٦] نعبـــده حقـا فمن يعـدلـه

نجـزم أن مـن بنا شبهه لم يعلم الخالـق ما نزهـه[٧]

---

(١) في هذا إثبات للكلام الإلهي على أنه صفة من صفات الذات كما هو معتقد أهل السنة ، وأنه قديم؛ لأن صفات الله عز وجل قديمة، وفي هذا أيضا رد على المعتزلة الذين قالوا بأن الكلام صفة من صفات الفعل وأنه مخلوق غير قديم، انظر: الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت ، لبنان بلا تاريخ، ج١، ص٤٥. وهذا الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة أثار مشكلة من المشكلات الكلامية عرفت في التراث الكلامي بمشكلة خلق القرآن.

(٢) وفي هذا انتصار إلى معتقد أهل السنة وفيه رد ضمني على المعتزلة في باب الصفات وعلاقتها بالذات هل هي عين الذات أم أنها زائدة على الذات، وقد ذهب أهل السنة إلى أنها زائدة على الذات قائمة بها، بما في ذلك صفة الكلام التي ذهب أهل السنة إلى أنه غير مخلوق ولا يحل في محل. انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، ص ٨٤.

(٣) المحدثات جمع حادث وهو المخلوق وفي اصطلاح الفلاسفة والمتكلمين ما سبق بعدم وما له بداية. والحدوث في اصطلاح الفلاسفة هو إثبات البداية أو السبق بعدم، ويصطلح الحادث على ما يفتقر إلى العلة، وعلى ما لوجوده أول. انظر عمار طالبي: اصطلاحات الفلاسفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(١٩٨٣)، ص٧٤. ونفي حلول الكلام الإلهي في المحدثات؛ لأنه لو حل فيها لصارت متكلمة آمرة ناهية وذلك خلاف دين المسلمين، انظر: الإنصاف للباقلاني، ص١٣٤.

(٤) هذا معتقد أهل السنة عموما؛ أي إثبات الصفات دون تشبيه ويقول الباقلاني: ليس من جنس المسموعات، انظر: الإنصاف للباقلاني، ص١٣٥. وفيه رد على المعطلة كالجهمية نفاة الصفات إذ قالوا بنفيها دفعا للتشبيه الذي هو مخالف للتوحيد لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى: ١١).

(٥) مسألة التكييف عند علماء العقيدة تعني التأويل، وتقابلها مسألة التفويض عند من رفض التأويل، والباب الذي ظهرت فيه هذه المسألة هو باب الصفات خاصة الصفات الخبرية. وقد كانت محل خلاف بين أهل السنة وغيرهم، ثم بين متقدمي أهل السنة ومتأخريهم.

(٦) معرفة الله عز وجل الواجب الأول على المؤمنين، لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿١٩﴾﴾ (محمد/١٩)، وامتثالا لهذا الأمر الإلهي ذهب علماء العقيدة إلى القول بوجوب العلم ومنتهى العلم معرفة الله عز وجل، ولاهتمام المتصوفة بهذا الأمر اشتهروا بالعارفين.

(٧) الذي يعلم حقيقة التوحيد لا يقع في القول بالتشبيه، ولذا فالذي يشبه الله سبحانه وتعالى بالخلق ولا ينزهه فذلك مردّه الجهل بحقيقة الألوهية.

ثم أتى بسورة الإخلاص مستشهدا لنفي الانتقاص[١]

تقدست عن صفة الحوادث ذات له والشبه جل الباعث[٢]

كذا صفاته لقد تنزهت ولصفات خلقه ما أشبهت[٣]

حمدا على وجوده ذا العالم وواحد في الذات جل العالم[٤]

آياته دلت على الوحدانية يعلم جل السرّ والعلانية[٥]

الأول الذي بلا بداية الآخر الذي بلا نهاية[٦]

وظاهر أي لا امتراء فيه وباطن عار عن الشبيه[٧]

حي بلا موت وكا فناء ذو قدرة جل عن الأعياء[٨]

وهو المريد قد أضل وهدى أفقر أغنى ليس فعله سدى[٩]

وسمع السر وأخفى منه يرى دبيب النمل لا تخنه[١٠]

---

(١) الذي أتى بسورة الإخلاص هو أبو مدين الغوث في المتن الأصلي مستدلا بهذه السورة على نفي الشبيه ونفي النقص عن الله عز وجل.

(٢) في الحاشية: الوارث.

(٣) وهذا الذي اصطلح عليه علماء العقيدة توحيد الصفات؛ فتوحيد الصفات الاعتقاد أنه واحد في صفاته فلا شبيه له. ويبدو مراعيا للتقسيم السائد عند الأشاعرة في باب الصفات إذ بدأ بما اصطلحوا عليه الصفات السلبية وأولى هذه الصفات صفة الوحدانية التي تسلب التعدد.

(٤) في هذا إشارة إلى وحدانية الذات فالله سبحانه وتعالى واحد في ذاته فلا شريك له.

(٥) في الاستدلال على وحدانية الله عز وجل يشير علماء العقيدة إلى النظام المبثوث في الكون على أنه دال على وحدانية الخالق عز وجل وآية من آياته، ومستندهم في هذا قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأنبياء/ ٢٢). .

(٦) من الصفات السلبية صفتا القدم والبقاء؛ أما الأولى فتسلب عن الله عز وجل الحدوث، وأما الثانية فتسلب عن الله سبحانه الفناء، أما الدليل على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴿٣﴾ ﴾ (الحديد/٠٣) فالأول هو الذي لا بداية له، والآخر هو الباقي الذي لا نهاية له.

(٧) وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴿٣﴾ ﴾ (الحديد/ ٠٣.).

(٨) الحياة صفة من صفت الله عز وجل وهي من صفات المعاني وهي منافية لما يضادها من موت وفناء فلا يجوز ذلك في حق الله عز وجل، ودليلها قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (البقرة /٢٥٥) والقدرة صفة منافية للعجز فالعجز صفة المخلوق والله سبحانه تنزه عن العجز لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ (الحديد/٠٢).

(٩) الإرادة صفة ثبوتية يتأتى بها تكييف الممكن بوجه من الوجوه، وهنا أشار الناظم إلى الضلال والهدى والإفقار والإغناء كل ذلك بإرادة الله عز وجل وليست مصادفة فأفعال الله عز وجل ليست سدى.

(١٠) السمع والبصر صفتان من صفات الله عز وجل وهما من صفات المعاني ودليلهما قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ (طه /٤٦). وسمعه شمل كل المسموعات، وبصره شمل كل المبصرات مهما صغرت .

وعالـــم عـز عـن النسيـان المتكلـم بـــلا لســـان(١)

كلم موسى بكلامه القديم جل عن التأخير والضد العليم(٢)

وليس فيـه الصوت حتى يقرع وليس فيه مـن نداء فيسمع(٣)

ولا حـروف ياأخـي ترجـع إذ كلـــها محـدثـة لا تنفـع(٤)

قـد جـلّ ربنـا وعـزّ وعـلا تبـارك اللـه لـه وصف العلى(٥)

لـربنا عظمـــة وكبـريـاء وقـدرة لـه تبيـد الأفـــريا(٦)

لـربنا الأسمـاء وهي الحسنى صفته قـل فيهـا كـل أسنى(٧)

ليست حياة الله مثل المخلوق فالمبتدأ بعدم قـل مسبـوق(٨)

قـدرتـه ليست لـها نهايـــة فالمنتـــهى مخصص بغـايـــة(٩)

لـــربنـا إرادة قـديمـــــــة جلت عن أضداد لها عظيمـة(١٠)

وسمعـــه جـل بـــــلا آذان بصـره عـزّ بـــلا أجفـــان(١١)

وعلمـــه من اكتساب خـال بـــلا تأمـــل ولا استـــــدلال

(١) العلم من صفات الله عز وجل وهو الصفة التي تتعلق بالواجب والممكن والمستحيل جميعا وهو شامل محيط للعالمين لقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الحشر/٢٢)، والكلام صفة ثبوتية لله عز وجل لقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ (النساء/ ١٦٤) وكلامه لا يشبه كلام المخلوق فهو منزه عن الشبيه.

(٢) وفي هذا إثبات قدم صفة الكلام كما هو معتقد أهل السنة وفي ذلك رد على المعتزلة القائلين بحدوثه كما هو معروف عند المتكلمين.

(٣) وفي نفي الصوت عن الكلام الإلهي إثبات للكلام صفة لله عز وجل وتنزيهه عن مشابهة كلام المخلوق.

(٤) هذا استدلال على عدم المشابهة؛ فقد تنزه الكلام الإلهي عن الأصوات والحروف، لأنها حادثة أما صفات الله قديمة.

(٥) الإيمان بالصفات الإلهية يكون بكيفيتين: الإيمان بالصفات عموما ومنها الإيمان بأنها كلها صفات كمال وجلال وهذا ما يشير إليه الناظم هنا، والإيمان بالصفات تفصيلا وهو الوقوف عند كل صفة على حده للتعريف بها وبيان دليلها وبيان متعلقاتها . . . وغير ذلك.

(٦) الأفرياء؛ أي المفترين، وفي تاج العروس: فرى كافتراء الكذب اختلقه، انظر تاج العروس لمرتضى الزبيدي، دار صادر، بيروت، د ط، د ت، ج ١٠، ٢٧٩,

(٧) في هذا إثبات لأسماء الله الحسنى

(٨) هذا استدلال عقلي على نفي مشابهة صفات الله عز وجل صفات المخلوق؛ فصفات المخلوق لها بداية ووجوده ليس ذاتيا وهذا خلاف صفات الله عز جل.

(٩) وفي هذا نفي للغاية عن الله عز وجل فالذي يفعل لغاية هو المخلوق وليس الخالق.

(١٠) مما يعني أن إرادة الله لا تشبهها إرادة المخلوق، فالاتحاد في الاسم لا يعني الاتحاد في الحقيقة، وفي هذا رد على الجهمية الذين نفوا الصفات بحجة أنه يتصف بها المخلوق، وعُدوا لأجل ذلك معطلة.

(١١) في هذا إثبات لصفتي السمع والبصر كما أثبت الله عز وجل ذلك لنفسه لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (الشورى/١١) مع التأكيد على نفي حسيتهما نفيا للتشبيه.

وعلمه عار عن الضرورة فليس مكرها ولا بصورة[1]

جلّ كلامه عن الأصوات فالصوت يعدم ومن آفات

في الحرف تقديم وتأخير علم جلّ الإله عن صفات تنعدم

عز عن التشبيه بالخلائق قد جلّ أن يدرك كنه الرّازق[2]

فربنا هو القديم الأزلي الأبدي الدائم الحق الولي

وذاته ليس لها من قد ووجهه ليس به من خد

لربنا يد بغير زند جل عن القبل نعم والبعد

ليس بعرض لا ولا بجوهر فالعرض لا يبقى لبرهان دري

والجسم لابد له من حيز وجهة فاعلم تكن كالفائز[3]

قد خلق الجسم مع النفوس ورازق للجود والبؤس[4]

مقدر السعود والنحوس مدبر الأفلاك والشموس[5]

هو الإله الملك القدوس لعزّه خضعت الرؤوس

علا على العرش بلا جلوس ولا تمكن كما العروس[6]

والعرش ليس للإله بقرار لأنه في جهة بلا نفار[7]

---

(١) وهنا نفي الشبه عن صفة العلم، فإن كان المخلوق يوصف بالعلم، فالله عز وجل أعلم من من كل ذي علم فعلمه يتعلق بالواجب والممكن والمستحيل جميعا، وهذا خلاف علم المخلوق الذي يوصف بالاكتساب والمحدودية.

(٢) نفي الصوت ونفي الحرف عن كلام الله عز وجل نفي لصفات الحدوث التي تنزه عنها الله عز وجل. وهو التبرير الذي قدمه أهل السنة في ردهم على المعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن.

(٣) الوجه واليد وغيرهما من الصفات الخبرية عند أهل السنة نؤمن بها دون تأويل أو تؤول تأويلا يليق بذات الله عز وجل؛ لأنه سبحانه تنفى عنه الجسمية كما يتوهمها الإنسان.

(٤) في الحاشية: الجواد والعبوس

(٥) في هذا إشارة إلى مسألة الحسن والقبح التي كانت محل جدال سني اعتزالي إذ ذهبت المعتزلة إلى أن القبيح ما قبحه العقل والحسن ما حسنه العقل ودليل ذلك البداهة انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، موفم للنشر، الجزائر، ١٩٩٠م. ج٢، ص ٨. فعل العبد وأن الحسن فقط فعل الله عز وجل. وخالفهم في ذلك أهل السنة إذ قالوا بأن الحسن والقبيح كلاهما فعل الله عز وجل يقول الجويني: "ليس الحسن صفة زائدة على الشرع مدركة به، إنما هو عبارة عن نفس ورود الشرع بالثناء على فاعله وكذلك القول في القبيح" انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر (١٩٥٠). ص٢٥٩.

(٦) إشارة إلى مسألة الاستواء الواردة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ (طه/٠٥) والتي كان الخلاف في فهمها وفي تأويلها بين المسلمين.

(٧) النفار في العربية كما ورد في لسان العرب تعني الجزع وعدم الرضا كما تعني الذهاب، انظر لسان العرب لابن منظور: تحقيق وتعليق عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمي، بيروت، ط١ (٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ)، ج٣، ص ٧٩٠.

والعرش عقل العبد قد يكيفه وكنه ذات ربنا لا نعرفه[1]

والرب لا تدركه الأبصار جلّ وعز إنه القهار[2]

تصِفُ عرشه بعرض وبطول ومع ذاك ليس هو للحلول

و ربنا القديم لا يحول عز وجل فلا يزول

العرش يا أخي هو المكان له جوانب له أركان

وربنا كان ولا مكان والآن هو كيف قبل كان

ليس له تحت لكي يقله ولا له فوق لكي يظله[3]

ولا له جوانب فتعدله ليس له خلف نعم يكمّله

ولا أمام للإله[4] حده سبحانه قد جل فاعرف مجده

جلّ عن التحديد والتقدير عزّ عن التكييف والتصوير

علا عن التأليف والتعبير قدس عن تشبيه أو نظير

ليس كمثله تعالى شيء وهو السميع والبصير الحي[5]

قد انتهى النظم لذي العقيدة السهلة النافعة السعيدة

نفعنا الله بمن ألفها ولعباد الله قد خلفها

وكان ذاك ليلة الجمعة ثامنة العشرين من ذي القعدة

عام ثلاثة وعشرين نجز من بعد مئة[6] وألف ذا الرجز

في ساعة ونصفها نضمتها وآن أن ندعوا[7] إذ أتممتها

يا رب يا قدوس أنت الراحم أغفر لعبدك أحمد بن قاسم

أدخله جنتك من غير حساب ولا عذاب لا ولا بعض عتاب

---

(١) من خصائص العرض أنه قابل للتكييف؛ لأنه مخلوق بينما الله عز جل لا يكيف.

(٢) وهذا في الدنيا وليس في الآخرة؛ لأن معتقد أهل السنة أن الله عز وجل يرى بالأبصار في الآخرة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة/٢٢- ٢٣).

(٣) تحديد معنى العرش وبيان أنه من مخلوقات الله عز وجل دال على أنه ليس بمكان لله سبحانه فالله عز وجل تنزه عن الزمان وعن المكان فهو خالقهما.

(٤) في - خ - للإلاه

(٥) نفي الجوانب والجهة والحد نفي للتشبيه عن الله عز وجل الذي هو من توحيده فهو واحد في صفاته فلا شبيه له.

(٦) في - خ - مية.

(٧) في - خ - ندعو.

واحـم جنابـه مـن الأعـــداء بجـاه الأنبيـــاء والأوليـاء[1]

وارزقـــه واسعـا بـلا عنـاء يكمـل العمـر فـي هنـــــاء

واغفـــر لآبـــائي وللأولاد والجـد والشيـخ أيا سنـــادي[2]

ومـــن أحبنـي وللإخـــوان وأهـل الإسـلام مـع الإيمـــان

وصلّ يارب على محمـــد وآلـــه وصحبـــه والمقتـــــدي

صـلاتـك التـي علـي تـرضى بها تـــوازن سمـاء[3] وأرضـا

واجعـــل ختـامي إذا نلقـــاه بقـــول لا إلـــه إلا اللـــــه

مع محمـد رســـول اللـــه والحمـــد للـــه بـلا تنـــــاهي

أتممتها ليلة ابتدائها وكان ذلك في مقدار ساعة ونصف والله تعالى أعلم، له المنة والحمد والشكر لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، انتهى ما كتبه عبد الله سبحانه محمد بن علي من خط شيخنا العلامة سيدي أحمد البوني المذكور آنفا برسم شيخنا الإمام العالم الهمام سيّدي بدر الدين الفكون، طالبا منه دعاءه الصالح الجالب للمنافع والمصالح حتى أكون من حزبه المنيع ومجلسه الرفيع البديع ونشاهد ببركته وحبه البيت الحرام، والروضة المشرفة والبقيع. آمين

(١) وهنا يتجلى المنحى الصوفي لأحمد البوني كما مرّ الذكر في ترجمته؛ لأن هذا الدعاء عادة ما نجده عند المتصوفة.

(٢) في الحاشية: مرادي

(٣) في ـ خـ سما

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

(ب)

٢ـ الباقلاني (القاضي أبو بكر):

ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تقديم الحبيب بن طاهر، دار مكتبة المعارف، بيروت، ط١(١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

٣ـ البوني (أحمد بن قاسم):

ـ التعريف ببونة بلد سيّدي أبي مروان الشريف، منشورات المجلس الشعبي البلدي، عنابة ، الجزائر ط١، (٢٠٠٠م).

ـ الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تقديم وتحقيق: أ. د سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات(١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

(ج)

٤ـ الجويني (عبد الملك بن عبد الله أبو المعالي إمام الحرمين):

ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر (١٩٥٠م).

(ح)

٥ـ الحفناوي (أبو القاسم):

ـ تعريف الخلف برجال السلف، سلسلة الأنيس للعلوم الإنسانية، الجزائر ١٩٩١م.

(ز)

٦ـ الزبيدي (محمد مرتضى)

ـ تاج العروس من جواهر القاموس: دار صادر ، بيروت لبنان، د ط، د ت.

٧ـ الزركلي (خير الدين):

ـ الأعلام: دار العلم للملايين، ط١٦، (٢٠٠٥م).

(ط)

٨ـ طالبي (عمار):

ـ اصطلاحات الفلاسفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(١٩٨٣م).

(س)

٩ـ سعد الله(أبو القاسم):

ـ تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط ١(١٩٩٨م).

١٠ـ السنوسي (محمد بن يوسف):

ـ شرح أم البراهين في علم الكلام، تحقيق: مصطفى محمد الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (١٩٨٩م).

(ش)

١١ـ الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم):

ـ **الملل والنحل**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت، لبنان بلا تاريخ.

(ع)

١٢ـ عبد الجبار (القاضي المعتزلي):

ـ شرح الأصول الخمسة/ موفم للنشر، الجزائر، (١٩٩٠م).

(غ)

١٣ـ الغبريني (أبو العباس أحمد):

ـ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق الأستاذ رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (١٩٨١).

١٤ـ الغزالي (أبو حامد):

ـ الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٩٨٣م).

(ف)

١٥ـ الفكون (عبد الكريم):

ـ منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط١ (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

(ك)

١٦ـ الكتاني (عبد الحي):

ـ فهرس الفهارس والأثبات، اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط٢، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

(م)

١٧ـ ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل):

ـ لسان العرب المحيط : تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، دار الجيل، بيروت، د ط، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

١٨ـ ابن ميمون (محمد):

ـ التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تأليف محمد بن ميمون الجزائري، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢.

(ن)

١٩ـ النيسابوري (الإمام مسلم بن الحجاج):

ـ صحيح مسلم، دار السلام الرياض/ دار الفيحاء دمشق، ط٢، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، كتاب الوصية، ص٧١٦.

الدوريات:

ـ أعمال الملتقى الدولي للفكر الإسلامي المنعقد بعنابة ـ الجزائر ـ سنة ١٩٧٦م، كتاب دوري من إصدارات وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، الجزائر.

ـ مجلة الإبانة: مجلة تصدر عن مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والأبحاث العقدية، تطوان، المملكة المغربية،(٢٠١٧م)، العدد ٤.

القول الصائب في طلب الجماعة بعد الراتب

لمؤلفه شيخ الإسلام أبي زيد الحاج عبد الرحمن ابن محمد النتيفي الجعفري نسبا البيضاوي مسكنا (ت : ١٣٨٥هـ)

القول الصائب في طلب الجماعة بعد الراتب لمؤلفه شيخ الإسلام أبي زيد الحاج عبد الرحمن بن محمد النتيفي الجعفري نسبا البيضاوي مسكنا (ت: ١٣٨٥هـ)

تقديم وتحقيق

الدكتور رشيد الجاري

المغرب

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذه رسالة مفصلة في أحكام صلاة الجماعة بعد الإمام الراتب، من تأليف الشيخ العلامة النتيفي المتوفى سنة (ت:١٣٨٥هـ)، حرر أحكامها معتمدا على الأدلة من القرآن والسنة والآثار، وما جرى به العمل والمشهور والراجح في المذهب المالكي ... معززا ذلك بالقواعد المنطقية وأقوال أهل العلم المعتمدين في الفقه الإسلامي.

وقد حققت هذه الرسالة ورغبت في إخراجها نظرا لأسباب كثيرة أذكر منها:

١_ أهمية هذه الرسالة من بين الكتب الخاصة في أحكام الصلاة.

٢_ الرغبة الشديدة في ممارسة تحقيق مخطوطات الفقه الإسلامي عامة، والمالكي خاصة، وتطبيق القواعد المتعارف عليها عند أهل الفن في تحقيق النصوص.

٣_ الرغبة في تكميل التصور عن تراثنا الإِسلامي عامة، والمغربي خاصة حيث لا يزال تصورنا له ناقصًا، وسيظل ناقصًا ما دامت هذه المخطوطات حبيسةَ الرفوف والمكتبات.

٤_ مكانة المؤلف العلمية، فالفقيه النتيفي البيضاوي عالم ذائع الصيت، مشهود له برسوخ القدم في العلم، والتحقيق، وإجادة فن التأليف كما سيأتي في ترجمته.

٥_الرغبة في الاطلاع على الفقه عامة وفقه الصلاة خاصة.

أقسام العمل في تحقيق المخطوطة:

هذا وقد قسمت العمل في هذه الرسالة إلى قسمين: خصصت القسم الأول للتقديم، وقد ذكرت فيه الجوانب المهمة من سيرة الشيخ النتيفي، ثم لخصت موضوع الرسالة، ووصفت النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق.

وأما القسم الثاني فقد خصصته لمتن هذه الرسالة التي تحريت في نقلها من نسخها الدقة والصواب بقدر الإمكان، وخرجت نصوصها، وعرفت منها ما يحتاج إلى التعريف، وقد بذلت قصارى جُهدي في الحصول على نسخة أخرى لهذه الرسالة لكني لم أجدها، على الرغم من كوني بحثت في عدد كبير

من الخزانات العامة والخاصة ببلدنا، وفي ختام هذا التقديم أتوجه بالشكر الجزيل لكل من قدم لي يد العون في تحقيق هذه الرسالة وإخراجها للوجود.

القسم الأول :

سنورد إن شاء الله في هذا القسم المخصَّص للمقدمة سيرة مختصرة للشيخ النتيفي نذكر فيها نسبه وولادته، وبعضا من شيوخه وتلاميذه، وما وقفنا عليه من مصنفاته وتاريخ وفاته، وأقوال أهل العلم فيه.

١ _ اسمه ونسبه الشريف:

هو شيخ الإسلام العلامة الحافظ المحدث الفقيه الأصولي النظار الحاج عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم النتيفي الجعفري، ينتهي نسبه الشريف إلى محمد الجواد بن علي الزينبي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[١].

٢ مولده:

ولد الشيخ سنة (١٣٠٣)هـ بقرية المقاديد بقبيلة هنتيفة (أوانتيفة) وهي من قبائل الأطلس المطلة على سهل تادلا)[٢].

٣ طلبه للعلم:

لما أكمل الشيخ أربع سنوات أدخله والده الكتاب فحفظ القرآن في صغره، ثم رحل مع عائلته إلى مدينة السطات التي تابع فيها حفظ القرآن بالروايات، وأتم قراءة حمزة والكسائي، ثم صرف اهتمامه إلى طلب العلوم اللغوية والشرعية، وفي سنة(١٣١٩هـ) بدأ قراءة العلم على يد الشيخ بوشعيب البهلولي الذي أولاه عناية كبرى لما رآه فيه من شدة النباهة والإقبال على طلب العلم، ثم سافر إلى فاس سنة(١٣٢٣هـ)، فأخذ عن عدة مشايخ بها: كالعلامة الفاطمي الشرايبي، والعلامة محمد التهامي كَنُّون، والعلامة محمد بن جعفر الكتاني، ومحمد بن أحمد بن الحاج السلامي، وغيرهم[٣].

٤ _ مكانته العلمية:

وصفه ابنه العلامة الحسن بأنه "حافظ لحديث رسول الله" حيث كانت تسرد عليه مئات الأحاديث بأسانيدها فيحفظها عن ظهر قلب على الرغم من فقد بصره رحمه الله، وكان فقيها مبرزا مجتهدا مطلقا غير مقيد بمذهب معين، بل يدور مع الدليل حيثما دار، وكان آية في تفسير القرآن يعرض آراء

(١) مختصر ترجمة شيخ الإسلام رحمه الله أبي زيد الحاج عبد الرحمن النتيفي الجعفري لابنه الفقيه حسن بن عبد الرحمن النتيفي الجعفري ص:٦. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) من أعلام الدعوة السلفية ببلادنا للشيخ زحل نشرته مجلة الفرقان المغربية عدد ١٥ سنة ١٤٠٨.

المفسرين ويصوب الصواب ويعترض على غيره، وأما الجدل والمناظرة فهو حامل لوائها، ناظر علماء وفقهاء مغاربة، وغربيين كذلك، وأذعنوا له رحمه الله[1].

٥_ نماذج من ثناء العلماء عليه:

قال العلامة أحمد بن الخياط الفاسي من نص إجازة للشيخ:" أجزت الفقيه الأجل المدرس المحقق النفاعة المبارك الأمثل سيدي عبد الرحمن بن محمد النتيفي فيما يجوز لي وعني روايته وتنسب إلى درايته من منقول ومعقول وفروع وأصول إجازة تامة شاملة مطلقة عامة ".

وقال العلامة حافظ وقته الشيخ شعيب الدكالي من نص إجازته له: " قد استجازني أخونا في الله العلامة الألمعي الذكي الحافظ اللوذعي الفقيه السيد عبد الرحمن بن محمد النتيفي في كل ما يجوز عني روايته من معقول ومنقول وفروع وأصول ".

وقد ذكر العلامة حسن ابن الشيخ أن الشيخ شعيب الدكالي كان يذكر الشيخ عبد الرحمان في مجامعه بالعلم والفضل، وصرح مرارا بأنه ياقوتة فريدة، وقال لحاجبه: " لا تحجب عني الحاج عبد الرحمن مهما جاء يستأذن ليلا ونهارا "[2].

٦_ بعض تلامذته:

للشيخ تلاميذ كثيرون منهم:

_ العلامة حسن بن عبد الرحمن النتيفي رحمه الله ابن الشيخ.

_ العلامة أحمد بن عبد الرحمن النتيفي رحمه الله ابن الشيخ.

_ الفقيه الحاج عباس التادلي رحمه الله.

_ العلامة المؤرخ محمد العبدي الكانوني رحمه الله.

_ العلامة أحمد بن قاسم المنصوري رحمه الله.

_ الفقيه علال التادلي رحمه الله. وهو الذي خلف الشيخ على تلامذته خلال حجته.

_ الفقيه عبد الرحمن ابن الحاج رحمه الله.

الفقيه محمد بن ناصر الزياني رحمه الله.

(١) مختصر ترجمة شيخ الإسلام رحمه الله أبي زيد الحاج عبد الرحمن النتيفي الجعفري لابنه ص:٩.

(٢) من أعلام الدعوة السلفية ببلادنا للشيخ زحل نشرته مجلة الفرقان المغربية عدد ١٦ سنة ١٤٠٩.

_ الفقيه الجيلالي بن محمد النتيفي رحمه الله. أخو الشيخ وشقيقه.

_الفقيه محمد بن محمد النتيفي رحمه الله.

_ أخو الشيخ وشقيقه، أخذ العلم عن أخيه وبه تخرج، كان متميزا في الأدب والشعر مع ذكاء وفطنة.

٧_ بعض مؤلفاته:

كان الشيخ زيادة عن التدريس والإمامة والخطابة مكثرا من التأليف، فقد ألف أزيد من سبعين مؤلفا معظمها ردود على المبتدعة وأهل الأهواء، ونصرة للسنة المطهرة، وأبحاث فقهية علمية، نذكر منها:

_"رد الطاعنين في سحر اليهود لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم": رد على من طعن في الحديث الصحيح في المسألة، وعارض سحر النبي صلى الله عليه وسلم بالكلية.

_"الاستفاضة في أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرى بعد وفاته يقظة": رد فيه على السيوطي الذي زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يرى بعد وفاته يقظة.

_"الإعلام في الرد على بعض من حقر شعائر الإسلام": وهو رد على مقال نشر بجريدة "العلم" يعيب كاتبه الأضحية ويصف أهلها بالهمجية.

_"فهرسته التي تشتمل على أسانيده ومروياته وإجازة العلماء له"

_ "أوثق العرى في الأحكام المتعلقة بالشورى "

_ "إرشاد الحيارى في تحريم زي النصارى": بين العلامة حكم الشرع في لباس النصارى وآراء العلماء في ذلك.

_ "القول الفائز في عدم التهليل وراء الجنائز": انتصر فيه العلامة للقول بصواب تشييع الجنائز بالسكوت وعدم التهليل وراءها، مخالفا بذلك ما انتشر عند الناس من الجهر بالذكر عند تشييع الجنائز.

_ "كشف النقاب في الرد على من خصص أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بآية الحجاب": وهو رد على المنادين بتحرير المرأة.

_ "القول الصائب في طلب الجماعة بعد الراتب" [1].وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

(١) للمزيد من الاطلاع على مؤلفاته انظر مختصر ترجمة شيخ الإسلام رحمه الله أبي زيد الحاج عبد الرحمن النتيفي الجعفري لابنه ص:٢٤_٢٥_٢٦_٢٧_٢٨_٢٩_٣٠_٣١_٣٢_٣٣_٣٤_٣٥_٣٦.

٨_ وفاته رحمه الله:

بعد حياة مليئة بطلب العلم وتعليمه وتأليف الكتب، توفي الشيخ رحمه الله ليلة الثلاثاء ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٨٥هـ، الموافق ل ١٥ مارس ١٩٦٦م بعد مرض عضال دام لسنوات.

وأوصى بعدم البناء على قبره، وألا يكتب على القبر إلا ما يأتي: "هذا قبر الراجي عفو ربه ومولاه، والتارك دنياه كما أسبلها عليه لا زاده من ذلك، المرحوم بكرم الله عبد الرحمن بن محمد النتيفي"، وأوصى بعدم تأبينه.

٩_ موضوع الرسالة:

هي رسالة في أحكام صلاة الجماعة بعد الإمام الراتب، حرر أحكامها معتمدا على الأدلة من القرآن والسنة والآثار، وما جرى به العمل والمشهور والراجح في المذهب المالكي ... معززا ذلك بالقواعد المنطقية وأقوال أهل العلم المعتمدين في الفقه الإسلامي.

وبهذه الأدلة غير الكافية في المسألة خلص الشيخ إلى أن الجماعة بعد الراتب مرغوب فيها ومشروعة، ومن خالف في ذلك من أهل العلم كمالك فقد عارضه جماعات من أصحابه كأشهب وأصبغ وغيرهم، والحجة معهم فصار القول به هو المشهور والراجح معا، والذين قالوا بالكراهة يضعف مذهبهم قولهم بصحة صلاة الجماعة إن وقع.

ومع احترامي للشيخ فقد ناقشته في هذه المسألة ووقفت مع بعض أدلته بالتحليل والتعليل والتخريج، ودافعت على ما اختاره مالك وجل المالكية في هذه المسألة، مع ذكر بعض أدلتهم، والله المستعان.

١٠_ وصف النسخة المخطوطة:

نسخة من مكتبة الأخ ميلود موساوي الخاصة

عدد الأوراق: ١٤ ورقة.

عدد أسطرها: ٢٣ سطرًا.

عدد كلماتها: حوالي ١٢ كلمة في السطر.

الناسخ: الشيخ حسن بن المؤلف رحمه الله.

الخط: مغربي.

خالية من السماع والتمليك والتصحيح في الهوامش، قليلة الأخطاء والسقط والخروم، وقد اعتمدت

القول الصائب في طلب الجماعة بعد الراتب لمؤلفه شيخ الإسلام أبي زيد الحاج عبد الرحمن بن محمد النتيفي الجعفري نسبا البيضاوي مسكنا (ت: ١٣٨٥هـ)

على نسخة واحدة؛ لأنني لم أجد غيرها لحد الآن في خزانات المملكة المغربية حسب بحثي.

_ أولها: "الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد جاءنا فاضل من إخواننا بفتوى في كراهة إعادة الجماعة بعد الراتب"...

_ وآخرها: "وعلى مشروعية الجماعة بعد الراتب ذهب جماهير أهل العلم من الصحابة والتابعين وقد قدمنا أسماءهم.

ومن خالف في ذلك من أهل العلم كمالك فقد عارضه جماعات من أصحابه كأشهب وأصبغ وغيرهم، والحجة معهم، ودلت لهم الآثار المتقدمة، ويدل لذلك جريان العمل بإعادة الجماعة بعد الراتب فصار القول به هو المشهور والراجح معا، والذين قالوا بالكراهة يضعف مذهبهم قولهم بصحة صلاة الجماعة إن وقع ونزل والله المستعان.

نسخها: حسن بن المؤلف رحمه الله، وفرغ من نسخه يوم السبت ثالث عشر جمادى الثانية عام خمسة وثمانين وثلاث مائة وألف هجرية (١٣٨٥هـ)، انتهى وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى والحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين.

II_ نماذج من النسخة المخطوطة:

الورقة الأولى من النسخة المعتمدة

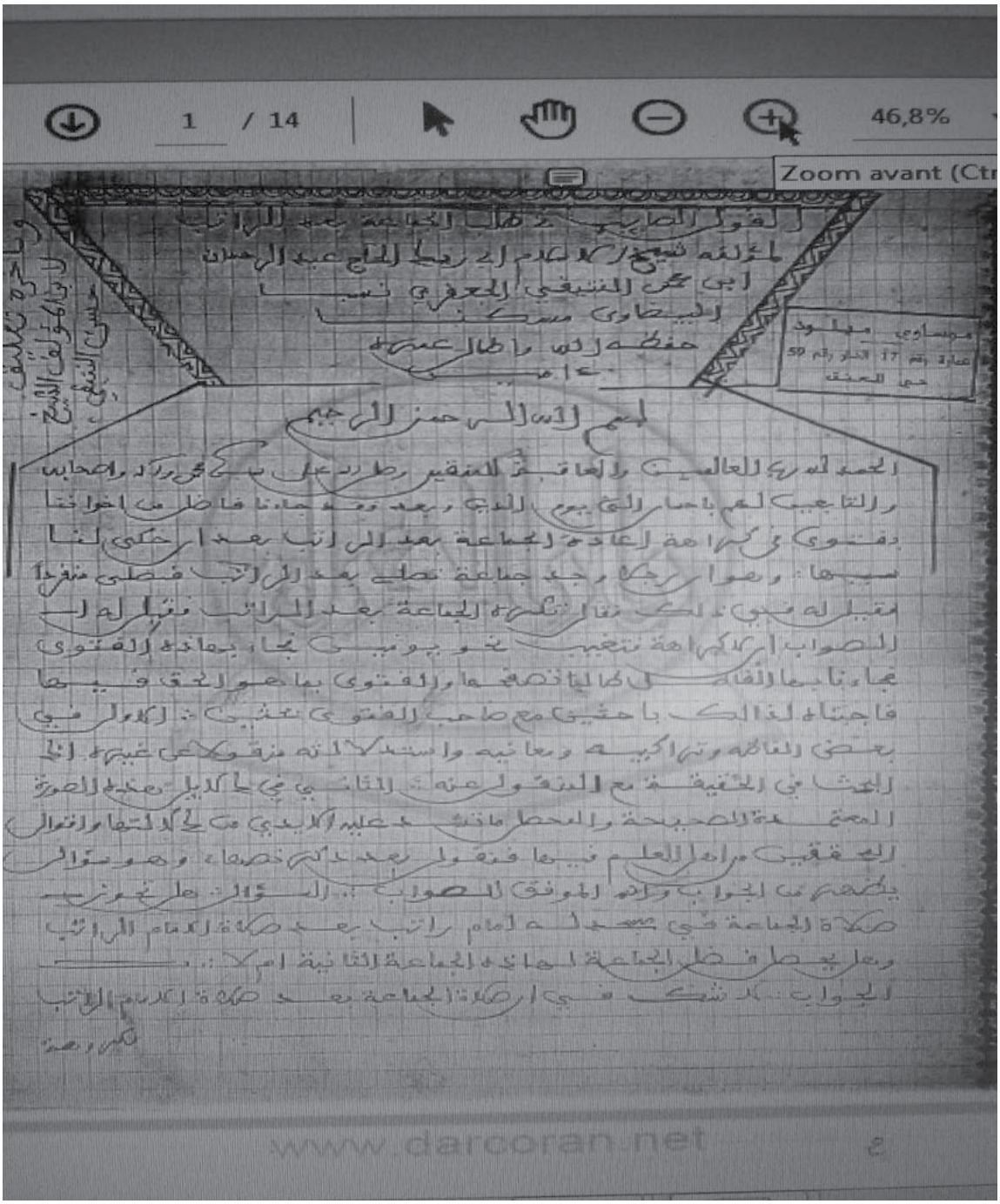

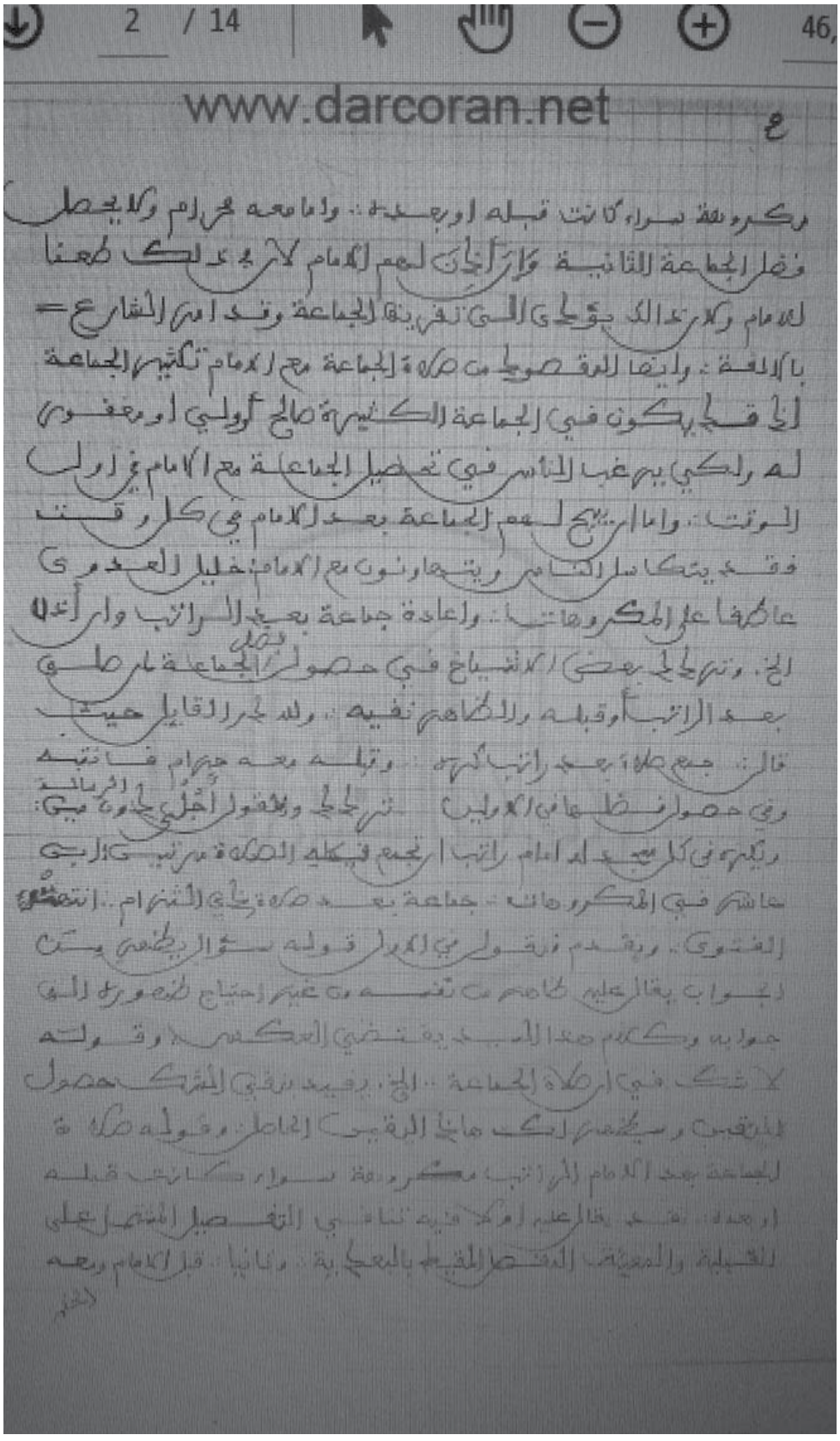
2 / 14
www.darcoran.net

الورقة الأخيرة من النسخة المعتمدة

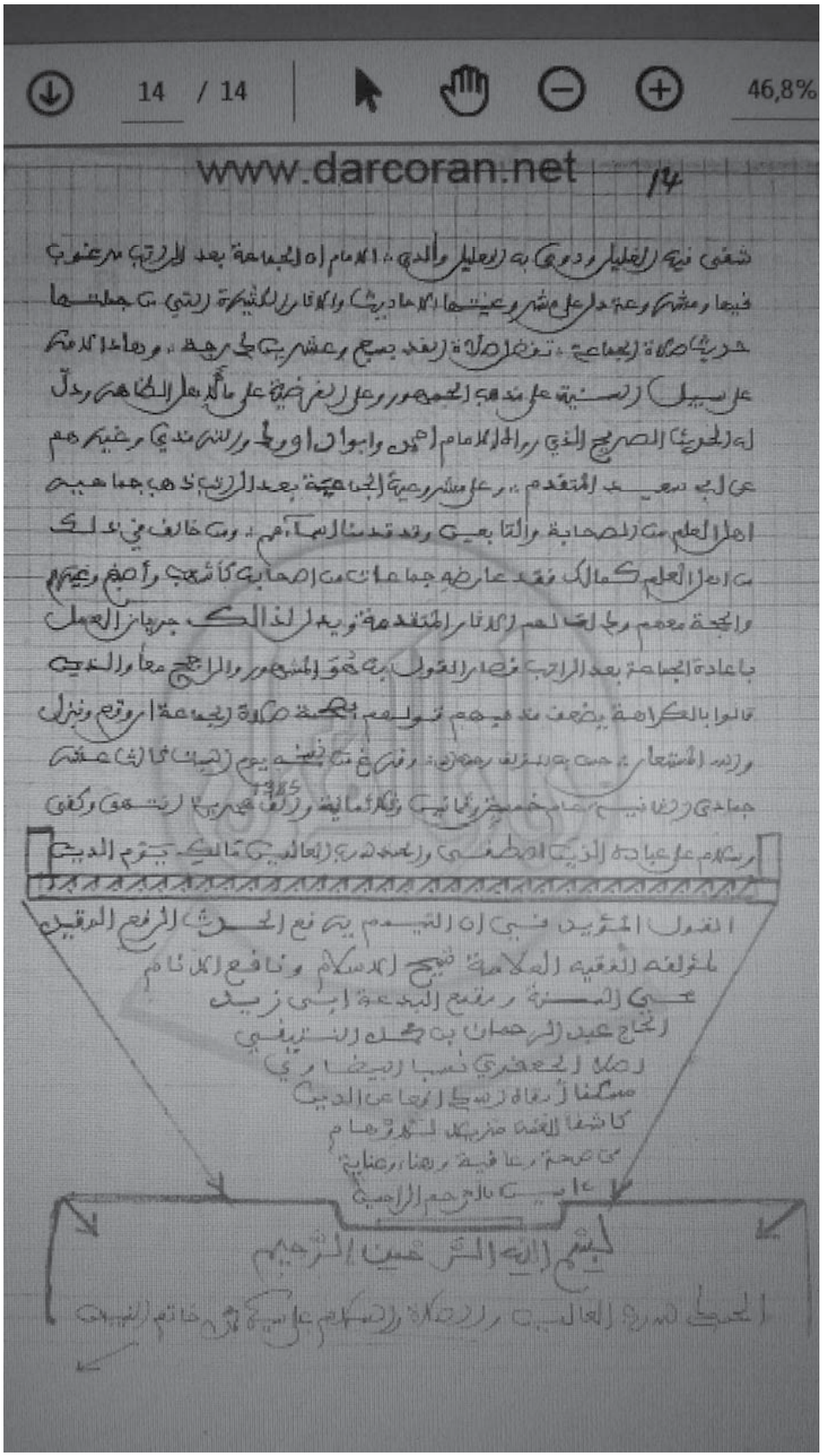

القسم الثاني النص المحقق:

(١) الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد جاءنا فاضل من إخواننا بفتوى في كراهة إعادة الجماعة بعد الراتب بعد أن حكى لنا سببها، وهو أن رجلا وجد جماعة تصلي بعد الراتب فصلى منفردا، فقيل له في ذلك فقال:" تكره الجماعة بعد الراتب"، فقيل له: "الصواب أن لا كراهة"، فتغيب نحو يومين، فجاء بهذه الفتوى، فجاءنا بها الفاضل طالبا تصفحها، والفتوى بما هو الحق فيها، فأجبناه لذلك باحثين مع صاحب الفتوى بحثين:

- الأول: في بعض ألفاظه وتراكيبه ومعانيه واستدلالاته منقولا عن غيره، إذ البحث في الحقيقة مع المنقول عنه.

- الثاني: في دلائل هذه الصورة المعتمدة الصحيحة، والمحصل ما تشد عليه الأيدي من دلالتها وأقوال المحققين من أهل العلم فيها، فنقول بعد ذكر نصها، وهو سؤال يظهر من الجواب والله الموفق للصواب.

السؤال: هل تجوز صلاة الجماعة في مسجد له إمام راتب بعد صلاة الإمام الراتب؟

وهل يحصل فضل الجماعة لهذه الجماعة الثانية أم لا؟

= الجواب: لا شك في أن صلاة الجماعة بعد صلاة الإمام الراتب(٢) مكروهة، سواء كانت قبله أو بعده، وأما معه فحرام، ولا يحصل فضل الجماعة الثانية، وإن أذن لهم الإمام؛ لأن في ذلك طعنا للإمام؛ ولأن ذلك يؤدي إلى تفريق الجماعة، وقد أمر الشارع بالألفة، وأيضا المقصود من صلاة الجماعة مع الإمام تكثير الجماعة، إذ قد يكون في الجماعة الكثيرة صالح، أو ولي أو مغفور له، ولكي يرغب الناس في تحصيل الجماعة مع الإمام في أول الوقت.

"وإما" أن يبيح لهم الجماعة بعد الإمام في كل وقت، فقد يتكاسل الناس ويتهاونون مع الإمام.

خليل [1] العدوي[2] عاطفا على المكروهات: "وإعادة جماعة بعد الراتب وإن أذن"[3] إلخ.

وتردد بعض الأشياخ في حصول فضل الجماعة لمن صلى بعد الراتب أو قبله والظاهر نفيه. ولله در القائل حيث قال:

"جمع صلاة بعد راتب كره و قبله معه حرام فانتبه

و في حصول فضلها في الأولين تردد والقول أجْلى دون مين"

الرسالة:"ويكره في كل مسجد له إمام راتب أن تجمع فيه الصلاة مرتين"[4].

ابن عاشر في المكروهات:

"جماعة بعد صلاة ذي التزام"[5] انتهت الفتوى.

ونقدم فنقول في الأول قوله: "سؤال يظهر من الجواب" يقال عليه ظاهر من نفسه من غير احتياج ظهوره إلى جوابه وكلام هذا السيد يقتضي العكس.

وقوله: "لا شك في أن صلاة الجماعة "إلخ. يفيد بنفي الشك حصول اليقين، وسيظهر لك هذا اليقين

(١) هو: أبو المودة ضياء الدين خليل بن إسحاق الجندي. أحد شيوخ الإسلام والأئمة الأعلام الفقيه الحافظ المجمع على جلالته وفضله الجامع بين العلم والعمل. أخذ عن أئمة منهم: أبو عبد الله ابن الحاج صاحب المدخل وأبو عبد الله المنوفي. وعنه أئمة منهم: بهرام، والأقفهسي وخلف النحريري ويوسف البساطي والتاج الإسحاقي، وغيرهم، ومما ألف: "التوضيح شرح جامع الأمهات لابن الحاجب" و" المختصر" مصحف المالكية المتأخرين، وله شرح على المدونة لم يكمل وصل فيه إلى أواخر الزكاة، وله ترجمة شيخه عبد الله المنوفي توفي رحمه سنة ٧٧٦ هـ.
تنظر ترجمته في الديباج: ٣٥٧/١– ٣٥٨، والشجرة: ١/ ٣٢١، ونيل الابتهاج ص: ١٦٨- ١٧٣.

(٢) الشيخ خليل ليس عدوى، ومن خلال اطلاعي على هذه المسألة تبين لي أن هذا الوهم لم يقع للشيخ النتيفي، ولكن وقع للمفتي أو ناقل الفتوى.

(٣) مختصر العلامة خليل بن إسحاق بن موسى ضياء الدين الجندي ٤١ المحقق: أحمد جاد الناشر: دار الحديث/القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٤) رسالة ابن أبي زيد، القيرواني :ص ١٤٦ جمع الأستاذ المحقق الشيخ صالح عبد السميع الآبى الازهري الناشر: المكتبة الثقافية بيروت – لبنان.

(٥) المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر الأندلسي ص١٥ مكتبة القاهرة الطبعة الأولى.

الحاصل [1].

وقوله: "صلاة الجماعة بعد الإمام الراتب مكروهة، سواء كانت قبله أو بعده" نقد، يقال عليه.

أولا: فيه تنافي التفصيل المشتمل على القبلية، والمفصل المقيد بالبعدية.

وثانيا: "قبل الإمام ومعه"،(٣) الحكم فيهما ليس على إطلاقه؛ إذ لا كراهة قبل صلاته كمن له عذر كاستعجال سفر، أو شغل لابد منه منفردا أو في جماعة، كما أن حرمة الصلاة معه مقيدة بما إذا لم يكن الطعن عليه واجبا، كما إذا كان متصفا بما لا تصح به إمامته أو صلاته، وكان لا يخشى في ذلك فتنة أشد، أو كانت الصلاة معه بقيد العذر خافية كصلاة جمعا وفردا، وقد يجب بشرطه الطعن على الأئمة بالسيف فضلا عن المخالفة في الصلاة، وأما بعده فمحل النزاع.

وقوله: "ولا يحصل فضل الجماعة لهذه الجماعة الثانية وإن أذن إلخ". سيأتي لك ما فيه بعد أن نعود إليه بعودته إليه، كما أن قوله: "وإن أذن الإمام لهم"، سنعود إليه بعدما يعود إليه.

وقوله:"لأن في ذلك طعنا للإمام إلخ". نقد يقال عليه: الإشارة إن كانت لنفي حصول الفضل فلا يترب عليها ذلك؛ لأن حصول الفضل ونفيه عائد إلى نظر الشارع، وحكمه لا طعن في إمام أو غيره، وإن كانت عائدة إلى الجماعة بعد الراتب، فبعد تسليم الطعن بها فيه كان القول فيها كما قبلها، ومن زعم أن الطعن المذكور مُذْهِبٌ للأجر، فليُدعِّمْه بدليل.

كما يلزمه أن العاصيَ لا أجر له لأعماله الحسنة والجهة منفكة، بل قد يكون فاعلا حراما بسبب صالح عمله كصلاته في الدور المغصوبة، والحج بالحرام يكون له أجر عند جماعات من العلماء[٢]، فكيف بالمكروه لو كان مكروها حقا على أنه لا محل لإطلاق الكراهة في حق الجامِعِين بعد الإمام

---

(١) أصول الفقه ظني، وما بني على ظني فهو ظني، إذن الفقه ظني، وكيف يجزم النتيفي بحصول اليقين في هذه المسألة؟ قال السبكي رحمه الله:" وأما كون الفقه موقوفًا على الظني ؛ فلأنه موقوف على أدلته، وأدلته: نص، أو إجماع، أو قياس.

فالقياس كله ظني، والإجماع اختلف فيه...والنص قسمان:

آحاد: لا يفيد إلا الظن.

ومتواتر: وهو مقطوع المتن مظنون الدلالة، وإن اقترن به قرائن حتى أفاد العلم الْمُتَحَق بالمعلوم من الدين ضرورة، وأنتم قلتم: إنه لا يكون فقهًا، ومقتضى ذلك أن يكون كل الفقه مظنونًا، ولا شيء منه بمعلوم".

انظر الإبهاج في شرح المنهاج (شرح على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي) لشيخي الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي:٢/ ١٠٢. دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد جمال الزمزمي - الدكتور نور الدين عبد الجبار صغيري الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

(٢) ذهب أكثر الفقهاء إلى أن من حجَّ بمال حرام أو بدابة مغصوبة فإن حجه صحيح لكنه يأثم. وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي.

وقال أحمد -رحمه الله- تعالى: لا يجزؤه.

الراتب، إذ قد يكونون معذورين كمسافرين نزلوا واقتدوا، كخائفين وقت صلاة الإمام، أو مرْضى أو مغلوبين على أمرهم لشغل مثلا، ولم يخطر ببالهم طعن على الإمام أو خطر، وهو أحق به أو بما فوق ذلك، فكل هؤلاء وأمثالهم لا يحكم لهم بالكراهة للعلة المذكورة بانتفائها(٤) في حقهم أو لنفي به ضررها.

كما يقال: ولم قصرت الكراهة على الجماعة مع أن العلة موجودة في حق الفردى قصدوا ذلك أولم يقصدوه، وإلا فما الفرق حتى أثرت العلة هنا لا هناك والقصد يصح من الكل؟

وقوله: "إن ذلك يؤدي إلى تفريق الجماعة". نقد يقال عليه:

_ أولا: المتخلف المعذور وإن أدى إلى تفريقها لا يحكم عليه بما يسلبه الأجور على صلاته جماعة والأعذار كثيرة، ومن لا عذر به إلا التكاسل أو الطعن في الإمام الغير الجائز، أو القصد إلى تفريق الجماعة فهذا لا يحكم على فعله بالكراهة بل بالحرمة. ومعها لا يبخس ولا يظلم في حقه، وتكره له الجماعة ويمنع فضلها وإن عمل الشر من جهة أخرى.

_ وثانيا: الفعل المؤدي إلى تفريق الجماعة إذا كان سببا في منعه من الجماعة وفضلها لقبحه، فكيف يفرق الجماعة فعلا؟ إذ منْعكُم منها وحُكمْكم عليها بالكراهة، ونفي الأجر تفريق لجماعات لا يحصي عددها إلا الله لكل من يصلي بعد الراتب في أقطار الأرض.

وقوله: "وقد أمر الشارع بالألفة" نعم أمر بها وهي تحصل لكل اجتماع للخير ودفع الشر، كما تحصل لاثنين، وأربع، وملايين، كالجمع في الصلاة والحج وأمثال ذلك، فالناهي عنها بصفتها مخالف للشارع، وقد نهيتم عنها أنتم من الأمر بتفريقها، والحكم على اجتماعاتها بالكراهة وبنفي أجورها، وهو خلاف الألفة التي دعا إليها الشارع.

فإن قلتم الناهي في هذه الصورة هو الشارع لا نحن، قيل لكم: {هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ}[1] وأسمعونا ما يسكتنا من دلائل الشرع لا قول الرجال المقابل بقولهم[2].

ومن قال: "إن الألفة لا تحصل إلا لكثرة الجماعة" فقد ادعى ما لا يجد له دليلا وإن كان الحصول بالكثرة أكثر من غير الكثرة.

وقوله: "وأيضا المقصود من صلاة الجماعة مع الإمام تكثير الجماعة". نقد يقال عليه: القصد إلى تكثير الجماعة في الخير مسلَّمٌ (٥) مع الإمام ومع غيره، وإن كان القصد يترجح بحسب مقتضياته فكما يطلب مع الإمام الراتب، يطلب مع إمام غير راتب، حيث لم يكن الراتب أو لم يتيسر، وإلا فما

(١) [سورة النمل الآية ٦٤].

(٢) الناهي في هذه الصورة هو الشارع، والقائل هو مالك، ومن أدلة مالك الكلية في هذا الباب مقصد حفظ وحدة الأمة، وسد الباب أمام كل من قد يتسبب في تفريقها.

المانع لهذا المرغب لهذا.

وقوله: "إذ قد يكون في الجماعة الكثيرة صالح أو ولي أو مغفور له"، نقد يقال عليه:

- أولا: لا مفهوم للكثيرة وإن كان فيها أظهر إذ قد يكون في القليلة.

- وثانيا: كيف روعيت هذه العلة مع الإمام الراتب، ولم تراع مع فقده في الجماعة بعده أو قبله أو معه على التفصيل الذي قدمنا، ولا مانع من حصولها وتأثيرها في الجميع.

- ثالثا: قوله: "صالح أو ولي أو مغفور له". نقد يقال عليه: الولي هو الصالح وهو المغفور له، فما فائدة تكرار أسماء مترادفة مع اقتضاء العطف بأو المغايرة كما هو معلوم.

قوله: "ولكي يرغب الناس في تحصيل الجماعة مع الإمام في أول الوقت". نقد يقال عليه:

- أولا: يظهر من كلامه أن هذه علة أخرى للحكم بالكراهة على الجماعة بعد الراتب وهذا ليس على إطلاقه فإنه لا يتوجه للمعذور، وكيف يعاقبون بمنعهم من الجماعة والأجر عليها بعد الراتب؟ فإن قيل منعوا من ذلك إذا أرادوا الصلاة في المسجد الذي صلى فيه الإمام الراتب وإلا فلا.

وحينئذ يقال لهم: ما الفرق بين هذا المسجد وهذا؟ والعلة المذكورة لا تتيسر في حقهم لا في هذا ولا ذاك، وإن كانوا غير معذورين في الصلاة مع الإمام في أول الوقت، فإذا أخطأوا بتركها وتأخروا فكيف يعاقبون بترك ما هو أولى من أول الوقت، وهو ترك الجماعة ونفي الفضل لهم فيها.

(٦) وإذا قيل: هو في خصوص ذلك المسجد للعلل المتقدمة، قيل لهم: اعتلوا بما شئتم وليس الأمر بأمانينا ولا أمانيكم، وإنما هو للشارع، وأين نصه الحاسم للنزاع بيننا وبينكم؟

- وثانيا: ليس بلازم أن يصلي الإمام الراتب في أول الوقت، فقد يصلي فيه، وفي وسطه، وفي آخره[1]، والناس مع التيسير، والأفضل أول الوقت معه، فإذا لم يتيسر لهم ذلك فكيف يلزمون بتأخير الوقت حتى يصليها؟ وقد تكون عليه المشقة في ذلك، فتأمل.

وقوله: "وإما أن يبيح لهم الجماعة بعد الإمام في كل وقت فقد يتكاسل الناس الخ". نقد يقال عليه:

- أولا: أتى "بإما" هنا وهي غالبا أو دائما لا تكون إلا في معرض التفصيل مسبوقة بمثلها، وليس شيء من ذلك هنا إلا أن يدعي أن هذا من غير الغالب، كما أن قوله: "ويتهاونون مع الإمام"، لا يظهر تعلق مع ب: يتهاونون إلا بذكر لفظة في الصلاة بينهما.

- وثانيا: هذه العلة لا تعتبر إلا إذا كانت مؤثرة، وهذا الدواء لا يلتفت إليه إلا إذا كان ناجعا، ونحن نراكم كرهتم لهم الجماعة بعد الراتب ليتركوها ويقبلوا على الإمام الراتب في وقته، فإذا بذلك لم يزدهم إلا إقبالا على المكروه في أقطار الأرض جُلِّها، إن لم نقل كلها شرقا وغربا، فالعلة وعدمها عندهم

(١) لقد أُلزم أغلب الأئمة في هذا العصر بأداء الصلاة في أول الوقت، وهو الأفضل.

سواء، بل اليوم وقبله تكاسلوا عن الجماعة كيفما كانت، بل عن الصلاة حتى في البيوت فُرادَى، بل (أبغضوا الدين)[1] وأهله، فما أسرنا لوجودهم مبغضين للدين فضلا عن صلاتهم جماعة بعد الراتب.

وقد ذكر هذه العلل التي بحثنا فيها التتائي[2]، وزاد فيها تطرف أهل البدع، وهذا يجاب عنه بما سيأتي عن أبي محمد بن حزم[3]، (٧) وبما قال الزرقاني[4] في شرح [الموطأ][5]: "وإن أدى لتفريق الجماعة، أو تطرق أهل البدع بالتأخير حتى يجمعوا مع إمامهم أو إذايته[6]، والتعليل في الثلاثة بالمظنة.

وقال بعضهم: "إذا انتفى الأولان جاز[7] انتهى".

أقول: وقد ذكر أن التقليل بالمظنة لبعض المجتهدين لا يبقيهم فضلا عن يقين الشرع وصراحته، كما حكى عن بعضهم وسلم: "أنه إذا انتفى الأولان جاز"[8]، ونحن وغيرنا يرى اليوم أن هذه الثلاثة كلها منتفية غالبا فترتفع الكراهة.

ثم قال هذا السيد مستدلا بالكراهة المذكورة: "خليل العدوي"[9] إلخ... نقد، وهذا كلام يقال فيه

(١) في المخطوط (أنفضوا الدين) والمثبت أليق بالسياق.

(٢) هو شمس الدين محمد بن إبراهيم التتائي المالكي المصري، من كتبه " فتح الجليل" شرح به مختصر خليل في الفقه شرحا مطولا"، و" جواهر الدرر " في شرحه أيضا، و" تنوير المقالة " في شرح رسالة ابن أَبي زَيْد القيرواني، فقه، و" خطط السداد والرشد بشرح نظم مقدمة ابن رشد... كانت وفاته سنة ٩٤٢هـ. تنظر ترجمته في نيل الابتهاج: ٣٣٥ (على هامش الديباج) وشجرة النور: ٢٧٢ والكواكب السائرة ٢: ٢٠ وبروكلمان، التكملة ٢: ٤٣٥ والزركلي ٦: ١٩٢.

(٣) هو إمام أهل الظاهر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الفارسي الأصل، الأندلسي القرطبي، ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وتوفي سنة ست وخمسين وأربعمائة، بلغ الغاية في الحفظ والذكاء وكثرة العلم، روى عن جماعة، منهم: يونس بن عبد الله القاضي، وعنه أبو عبد الله الحميدي، وعنه بالإجازة أبو الحسن شريح ابن محمد. تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان (٣/ ٣٢٥).

(٤) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري الأزهري المالكي، خاتمة المحدثين بالديار المصرية. مولده ووفاته بالقاهرة، ونسبته إلى زرقان "من قرى منوف بمصر" من كتبه "تلخيص المقاصد الحسنة" في الحديث، و"شرح البيقونية" و"شرح موطأ الإمام مالك " توفي سنة ١١٢٢ هـ.

(٥) ما بين معقوفتين ساقط من المخطوطة وإثباته أليق بالسياق؛ لأن هذا الكلام قاله الزرقاني في الموطأ.

(٦) قوله: (أوإذايته): يقابله في شرح الزرقاني:(أوإذايته).

(٧) شرح الزُّرقاني على مختصر خليل للزرقاني: ٢٧/١. ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد السلام محمد أمين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

(٨) شرح الزُّرقاني على مختصر خليل للزرقاني: ٢٧/١.

(٩) تقدم هذا في الجواب عن السؤال الأول.

وصف خليلٍ بالعدوي[1]، والعدوي[2] محشي الخرشي على خليل، ومحشي أبي الحسن على الرسالة، وليس هو نفس خليل، ثم ذكر قول خليل دون العدوي فكأن العدوي حشو هنا.

كما يقال عليه: حكمه بالكراهة المذكورة وإن أذن الإمام للجامعين بعده ينافي كون الحق للإمام في ذلك، إذ لو كان له الحق لما كانت كراهة مع إذنه على أن للإمام الحق في ألا يتقدم أحد عليه في وقته بغير إذنه؛ لأن له الحق في أن يكره أو يحرم على من خالفه وتقدمه أو تأخره أو صلى معه، بل ذلك للشارع، وأي دليل منه على ذلك.

كما أن قولهم: "إذا تأخر الإمام كثيرا انتفت الكراهة في حق من جمع قبله، ويكره للراتب أن يجمع حينئذ، فإذا لم يؤخر كثيرا فيجوز له الجمع بعد جمع غيره حيث كان بغير إذنه وإلا كره"، ينافي كون الحق له والعلل المتقدمة من الطعن وغيره إذ لا طعن هنا ولا فتنة ولا تشويش.

وقوله: "وتردَّدَ بعض الأشياخ في حصول فضل الجماعة لمن صلى بعد الراتب أو قبله والظاهر نفيه" إلى آخر ما قال.

نقد يقال عليه بما يأتي إن شاء الله تعالى "تعلم تردد بعض الأشياخ، وأنه أوهى الشق وساقط القائل بنفي فضل الجماعة، فضلا عن أن يكون أظهر من المثبت لفضلها، وهذا السيد ذكر (٨) التردد في حصول الجماعة وأتى بالتردد في فضلها في الدليل، وكان أصرح العبارة أن يقول في فضل الجماعة، كما أن ما استظهره هنا مخالف لما استظهره بناني، حيث قال: "قول الزرقاني[3]: وتردد بعض أشياخي"[4] إلخ. الظاهر حصول فضل الجماعة كما قالوا في الصلاة في الدار المغصوبة يثاب عليها

(١) في المخطوط:(خليلا)، والمثبت هو الموافق لقواعد النحو.

(٢) هو علي بن أحمد بن مكرّم الصعيدي العدوي: فقيه مالكي مصري، كان شيخ الشيوخ في عصره. ولد في بني عديّ (بالقرب من منفلوط) وتوفي في القاهرة. من كتبه " حاشية على شرح رسالة بن أبي زيد القيراني، و" حاشية على شرح العزية للزرقاني و" حاشية على شرح القاضي زكرياء على ألفية العراقي في المصطلح " و" حاشية على شرح الجوهرة لعبد السلام " و" حاشية على شرح السلم للأخضري " و" تقريرات على توفي رحمه الله سنة ١١٨٩ هـ. تنظر ترجمه في سلك الدرر ٣: ٢٠٦ وخطط مبارك ٩: ٩٤ والمكتبة العبدلية ٢٢٤ وثبت الأمير ٢ _ ٣.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) بالفعل ما نقل في الجواب الأول الذي يرد عليه النتيفي يخالف ما نقله البناني عن الزرقاني وبنقل النص يتضح المقصد أكثر قال البناني نقلا عن الزرقاني: "تردد بعض أشياخي في حصول فضل الجماعة لمن يصلي بعد الراتب أو قبله فلبعضهم نفيه؛ لأن الكراهة تنافيه ولبعضهم يحصل والكراهة لا لذات الجماعة بل لأمر خارج وهو الإقدام قاله علي الأجهوري، ومقتضاه عدم حصولها في الحرام كالصلاة معه وإن أذن لتفريق الجماعة أو تطرق أهل البدع بالتأخير حتى يجمعوا مع إمامهم أو أذيته والتعليل في الثلاثة بالمظنة. وقال بعضهم إذا انتفى الأولان جاز". انظر الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني للشيخ البناني:٢/ ٢٧ ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد السلام محمد أمين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.

من جهة، ويأثم من جهة أخرى، وكما قال ابن رشد في:" تنفل من عليه فوائت" ونقله الحطاب وق[1]. فيما تقدم"[2] انتهى.

الزرقاني[3] الذي حكى التردد عن بعض أشياخه لم يقل هو ولا هم، والظاهر نفيه، وقال الشيخ الطالب ابن الحاج[4] في شرحه على ميارة تنبيهان:

"الأول: استظهر بعضهم حصول فضل الجماعة لمن يصلي قبل الراتب أو بعده؛ لأن الكراهة ليست لِذَاتِ الجماعة بالأمر خارج وهو الإقدام ونظيره، الصلاة بالدار المغصوبة، وتَنفلُ من عليه فوائت"[5] انتهى.

وعليه فلينظر من أين أتى هذا القائل بأظهرية نفي فضل الجماعة، مع أن مقابله هو المبني على أصول الشريعة التي هي أصل المذهب وغيره.

وبعد إنهائنا القول في البحث الأول على سبيل الإجمال، نقول في البحث الثاني: "قد اختلف الناس

(١) يقصد برمز: (وق) المواق العبدري.

(٢) الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني للشيخ البناني:٢/ ٢٧ .

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) هو: أبو عبد الله محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي الفاسي: قاض مؤرخ. من فقهاء المالكية، من كتبه "الأزهار الطيبة النشر في مبادئ العلوم العشر" و"عقد الدرر واللآل في شرفاء عقبة بن صوال" و"حاشية على مختصر الدر الثمين ". تنظر ترجمته في الفكر السامي ٤: /١٣٣ وشجرة النور ٤٠١ وفهرس الفهارس١: / ٤٦٥ وفيه: وفاته سنة ١٢٧٤ ودليل مؤرخ المغرب ١:/١١٠.

(٥) حاشية ابن حمدون على شرح ميارة :٤٦/٢ عند شرحه المرشد المعين للبيت: "جماعة بعد صلاة ذي التزام"...

في هذه الصورة فرأى[١] قوم أنهم يصلون فرادى كسفيان[٢] ومالك وابن المبارك والشافعي[٣] والليثي[٤].

ورأى[٥] قوم أنهم يصلون جماعة كأنس وأصحابه وابن مسعود وأبي بكر الصديق وأبي سعيد الخدري وأبي أمامة وأبي موسى والحكم بن عمر وأيوب السختياني[٦]ومعمر[٧] وثابت البُنَاني[٨]

---

(١) في المخطوط: (فرأ) بدون ألف المقصورة، والمثبت موافق لقواعد الإملاء.

(٢) هو: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثّوري الكوفي. شيخ الإسلام. من مؤلفاته: "الجامع الكبير"، و"الجامع الصغير"، أخرج حديثه الستة. توفي سنة ١٦١ هـ.
تنظر ترجمته في: السير (مؤسسة الرسالة): ٧/ ٢٢٩- ٢٧٩، وطبقات الفقهاء ص: ٨٤.

(٣) أحسن ما وقفت عليه من كلام الأئمة في هذه المسألة هو كلام الإمام الشافعي -رضي الله عنه-، ولا بأس من نقله مع شيء من الاختصار، ولو طال به التعليق؛ نظرًا لأهميته وغفلة أكثر الناس عنه.
قال -رضي الله عنه- في "الأم": " لو كان للمسجد إمام راتب ففاتت رجلاً أو رجالاً فيه الصلاة، صلوا فرادى ولا أحب أن يصلوا فيه جماعة، فإن فعلوا أجزأتهم الجماعة فيه، وإنما كرهت لهم ذلك؛ لأنه ليس مما فعل السلف قبلنا بل عابه بعضهم، وأحسب كراهية من كره لتفرق الكلمة، وأن يرغب الرجل عن الصلاة خلف إمام جماعته، فتتخلف هو ومن أراد عن المسجد في وقت الصلاة، فإذا قضيت الصلاة دخلوا فجمعوا يكون فيه اختلاف وتفريق كلمة وفيهما المكروه، وبهذا قال جماعة الصحابة والفقهاء أبو حنيفة ومالك والثوري والأوزاعي والليث رحمهم الله، وروي ذلك عن سالم وأبي قلابة". انظر الأم للإمام الشافعي:٢/ ٢٩٢. المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب دار النشر: دار الوفاء الطبعة: الأولى سنة الطبع: ٢٠٠١ م، وبحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) للروياني المحقق: طارق فتحي السيد الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩ م.
وما علقه الشافعي عن الصحابة قد جاء موصولًا عن الحسن البصري قال: "كان أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- إذا دخلوا المسجد وقد صلي فيه صلوا فرادى"، رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٢٣).

(٤) في المخطوط: (البثي) بالثاء المثلثة، والمثبت أليق؛ لأنني لم أجد بثيا يقول بهذا الرأي حسب بحثي، وقد قال بذلك الليثي تبعا لشيخه مالك.

(٥) في المخطوط: (ورءا) بالألف الممدودة، والمثبت موافق لقواعد الإملاء.

(٦) هو أيوب بن تميمة السختياني البصري كان ثقة ثبتاً في الحديث وحجة عدلاً، روى له الجماعة وله نحو ألف حديث، قال الحسن البصري: أيوب سيد شباب أهل البصرة " توفى عام ١٣٢ هـ، انظر ترجمته في تهذيب الكمال ٤٥٧/٣.

(٧) هو معمر بن راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً، وكذا فيما حدث به بالبصرة، من كبار السابعة، مات سنة أربع وخمسين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة.
تهذيب التهذيب ٢٤٣/١٠، وتقريب التهذيب ص ٣٤٤.

(٨) ثابت بن أَسْلَم البُناني - بضم الموحدة ونوين مخففين -: أبو محمّد البصري، ثقة عابد، من الرابعة، روى عن أنس وابن عمر - رضي الله عنهم - وغيرهم، مات سنة مائة وبضع وعشرين من الهجرة، وله ست وثمانون. تنظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٤٤٩/٢، التقريب ١١٥/١) .

والحسن البصري[١] وعطاء[٢] وعبد الله بن يزيد[٣] وإبراهيم النخعي[٤] وقتادة وعثمان البتي[٥] وأحمد وإسحاق[٦] وداوود وابن حزم وغيرهم.

ومن المالكية أشهب[٧] وأصبغ[٨] وابن زرب[٩] وغيرهم"، بل حكى ابن حزم: "أنه لا يعلم لأنس

(١) هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري، التابعي الجليل، الثقة، الفقيه، الفاضل المشهور. كان إمام البصرة، وسيد أهل زمانه علمًا وعملًا. رأى عثمان وطلحة وكبار الصّحابة رضي الله عنهم أخرج له الستة. توفي سنة ١١٠ هـ.

تنظر ترجمته في: التاريخ الكبير: ٢٨٩/٢، والثقات لابن حبان: ١٢٢/٤، والسير: ٤/ ٥٦٣.

(٢) عطاء بن أبي رباح أسلم القرشي مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال، من الثالثة، مات سنة (١١٤هـ) على المشهور، وقيل إنه تغير بآخره ولم يكثر ذلك منه، من رجال الجماعة. تنظر ترجمته في: التقريب (ص٦٧٧-٦٧٨).

(٣) هو عبد الله بن يزيد المخزومي المدني المقري الأعور، مولى الأسود بن سفيان من شيوخ مالك، ثقة، توفي سنة ١٤٨هـ، تنظر ترجمته في الخلاصة ١١٢/٢، والتقريب /٣٣٠.

(٤) إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ثقة إلا أنه يرسل كثيراً، توفي سنة ١٩٦هـ -. تنظر ترجمته في: التقريب ص ٢٤.

(٥) هو: أبو عمرو عثمان بن مسلم البتي البصري - بياع البتوت: الأكسية الغليظة -: التابعي الجليل فقيه البصرة، حدث عن أنس رضي الله عنه والشعبي والحسن وغيرهم، وهو صدوق، أخرج له الأربعة، وكان صاحب فقه ورأي. توفي: ١٤٣ هـ. انظر: السير: ٦/ ١٤٨، التهذيب: ٧/ ١٣٩.

(٦) إسحاق بن راهويه، الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، أبو يعقوب، مولده سنة (١٦١هـ) وتوفي رحمه الله سنة (٢٣٨هـ) تنظر ترجمته "سير أعلام النبلاء" (٩-٥٤٧).

(٧) هو: أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز، واسمه مسكين. روى عن الإمام مالك، والليث، والفضيل بن عياض، وابن لهيعة وغيرهم، وروى عنه الحارث بن مسكين، ويونس الصدفي، وبنو عبد الحكم، وغيرهم. ألف أشهب"الكتب المدونة"، ورواها عنه سعيد بن حسان، وغيره. قال عياض: وهو كتاب جليل كبير كثير العلم. توفي بمصر سنة ٢٠٤هـ.

تنظر ترجمته في: ترتيب المدارك: ٢٦٢/٣-٢٧١-، والديباج المذهب: ٣٠٧/١-٣٠٨، والشجرة: ٨٩/١.

(٨) هو: أبو عبد الله أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع المصري الإمام الثقة الفقيه المحدث. روى عن الدراوردي، ويحيى بن سلام وعبد الرحمن بن زيد، وسمع ابن القاسم وأشهب وابن وهب، وكان كاتباً لابن وهب. روى عنه الذهبي، والبخاري، وأبو حاتم الرازي، وابن وضاح، وتفقه به ابن المواز، وابن حبيب، وابن مزين وغيرهم.

من مؤلفاته: كتاب "الأصول"، و"تفسير حديث الموطأ"، وكتاب" آداب القضاء"، وغير ذلك. توفي رحمه الله بمصر سنة: ٢٢٥ هـ.

تنظر ترجمته في: المدارك: ١٧-٢٢، والديباج: ٣٠٠/٢٩٩/١، والشجرة: ١/ ٩٩.

(٩) تقدمت ترجمته.

مخالف في ذلك من الصحابة رضي الله عنهم"[1].

أما حجة الأولين، فالْعِلَلُ المذكورة لبعض المالكية المتقدمة وهي:

أولا: مخدوش(٩) فيها[2].

وثانيا: إذا انتفت انتفى معلولها وهو الكراهة، وقد تقدم ما يدل لذلك عند الزرقاني[3] وهي اليوم منتفية، إذ لا تكاد غالبا ترى جماعة بعد الراتب تقصد لجماعتها شيئا من تلك العِلَل[4]، وغالبها يجتمع عفوا واتفاقا.

وأما حجة من قال: بمطلوبية الجمع فحجة تضمحل بين يديها تلك الحجة التي اضمحلت بنفسها اليوم، والأولى منها الأصل الذي لم يقيد بزمان ولا مكان ولا بعد راتب ولا قبله ولا ولا... فالمقيد له إن كان من الشارع فأين هو؟ ولو كان لذكروه، وإن كان من تلقاء نفسه واجتهاده فليس حجة على غيره.

الحجة الثانية: الحديث الذي رويناه بأسانيدنا إلى الإمام أحمد وأبي داوود والترمذي والحاكم والبيهقي وابن حبان وابن أبي شيبة عن أبي سعيد أن رجلا دخل المسجد وقد صلى رسول الله بأصحابه فقال رسول الله: "من يتصدق على هذا فيصلي معه؟ فقام رجل من القوم فصلى معه"[5]. وفي لفظ الترمذي:"أيكم يتجر على هذا؟"[6] (وفي مصنف ابن شيبة)[7]:" قام رجل هو أبو بكر الصديق فصلى

---

(١) قلت: قد خالفه من الصحابة من هو أفقه منه، وهو عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، روى عبد الرزاق في (المصنف) (٢/ ٤٠٩/ ٣٨٨٣) والطبراني في "المعجم الكبير" (٩٣٨٠) بسند حسن عن إبراهيم أن علقمة والأسود أقبلا مع ابن مسعود إلى المسجد فاستقبلهم الناس وقد صلوا فرجع بهما إلى البيت. . ثم صلى بهما.

فلو كانت الجماعة الثانية في المسجد جائزة مطلقًا لما جمع ابن مسعود في البيت مع أن الفريضة في المسجد أفضل كما هو معلوم، ثم وجدت ما يدل على أن هذا الأثر في حكم المرفوع؛ فإنه يشهد له ما روى الطبراني في: "الأوسط" رقم (٤٧٣٩ -) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقبل من نواحي المدينة يريد الصلاة فوجد الناس قد صلوا فمال إلى منزله فجمع أهله فصلى بهم. وقال: "لا يروى عن أبي بكرة إلا بهذا الإسناد".

(٢) من حجج المالكية في هذا الباب أصل سد الذرائع، وهو من الأصول القوية.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) العلل المذكورة عند الشيخ الزرقاني إذا انتفت في عهد النتيفي، فالآن قد عادت مرة ثانية ولم تنتف بعد، ولو فتح هذا الباب لبعض الجماعات المتشددة لاتسع الخرق على الرقع.

(٥) أخرجه أحمد ٥/٣ عن محمد بن أبي عدي، بلفظ "من يتجر على هذا فيصلي معه؟ " قال: فصلى معه رجل.

وأخرجه أحمد ٤٥/٣، والترمذي (٢٢٠) في الصلاة: باب ما جاء في الجماعة في مسجد قد صلِّي فيه مرة، من طريق سعيد بن أبي عروبة، به. قال الترمذي: حديث حسن، وصححه ابن خزيمة (١٦٣٢).

(٦) أخرجه الترمذي كتاب سنن الترمذي، باب ما جاء في الجماعة في مسجد قد صلي فيه مرة رقم ٢٢٠.

(٧) في المخطوط (وفي ابن شيبة)، والمثبت أليق بالسياق؛ لأن الحديث المصنف.

معه" [1].

قد استدل العلماء بهذا على إعادة الجماعة بعد الراتب[2]، وأي حجة تقوم مع حجة العمل على غير مشهور المذهب المالكي، وهي الثالثة، وهو أنه مقدم عندهم على المشهور[3] لو لم يكن معضدا بالسنة فكيف به، وقد عضد بها هاهنا؟

وقد تركوا للعمل مشهورات كثيرة كالبثة في الحرام لكون العمل جعلها واحدة بائنة، وتركوا الكفارة في اليمين لجعل العمل لها طلقة رجعية، وقس على ذلك، والعمل المذكور هو ما ذكره صاحب العمل[4] من أن إعادة الجماعة بعد الراتب جرى بها العمل، وقد ذكر هذا العلامة الشيخ كنون في مختصره إذ قال: "ففي شرح العمل الفاسي عند قوله:

كذا إعادة صلاة مسجد له إمام راتب أن تعاد

ما نصه: "قال القباب[5] وعن أشهب أنه جمع مع أصبغ في مسجد _رسول الله صلى الله عليه وسلم_"، وأجاز ذلك عطاء[6] والحسن البصري وقتادة والنخعي وأحمد وإسحاق[7]، وروي مثله عن ابن مسعود وأنس، فلعل هذا مستند العمل المذكور في النظم إن صح على الإطلاق، وإلا فالذي كنا (١٠) نسمع على لسان غير واحد تخصيصه بمدرسة العطارين[8] من فاس، فانظره".

(١) المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة:٤/ ٤٥٦. المحقق: سعد بن ناصر الشثري الناشر: دار كنوز إشبيليا – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

(٢) غاية ما في هذا الحديث رغب الرسول -صلى اللَّه عليه وسلم- أحد الذين كانوا صلوا معه -صلى اللَّه عليه وسلم- في الجماعة الأولى أن يصلي وراءه تطوعًا، فهي صلاة متنفل وراء مفترض، وموضوعنا إنما هو في صلاة مفترض وراء المفترض فاتتهم الجماعة الأولى، ولا يجوز قياس هذه على تلك؛ لأنه قياس مع الفارق، والقاعدة تقول لا قياس مع وجود الفارق.

(٣) المشهور: هو ما كثر قائله، أو ما قوي دليله. انظر موسوعة القواعد الفقهية:١٢ / ٩١.

(٤) إلا هذا المتن اسمه العمل الفاسي، وليس العمل المالكي، ولقد قول الشيخ النتيفي كل المالكية مالا يقولون.

(٥) هو أحمد بن قاسم الجذامي، كان رحمه الله محدثاً متقناً ضابطاً، عارفاً بضبط الحديث وأسماء رجاله ولغته، فاضلاً في الفقه والأصلين والعربية والمعاني والبيان، مستبحراً في اللغة والأدب مشاركاً في الجدل والمنطق واشتغل في آخر عمره بالنظر في كتب التصوف ولزم الاشتغال بالفقه والعربية في المسجد النبوي وكانت له وجاهة عظيمة عند أمراء المدينة، وكان مقصداً للشفاعات إليهم فلا ترد له شفاعة في غالب الأمر.

وله تآليف وتقاييد حسنة مفيدة منها: نزهة النظر ونخبة الفكر في شرح لامية العجم وذيلها له...

وله على شرح بن الحاجب لابن عبد السلام حواش تكلم فيها على ما لم يتكلم عليه الشارح من أصل المؤلف...

توفي رحمه الله يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادي الآخرة سنة ست وأربعين وسبعمائة. تنظر ترجمته: في الديباج: ٤١/١.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) هي مدرسة بناها أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة ٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣ م إزاء جامع القرويين. (انظر الحلل الموشية ١٧٩_١٧٨وجذوة الاقتباس ٢/ ٤٥٧_٤٥٦_ والأعلام٤/ ٢١٥. والاستقصا: ٣/ ١١٢).

القول الصائب في طلب الجماعة بعد الراتب لمؤلفه شيخ الإسلام أبي زيد الحاج عبد الرحمن بن محمد النتيفي الجعفري نسبا البيضاوي مسكنا (ت: ١٣٨٥هـ)

لكن في حاشية ابن عاشر ما نصه: "أقول ليس من هذا تعدد الجماعة في مدرسة العطارين خارج القبة؛ لأن ذلك الموضع لا إمام له راتب، وليس من المسجد الذي هو القبة بدليل المكنى فوقه".

ونقل في المعيار عن الغبريني[1] رحمه الله أنكر الأخذ بغير مذهب مالك في هذه المسألة فانظره[2].

وعلى القول بالجواز فيجوز للجماعة الثانية أن يجمعوا ليلة المطر بعد جمع الأولى، وإما على الكراهة، فقال البرزلي في نوازله: "يعيدون العشاء في وقتها"، وأفتى أبو عبد الله القوري[3]بصحة الجمع قائلا: "ولا خلاف فيه والله أعلم" انتهى.

وإذا نقلنا كلام الفقيه كنون هنا، ورأيت ما فيه فلِنلفتْ نظرنا إلى البحث في بعض معانيه وجمله فنقول:

قوله: "ولعل هذا مستند العمل الظاهر أن الإشارة راجعة إلى أهل المذهب وغيرهم من العلماء المذكورين"، وعودها إلى خصوص أصبغ وأشهب[4] بعيد إذ لا قرينة على التخصيص، وتضيع حينئذ فائدة ذكر غيرهما معهما، وفيه ما يدل على أنه يجوز استناد العمل إلى خارج المذهب، كما هو موجود بالفعل في كثير من الأعمال، كتعدد الجمعة وأمثاله.

كما أن قوله" إن صح على الإطلاق" إلخ. يقال عليه التشكك هنا لا محل لذكره لوجوه:

الأول: ما يقال يبعد كل البعد أن يخبر صاحب العمل عن جريان العمل بفاس أو بالمغرب وهو يريد بذلك خصوص مدرسة العطارين.

الثاني: السماع على لسان غير واحد أنه خاص بالمدرسة المذكورة لا يقوم لوجود إعادة الجماعات بفاس وغيرها وقتئذ.

---

(١) هو: أبو القاسم، أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد ثلاثاً الغبريني. قاضي الجماعة وفقيه تونس وعالمها وإمامها وخطيبها بجامع الزيتونة. أخذ عن ابن عبد السلام وغيره، وعنه البرزلي وأبو الطيب بن علوان وأبو مهدي عيسى الغبريني وأبو عبد الله القلشاني وجماعة. توفي سنة ٧٧٢ هـ . وتولى الخطابة مكانه ابن عرفة.

تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج ص: ١٠٤، والشجرة: ١/ ٣٢٣.

(٢) المعيار المعرب والجامع المغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي:١/ ٢٢١. المحقق: جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي الناشر: دار الغرب الإسلامي ١٩٩٠م.

(٣) هو: أبو عبد الله، محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد المشهور القوري (بفتح القاف وسكون الواو ثم راء). قال عنه تلميذه ابن غازي: كان فقيهًا عالمًا علامة مفتيًا مشاورًا حجة حافظًا. أخذ عن أبي موسى عمران الجاناتي وأبي الحسن التلاجدوتي، وأبي عبد اللَّه الحاج عزوز، وأبي القاسم التارغدري وأبي محمد العبدوسي. أخذ عنه جماعة من أهل فاس وغيرهم كإبراهيم بن هلال والشيخ عبد اللَّه الزموري، وأبي الحسن الزقاق، وأبي مهدي الأواسي، وابن غازي وغيرهم.

تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج ص: ٥٤٨-٥٥٠، وكفاية المحتاج، ص: ١٨٤، وتوشيح الديباج، ص: ٢٠٢، وسلوة الأنفاس: ٢/ ١١٥.

(٤) تقدمت ترجمتهما.

الثالث: كيف يصح ذلك في تلك المدرسة ويبنى عليه تخصيصها بذلك وهي لا إمام لها راتب بشهادة ما في حاشية ابن عاشر المذكورة.

كما أن إنكار الغبريني الأخذ في هذه المسألة بغير مذهب مالك، يقال عليه: ولم فإن كان لكونه لا يجوز الأخذ في مسألة ما بغير المذهب فأين دليله؟ وليس بمشرع، وإنكاره هذا مقابل بإنكار الناس لإنكاره، وقد أخذ الناس في مسائل كثيرة بغير مذهب المالكية وغيرهم.

وإن كان (١١) في خصوص هذه المسألة فيقال عليه: ما ذنبها المخرج لها من حكم أصلها؟ ولعله مجرد نظره وليس الأمر بأمانيِّه ولا أمانيِّ غيره، على أنهم قالوا أقوال أهل المذهب، ولاسيما أقوال أصحاب شيخ المذهب بمنزلة قوله، وهذه المسألة قال بها أشهب[١] وأصبغ[٢] فلا علينا إذا أخذنا بمذهبهما؛ لأنه مذهب الإمام حينئذ، وكان للإمام فيها قولان، ومراتبه على القول بالجواز والكراهة من صحة الصلاة المعادَةِ بعد الراتب في جمع المطر صحيح، ودل على أنه لا فرق بين الجمع للعذر ولتحصيل فضل الجماعة، وإلا فلا فرق، ومؤذن بأن الكراهة المحكية عن القائل بها إنما هي الإقدام على ذلك ولا تؤثر في جماعة ولا في فضلها بالبرهان.

فإذا أحطتَ بهذا خبرا علمتَ أن الحق المثبتَ بالدليل عند المالكية وغيرهم هو مطلوبية إعادة الجماعة بعد الراتب.

ولعل قائلا يقول: "وما نصنع بالنصوص المتقدمة كنص الرسالة وخليل وابن عاشر وغيرهم؟" قيل له: يصنع بها ما رأيت من النظر في إطلاقها وتقييدها وجلبها وخصومها إلى قاضي الشريعة والدليل، فأيهما أثبت الحجة والبينة حكم له على غيره، {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [٣].

ثم لعل قائلا يقول: "إنا لا نقنع بهذا ولا نرضى بحكم الشريعة، وإنما نرضى وتطيب قلوبنا لما في مذهبنا". فيُقالُ له:"بعد أن يذكر بأن هذه وصْمةٌ وعيبٌ، وحكمْتَ بها على نفسك وعلى مذهبك، فزعمك بأنه يقدم على الشريعة ما أفتيناك إلا بمَذْهَبِك ومشهورِه؛ إذ المشهور الحاكم بالكراهة معلل بعلل، يقول: "إذا فقدت فقدت الكراهة" وهي قاعدة أصولية عنده وعند غيره، وهي منتفية كما قدمنا وتكون الصورة جائزة على أصلها ومع انتفائها يبقى الأخذ بالأصل، وهو حديث الأمر بالجماعة الذي لم يقيد بشيء من تلك العلل وغيرها كما تقدم، لما أن العمل بالمغرب يقدم على المشهور وهو جار بجواز الجماعة المذكورة، كما أن المذهب مشهورا وغيره على الحقيقة هو جواز تلك الجماعة المذكورة لصحة الحديث فيها، وهو مذهب مالك (١٢)وغيره؛ حيث يقول ويقول غيره: "إن صح الحديث فهو مذهبي واضربوا

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

القول الصائب في طلب الجماعة بعد الراتب لمؤلفه شيخ الإسلام أبي زيد الحاج عبد الرحمن بن محمد النتيفي الجعفري نسبا البيضاوي مسكنا (ت: ١٣٨٥هـ)

بمذهبي عرض الحائط"[1].

وقد صح الحديث فهو مذهبه، ومن أفتى بغيره فقد أفتى بغير مذهبه هذا، وإذا أسرتك حجة وبينة المذهب فما بقيت لك دعوى بأن هذه الفتوى خارج المذهب على أن كل مذهب صح دليله فهو المذهب المطلوب من المسلمين، إنما المؤمنون إخوة كائنا لمن كان، كما أنه لا يضرك وقتئذ أن تسمع ما تنكر حجته عليك، وهو ما رويناه وقصدنا الختم به إظهارا؛ لما هو الحق عند أهل العلم من كلام الإمام أبي محمد بن حزم في محلاه[2]؛ إذ قال ما نصه:" مسألة: وَمَنْ أَتَى مَسْجِدًا قَدْ صُلِّيَتْ فِيهِ صلاة فرض جماعة وَيُجْزِئُهُ الْأَذَانُ الَّذِي أُذِّنَ فيه قبل، وكذلك الإقامة ولو أعادوا أذانا وإقامة فحسن؛ لأنه مأمور بصلاة الجماعة، وأما الأذان والإقامة فإنه لكل من صلى تلك الصلاة في ذلك المسجد ممن شهدهما أو ممن جاء بعدهما، وهو قول أحمد بن حنبل وأبي سليمان[3] وغيرهما.

وقال مالك: لا تصلى فيه جماعة أخرى إلا ألا يكون له إمام راتب، واحتج له مقلدوه بأنه قال هذا قطعا لئلا يفعل ذلك أهل الأهواء.

قال علي: ومن كان من أهل الأهواء لا يرى الصلاة خلف أئمتنا فَإِنَّهُمْ يُصَلُّونَهَا فِي مَنَازِلِهِمْ، وَلَا يَعْتَدُّونَ بها في المساجد مُبْتَدَأَةً (أَوْ غَيْرَ)[4] مُبْتَدَأَةٍ مع إمام من غيرهم، فهذا الاحتياط لا وجه له، بل ما حصلوا إلا على استعجال المنع مما أوجبه الله تعالى من أداء الصلاة في جماعة خوفا من أمر لا يكاد يوجد ممن لا يبالي باحتياطهم.

ولقد أخبرني يونس بن عبد الله القاضي قال: كَانَ مُحَمَّدُ بن يبقى[5] بْنِ زَرْبٍ الْقَاضِي[6] إذَا دخل مسجدا قد جمع فيه إمامه الراتب وهو لم يكن صلى تلك الصلاة بعْدُ، جمع بمن معه في ناحية المسجد.

قال علي: وأما نحن فإن من تأخر عن صلاة الجماعة لغير عذر لكن قلة اهتبال أَوْ لِهَوًى، أَوْ لِعَدَاوَةٍ مَعَ الْإِمَامِ فإننا ننهاه، فإن انتهى، وإلا أحرقنا منزله كما قال _رسول الله صلى الله عليه وسلم_.

(١) هي قاعدة غير مطردة، فلقد صحت أحاديث كثيرة عند مالك من خبر الآحاد، ولم يعمل بها؛ لكونها تعارضت مع عمل أهل المدينة.

(٢) استدل الشيخ النتيفي على رأي مالك بكلام ابن حزم الظاهري، وابن حزم كان من المناهضين للمذهب المالكي بالأندلس، ولهذا اجتهد في نسفه بكل ما أوتي من العلم.

(٣) يقصد بأبي سليمان داود الظاهري.

(٤) في النسخة المخطوطة (وغَيْرَ) والمثبت موافق لما في كل نسخ المحلى المطبوعة.

(٥) في النسخة المخطوطة (بقى) والمثبت موافق لما في كل نسخ المحلى المطبوعة وكتب التراجم.

(٦) هو: أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب من كبار القضاة وخطباء المنابر بالأندلس. ولي القضاء بقرطبة ثلاثين سنة. ووضع كتاب "الرد علي ابن مسرة" في نقض آرائه، وكتاب "الخصال" في الفقه. روى عنه القاضي أبو الوليد ابن الصفار، وأبو بكر بن حوبال، وغيرهما.
تنظر ترجمته في: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ص: ١٠٠، والمغرب في حلى المغرب: ٢١٤/١، والمرقبة العليا ص: ٧٧.

والعجب أن المالكيين يقولون: فإن صلوها فيه جماعة أجزأتهم، فَيَا لِلَّهِ وَيَا لِلْمُسْلِمِينَ أَيُّ حجة لهم في منعهم من صلاة جماعة تفضل (١٣)صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة، وهي عندهم جائزة، عمر صلاها، فأي اختيار أفسد من هذا.

وَرُوِّينَا عن سفيان الثوري عن يونس بن عبيد[١] عن الجعد أبي عثمان[٢] قال: "جاءنا أنس بن مالك عند الفجر وقد صلينا فأقام وأم[٣] أصحابه".

وروينا أيضا: "أنه كان معه عشرة من أصحابه فأذن وأقام ثم صلى بهم".

وَرُوِّينَا أيضا من طريق معمر[٤] وحماد بن سلمة[٥] عن أبي عثمان عن أنس وَسَمَّاهُ حَمَّادُ[٦] فَقَالَ: فِي مَسْجِدِ بَنِي رِفَاعَةَ.

وعن ابن جريج[٧]: "قلت لعطاء: نفر دخلوا مسجد مكة خلاف الصلاة ليلا أو نهارا يؤمهم أحدهم"، قال:" نعم وما بأس ذلك؟".

وَرُوِّينَا عن سفيان الثوري[٨] عن عبد الله بن يزيد: أَمَّنِي إبْرَاهِيمُ فِي مَسْجِدٍ قَدْ صُلِّيَ فيه فَأَقَامَنِي عن يمينه بغير أذان ولا إقامة.

(١) يونس بن عبيد بن دينار العبدي أبو عبيد البصري: ثقة فاضل. مات سنة ١٢٥ هـ. تنظر ترجمته في التقريب ص ٣٩٠.

(٢) الجعد أبو عثمان: هو الجعد بن دينار اليشكري، وهو ثقة، وثقه ابن معين وأبو داود وغيرهما، وترجم له البخاري في التاريخ ٢/ ٢٣٨.

(٣) في النسخة المخطوطة (وأما) والمثبت موافق لما في كل نسخ المحلى المطبوعة.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) هو: حماد بن سلمة بن دينار الإمام أبو سلمة أحد الأعلام، يقال ولاؤه لقريش عن سلمة بن كهيل وابن أبي مليكة وأبي عمران الجوني وعنه شعبة ومالك وأبو نصر التمار قال بن معين إذا رأيت من يقع فيه فاتهمه على الإسلام، وقال عمرو بن عاصم كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفا قلت هو ثقة صدوق يغلط وليس في قوة مالك، توفي ١٦٧. تنظر ترجمته في الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة لشمس الدين الذهبي المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) هو: أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، أول من دون العلم بمكة، وصنف الكتب قاله الإمام أحمد، ولد سنة ثمانين عام الجحاف سيل بمكة، مات سنة خمسين ومائة أو بعدها.
تنظر ترجمته في: المعارف ٤٨٨، التذكرة ١٦٩/١، السير ٣٢٥/٦، الميزان ٦٥٩/٢، تهذيب التهذيب ٤٠٢/٦، التقريب ٥٢٠/١.

(٨) تقدمت ترجمته.

وعن معمر[١]: صحبت أيوب السختياني[٢] من مكة إلى البصرة فأتينا مسجد أهل ماء قد صلى فيه فأذن أيوب[٣] وأقام ثم تقدم فصلى بنا.

وعن حماد بن سلمة[٤] عن عثمان البتي[٥] قال: "دخلت مع الحسن البصري وثابت البناني[٦] مسجدا قد صلى فيه أهله فأذن ثابت وأقام وتقدم الحسن فصلى بنا، فقلت: يا أبا سعيد أما يكره هذا؟" قال:" وما بأسه؟ "قال علي:" هذا مما لا يعرف فيه لأنس بن مالك مخالف من الصحابة رضي الله عنهم".

ورُوِّينا من طريق أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا عبادة بن سليمان عن سعيد بن (أبي عرُوبَة)[٧]، عن سليمان هو ابن الأسود الناجي، عن أبي المتوكل هو علي بن داوود الناجي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل وقد صلى _رسول الله صلى الله عليه وسلم_ فقال: "أيكم يتجر على هذا"؟ فقام رجل فصلى معه[٨]، قال علي: لو ظفروا بهذا لطاروا به كل مطار[٩] انتهى.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) في النسخة المخطوطة (البثي) بالثاء المثلثة، والمثبت موافق لما في المحلى وكتب التراجم والبتي هذا هو عثمان ابن مسلم البصري، الفقيه الثقة، المتوفى ١٤٣. تنظر ترجمته في (التهذيب: ٧/ ١٣٩).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) في النسخة المخطوطة (أبي عروة). والمثبت موافق لما في المحلى وكتب التراجم وأبو عروبة هذا هُوَ، أَبُو النَّضر: سعيد بن أبي عرُوبَة، مهْرَان: الْيَشْكُرِي، مَوْلَاهُم الْبَصْرِيّ ثِقَة، حَافظ، لَهُ تصانيف، لكنه كثير التَّدْلِيس توفي سنة ٥٦ وَقيل: ٧٥/ تنظر ترجمته في: التَّقْرِيب ١/ ٣٠٢، وَفِي تَهْذِيب التَّهْذِيب ٤/ ٦٣.

(٨) أخرجه بهذا اللفظ: أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الجمع في المسجد مرتين (٢١٢/١) رقم (٥٧٤) . والدارمي رقم (١٣٧٥) ورقم (١٣٧٦) انظر تحفة الأشراف (٤٣٠/٣) حديث (٤٢٥٦).

(٩) المحلى لابن حزم الظاهري:٤/٢٣٦_٢٣٧. المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الثراث – القاهرة.

وبانتهاء ما لأبي محمد بن حزم ينتهي بحثنا بنتيجة يسفر عنها، وهو طلبه الجماعة بعد الراتب ومشروعيتها، فتأمل ما كتبنا بإمعان، تجد الدليل مع القائلين بمشروعيتها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كان الفراغ منه يوم الجمعة ثالث عشر رمضان عام أربعة وسبعين وثلاث مائة وألف هجرية (١٣٧٤ هـ).

ويليه تعليق ابن المؤلف الفقيه السيد الحاج الحسن رحمه الله:

أقول:" تحصل من البحث المتقدم الذي (١٤) شفى فيه الغليل، ودوى به العليل، والدي الإمام، أن الجماعة بعد الراتب مرغوب فيها ومشروعة، دل على مشروعيتها الأحاديث والآثار الكثيرة التي من جملتها حديث: "صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة" [١]. وهذا للأمة على سبيل السنية على مذهب الجمهور، وعلى الفرضية على ما لأهل الظاهر، ودل له الحديث الصريح الذي رواه الإمام أحمد وأبو داوود والترمذي وغيرهم عن أبي سعيد المتقدم، وعلى مشروعية الجماعة بعد الراتب ذهب جماهير أهل العلم من الصحابة والتابعين وقد قدمنا أسماءهم[٢].

ومن خالف في ذلك من أهل العلم كمالك فقد عارضه جماعات من أصحابه كأشهب وأصبغ وغيرهم، والحجة معهم، ودلت لهم الآثار المتقدمة، ويدل لذلك جريان العمل بإعادة الجماعة بعد الراتب فصار القول به هو المشهور والراجح معا، والذين قالوا بالكراهة يضعف مذهبهم قولهم بصحة صلاة الجماعة إن وقع ونزل والله المستعان.

حسن بن المؤلف رحمه الله، وفرغ من نسخه يوم السبت ثالث عشر جمادى الثانية عام خمس وثمانين وثلاث مائة وألف هجرية (١٣٨٥هـ)، انتهى وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، والحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين.

(١) أخرجه البخاري كتاب الجمعة باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء حديث ٩٠٠ ومسلم كتاب الصلاة باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة حديث ٤٤٢.

(٢) وقد توسع ابن رشد الحفيد في هاتين المسألتين، وذكر سبب اختلاف الفقهاء فيهما مع ذكر أدلتهم. انظر. بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد: ١/ ١١٤ تنقيح وتصحيح خالد العطار طبعة جديدة منقحة ومصححة إشراف مكتب البحوث والدراسات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان طبعة ١٤١٥هـ.

المصادر والمراجع

١. الإبهاج في شرح المنهاج (شرح على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي) لشيخي الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي. دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد جمال الزمزمي الدكتور نور الدين عبد الجبار صغيري الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، المؤلف: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (ت١٣١٥هـ)، المحقق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الناشر: دار الكتاب، الدار البيضاء، سنة النشر: ١٤١٨هـ -١٩٧٩م.

٣. الأعلام. تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، أيار/مايو ٢٠٠٢م.

٤. الأم للإمام الشافعي المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب دار النشر: دار الوفاء الطبعة: الأولى سنة الطبع: ٢٠٠١م.

٥. بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) للروياني المحقق: طارق فتحي السيد الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م.

٦. بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد تنقيح وتصحيح خالد العطار طبعة جديدة منقحة ومصححة إشراف مكتب البحوث والدراسات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان طبعة ١٤١٥هـ.

٧. تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، (ت:٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد- سوريا، الطبعة: الأولى: ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، (ت٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

٩. توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تأليف: بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي، (ت١٠٠٨هـ). تحقيق د/علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، (صحيح

البخاري)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

١١. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، تأليف: أحمد ابن القاضي المكناسي (١٠٦٥هـ)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.

١٢. حاشية ابن حمدون على شرح ميارة، بدون تحقيق، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٣. رسالة ابن أبي زيد، القيرواني: ص ١٤٦ جمع الأستاذ المحقق الشيخ صالح عبد السميع الآبى الازهري، الناشر: المكتبة الثقافية بيروت – لبنان.

١٤. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تأليف شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، حققها ووضع فهارسها حفيد المؤلف: الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني.

١٥. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، (ت٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دون طبعة وتاريخ.

١٦. سير أعلام النبلاء المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت:٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

١٧. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف: محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف (ت١٣٦٠هـ)، تعليق: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٨. شرح الزُّرقاني على مختصر خليل للزرقاني ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد السلام محمد أمين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

١٩. طبقات الفقهاء، المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، (ت٤٧٦هـ)، هذبه: محمد بن مكرم بن منظور، (ت٧١١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٧٠م.

٢٠. الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني، للشيخ البناني: ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد السلام محمد أمين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢١. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لشمس الدين الذهبي، المحقق: محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٢. كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج، تأليف أحمد بابا التنبكتي، دراسة وتحقيق ذ/محمد مطيع، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، مطبعة فضالة- المحمدية، سنة: ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

٢٣. متن ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين، لعبد الواحد بن عاشر الأندلسي، مكتبة القاهرة الطبعة الأولى.

٢٤. المحلى لابن حزم الظاهري: المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار التراث – القاهرة.

٢٥. مختصر العلامة خليل بن إسحاق بن موسى ضياء الدين الجندي، المحقق: أحمد جاد، الناشر: دار الحديث/القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٦. مختصر ترجمة شيخ الإسلام رحمه الله أبي زيد الحاج عبد الرحمن النتيفي الجعفري، لابنه الفقيه: حسن بن عبد الرحمن النتيفي الجعفري، ص: الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٠هـ.

٢٧. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ -٢٠٠٠ م.

٢٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (صحيح مسلم)، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت:٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٩. المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة المحقق: سعد بن ناصر الشثري، الناشر: دار كنوز إشبيليا – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م.

٣٠. المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية.

٣١. المعيار المعرب والجامع المغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المحقق: جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، الناشر: دار الغرب الإسلامي ١٩٩٠م.

٣٢. من أعلام الدعوة السلفية، ببلادنا للشيخ زحل، نشرته مجلة الفرقان المغربية، عدد ١٥، سنة ١٤٠٨.

٣٣. من أعلام الدعوة السلفية، ببلادنا للشيخ زحل، نشرته مجلة الفرقان المغربية، عدد ١٦، سنة ١٤٠٩.

٣٤. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تأليف: أبي العباس أحمد بابا بن أحمد ابن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، (ت١٠٣٦هـ)، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، الناشر: دار الكاتب، طرابلس – ليبيا.

٣٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان (٣/ ٣٢٥).

Ahmad Al-Bouni and its organization for the doctrine of Abi Madian Al-Gauth, study, investigation and commentary

Dr. Marzouq Al-Omari / Algeria

Ahmed bin Qasim Al-Bouni, one of the great scholars of Islam, was famous for his many and varied writings, in a circumstance where the authors said: Which distinguished him from scholars of his time.

Although some of his biography tracers translated him as a hadith scholar, but whoever follows the heritage of Ahmad al-Buni finds him as an Islamic encyclopedia one. He wrote in various Islamic sciences, such as: jurisprudence, hadith, monotheism, language ... and others. In addition to natural sciences such as medicine, his writings also varied including original authorship, commentaries, notes, and al-Manzum.

One of the works that Ahmad Al-Bouni left for us and which appeals to the researcher in the field of heritage is what he wrote in the Ash'ari creed, which is built on the doctrine of Abi Median al-Gauth, which in turn is an important poetic body in the history of the science of the doctrine. I have previously investigated and published in the Moroccan magazine Al-Ibana after getting a piece of Abu Median creed poem.

The correct saying about the Jama'a prayer's request after the Ratib Imam. The opinion of Sheikh Al-Islam Abu Zayd Al-Hajj Abd Al-Rahman bin Muhammad Al-Natifi (T .: 1385 AH)

Dr. Rashid Al-Jari / Morocco

This is a detailed message on the rulings of Jama'a prayer after the Ratib imam, written by Sheikh Al-Alamah Al-Natifi, who died in the year 1385 AH. He wrote his rulings based on evidence from the Qur'an, the Sunnah, the effects, what was done by the work, the well-known and the most correct in the Maliki school, and the sayings of scholars accredited in Islamic jurisprudence.

Ibn Sa`d al-Khayir al-Balansi, His life and his poetry "collection, documentation and study"

Dr. Muhammad Mahjoub Muhammad Abdul Majeed / Sudan

This research on Ibn Saad al-Khair al-Balansi is the fourth episode (1) of our series about Andalusian poets who were scholars of their time, but the odds of age and the difficulties of life or political circumstances or otherwise neglected them, and forgot their biography.

It seems that Ibn Saad Al-Khair Al-Balansi stands as one of the largest Arab scholars in Valencia. These circumstances closed the eyes of those looking to see him as a poet, and perhaps this is what prompted us to remove him from the veil of inactivity into existence, and to present him - for the first time - a unique poet As well as showing his artistic creativity.

Investigation of poetic texts in historical sources: Kitab al-Ghadhiyyat al-Ghadiyyah in Roman as an example.

Prof. Dr. Abd Al-Razzaq Huwaizi / Egypt

Poetic texts have a peculiarity in the scientific investigation of heritage books, which are known by specialists in the study of Arabic literature, and those who study the rules of poetry, and attention to these rules may be absent for non-specialists, such as historians and others. This research focuses on controlling the phenomenon of the textualization of textbooks by not taking into account the phenomenon of textualization.

The history of using precious materials in decorating religious buildings - the Holy Kaaba as a model -

Prof. Dr. Maha Al-Shaar / Syria

The research is divided into two parts:

The first section examined the history of the development of precious metals mining and industrialization before and after Islam in brief.

In the second section we studied the role of craftsmen in this industry in cladding and decorating religious buildings, and we chose in our research this honorable Kaaba as a model because it is the oldest house of worship that existed on the face of the earth and is still in existence today. Allah the Most High said: Guidance to the worlds (). For the sanctity of the Kaaba and its importance among the Muslims of the world as a whole, the Muslim rulers focused on renewing its construction, maintenance, cladding and decorating it with the most expensive materials on the surface of the earth. This research was limited to studying the processes of using precious materials (gold - silver - ...) in cladding and decorating the Holy Kaaba from the earliest historical eras until the end of the Ottoman era. The research did not study cladding and decorating the Holy Kaaba in the modern era because the modern renovations are too large to be surrounded by one research.

Abstracts of Articles

Pharaonic Egyptian Coins: A Historical and Descriptive Study

Mahmoud Muhammad Abd Al-Alim Abd Al-Samad / Emirates.

The study aims to adapt historical research methods and criteria for describing sources of information in different informational environments to identify and uncover the systems of commercial and monetary dealings in ancient Egypt and the historical development of monetary and commercial dealing systems throughout ancient Egyptian history by tracing the history of the Egyptian Pharaonic dynasties that ruled ancient Egypt.

It also aims to know what the historical Pharaonic currencies used in ancient Egypt were. Moreover, the study tries to apply modern archival and descriptive standards in information sciences to present a descriptive card Integrated based on the most prominent modern standards specialized in describing currencies and money RDA. It also speaks about a sample of currencies used in ancient Egypt "the Pharaonic Nob Nafar Currency", with an attempt to adapt the used elements and match them to the descriptive standards in other informational environments (DACS, ISAD – G, CCO) to match them.

Intent and achievement in the conversations of Abu Hayyan Al-Tawhidi

Prof. Dr. Samar Al-Dyoub / Syria

Abu Hayyan al-Tawhidi presented in his writings a dialogue text based on questions and answers, and these two parties represent the duality of composition / narration, which is the center of gravity in the theory of deliberative verbal actions, which is concerned with the dichotomy of intent and achievement that is known in our Arab critical heritage of composition / narration.

We proceed in this research from the hypothesis that the dialogues presented by Al-Tawhidi with his professors Ibn Miskawayh, Abu Suleiman Al-Sijistani, and Minister Ibn Sa`adan are hypothetical dialogues for goals that we will seek to clarify. This is because we see that the literary text does not present a literal picture of reality, but rather seeks to reconfigure it according to the duality of vision and the vision.

Abu Jalanak al-Halabi and what remains of his poetry

Ali Kazem Ali al-Madani / Iraq

The research aims to introduce the poet Shihab al-Din Abi Al-Abbas Ahmed bin Abi Bakr bin Masoud, known as Abu Jalanak Al-Halabi, who died in the year 700 A.H., killed by the Tatars, and the research aims to collect what could be obtained from his poetry distributed in sources of literature, language, history and translations because the poet's book is missing, and a manuscript has not reached us. The door remains open to comprehend and add to this total. The goal that the researcher wants to reach is to identify a model of Arabic literature that prevailed in the seventh century AH and to revive the mention of this poet who had a distinguished position in his era.

INDEX

Editorial

The origins of the purposes of Sharia, between the firmness of consideration and the despair of seeking denial
Editing Director 4

Researches Titles:

Pharaonic Egyptian Coins: A Historical and Descriptive Study
Mahmoud Muhammad Abd Al-Alim Abd Al-Samad 6

Intent and achievement in the conversations of Abu Hayyan Al-Tawhidi
Prof. Dr. Samar Al-Dyoub 24

Abu Jalanak al-Halabi and what remains of his poetry
Prof. Dr. Ali Kazem Ali al-Madani 50

Ibn Sa`d al-Khayir al-Balansi, His life and his poetry “collection, documentation and study”
Dr. Muhammad Mahjoub Muhammad Abdul Majeed 70

Investigation of poetic texts in historical sources: Kitab al-Ghadhiyyat al-Ghadiyyah in Roman as an example
Prof. Dr. Abd Al-Razzaq Huwaizi 90

The history of using precious materials in decorating religious buildings - the Holy Kaaba as a model -
Prof. Dr. Maha Al-Shaar 112

Manuscripts’ Verification

Ahmad Al-Bouni and its organization for the doctrine of Abi Madian Al-Gauth, study, investigation and commentary
Prof. Dr. Marzouq Al-Omari 137

The correct saying about the Jama’a prayer’s request after the Ratib Imam. The opinion of Sheikh Al-Islam Abu Zayd Al-Hajj Abd Al-Rahman bin Muhammad Al-Natifi (T .: 1385 AH)
Dr. Rashid Al-Jari 163

Abstracts 198

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 29 : No. 113 - Rajab - 1442 A.H. - March 2021

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR
Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY
Dr. Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD
Dr. Ababakr El Saddik
Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi
Dr. Fekry Abdelmonem Elnagar
Dr. Mohamed Vadel El hattab

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.

١١٣

آفاق الثقافة والتراث

السنة التاسعة والعشرون : العدد مئة وثلاثة عشر - رجب ١٤٤٢ هـ / مارس (آذار) ٢٠٢١ م

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage - Dubai

Volume 29 : No. 113 - Rajab - 1442 A.H. - March 2021

العنوان: الجامع الصحيح رواية أبي الوقت عبد الأول عن ابن المظفر الداودي عن السرخسي عن الفربري عن البخاري
المؤلف: البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، أبو عبد الله ٢٥٦ هـ
تاريخ النسخ: ١٠ جمادى الآخرة ٧٧٩ هـ

Title: Al-Jami al-Sahih, the narration of Abi al-Waqt, Abd al-Awwal, on the authority of Ibn al-Mudhafar al-Dawudi, on the authority of Sarkhasi, on the authority of al-Farbari, on the authority of al-Bukhari
The author: Al-Bukhari: Muhammad bin Ismail bin Ibrahim al-Jaafi, Abu Abdullah, 256 AH
Copy date: 10 Jumada Al-Akhira 779 AH

Published by:

Department of Studies, Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage